ديوان الخليل

نظم

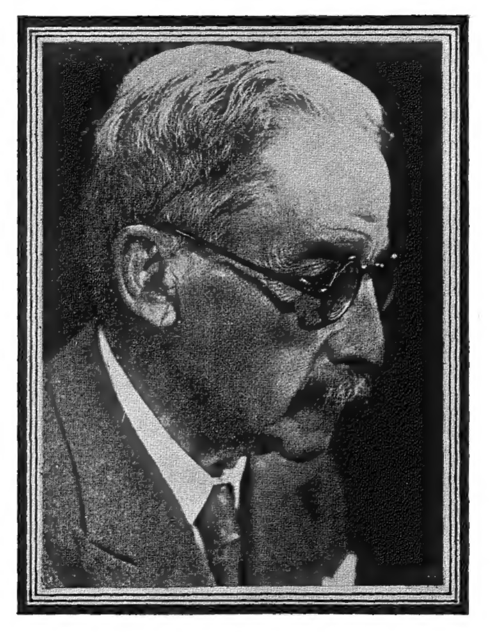
خليل مطران

الجزء الأول

تولت طبعه
دار الهلال
بالقاهرة

ملتزم النشر
دار المعارف
بالقاهرة

عنيت بإخراجه وطبعه
لجنة تكريم
خليل مطران بك



خليـل مطـران

ديوان الخليل

نظم

خليل مطران

الجزء الأول

الحق في اعادة الطبع محفوظ للناظم

مطبعة دار الهلال
سنة ١٩٤٩ — مصر

طبع للمرة الأولى فى سنة ١٩٠٨

أعيد طبعه فى شهر مارس سنة ١٩٤٩

مقدمة الطبعة الأولى

أبى علىّ فريق من الأصفياء والعشراء ، الا أن يكون لى ديوان كسائر الشعراء . فلئن صح لدى أولئك النفر الأفاضل من إخوانى ، أن أمثال هـذه الـكلم الملفقاة جديرة بأن تسمى فى مجموعها ديواناً ، لقد استعنت الله ، وهـذا ديوانى

الناظم

بيان موجز

ليست هذه الكلم القلائل كلّ ما نظمته إلى الساعة . بل هى منه كبقايا السفينة الغريقة ، أو كالقطع السالمة من الآثار العتيقة . فقد استخدمت الروىّ ولم أشبّ عن طفولة الرويّة . فرأيت فى الشعر المألوف جموداً و بدا لى تطريز الأقلام على الصحف البيضاء ، كتطريس الأقدام فى تيه البيداء . فأنكرت طريقته ، لجهلى حقيقته . وقضيت سائر أيام الصبى ، وأوائل ليالى الشباب ، وأنا لا ألوى عليه . حتى دعت بعض مداعى الحياة فعدت إليه .

عدت إليه وقد نضج الفكر . واستقلت لى طريقة فى كيف ينبغى أن يكون الشعر . فشرعت أنظمه لترضية نفسى حيث أتخلى . أو لتربية قومى عند وقوع الحوادث الجلّى متابعاً عرب الجاهلية فى مجاراة الضمير على هواه . ومراعاة الوجدان على مشتهاه . موافقاً زمانى فيما يقتضيه من الجرأة على الألفاظ والتراكيب . لا أخشى استخدامها أحياناً على غير المألوف من الاستعارات والمطروق من الأساليب . ذلك مع الاحتفاظ جهدى بأصول اللغة وعدم التفريط فى شىء منها إلا ما فاتنى علمه . ولم أكن مبتكراً فيما صنعت . فقد فعل فصحاء العرب قبلى ، ما لا يقاس إليه فعلى .

فانهم توسعوا فى مذاهب البيان توسع الرشد والحزم . وجاريتهم فى تصريف الكلام على ما اقتضاه هذا العهد من أساليب النظم .

قال بعض المتمنتين الجامدين ، من المتنطسين الناقدين . ان هذا «شعر عصرىّ» وهمّوا بالابتسام .

فيا هؤلاء ! نعم . هذا شعر عصرىّ . وفخره أنه عصرىّ . وله على سابق الشعر ، مزية زمانه على سالف الدهر .

هـذا شعر ليس ناظمه بعبده . ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده . يقال فيه المعنى الصحيح ، باللفظ الفصيح . ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ، ولو أنـكر جاره وشاتم أخاه ودابر المطلع وقاطع المقطع وخالف الختام . بل ينظر إلى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه ، و إلى جملة القصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها وفى تناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشفوفه عن الشعور الحرّ وتحرّى دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر .

كذلك حاولت أن أصنع شعرى ، وأعرف أننى لست من العلم واقتدار الفكر فى المـكان الذى يبلغنى منه أدنى المرام . ولـكننى تيقنت أن ما أردته به من الأغراض قد تنفذ إلى قلوب قارئيه ، وأحدث فيها ما ابتغيته من الأثر . وكفى بذلك سروراً لى ورضى ، إلى أن يجىء فى زمانى أو بعدى من يدرك من طريقتى الشأو الذى قصرت عنه ، و يصل إلى المقام الذى لم أدنُ منه .

على أننى أصرح ، غير هائب ، أن شعر هـذه الطريقة ــ ولا أعنى منظوماتى

الضعيفة — هو شعر المستقبل لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعاً . وللدلالة على صعوبة الوصول إلى الاتقان فى مثل هذا النوع من النظم ، نشرت فى هذا الديوان القصيدة الأولى من شعر الصبى وعدة قصائد أخرى كان فى وسعى أن أضرب عنها صفحاً وأن أكتفى بما أستجيده من قولى ولا آخذ على نفسى فيه شيئاً . غير أنى آثرت أن يدارجنى القارىء مدارجة على كونها غاية فى الإيجاز تمثلنى لديه تمثيلًا إجمالياً فى كل حال مررت بها من أحوال هذه الطريقة . وليس أكثر شعرى هذا بين الطرس والمداد إلا مدامع ذرفتها ، وزفرات صعدتها ، وقطَع من الحياة بددتها ، ثم نظمتها فتوهمت أنى استعدتها .

وقد عرض لى أن أبقيت فى هذا الديوان خليطاً من المذهب القديم ، ولكننى لم أفعل الا وقد طاوعت ضميرى وسايرت اعتقادى فيما هو جدير بالبقاء على الدهر .

على أنى لم أخلِ إلى الآن شعرى من كل ما خالفت فيه السابقين بسيرى على هذه الطريقة الفطرية الصحيحة . ولكننى أرجو أن أقدم على ذلك فى المستقبل إن كان فى الأجل فسحة .

وغاية ما أتمناه لدى القراء من الجزاء على هذه العبر المروية ، والغرائب المحكية ، والنوادر الممثلة ، والصور المخيلة — التى نظمت أكثرها مسارقة من وقتى بين سفرى وحضرى ، وبين مذاهبى إلى أعمالى ، ومتاركاتى لشواغلى واشغالى — أن يشاركونى فى وجدانى فى أثناء مطالعتهم لهذا الكتاب . فيرضوا عن الفضيلة كما رضيت ، ويأسوا من الرذيلة كما أسيت . وأن يستفيدوا من مناحاتى ، ويتخذوا أدوية لجراحاتهم من جراحاتى .

لذلك عملت ، وذلك منتهى ما أمّلت . فإن الناس رَكْب شقاء . وسَفْر هباء . فما أسعد حاديهم ـ وهو الشاعر ـ إذا حدا ، أن يحسّ لنغماته عند إخوانه فى المسير رنّةً وصدى .

مقدمة الطبعة الثانية

هـــذا ما قلته فى الطبعة الأولى من هـــذا الجزء وما زال هو اليوم قولى

القاهرة
فى أول مارس سنة ١٩٤٩

خليل مطران

القصائد

١٨٠٦ — ١٨٧٠

كتبت هـذه القصيدة فى صباى ، وهى كل ما استبقيته من منظومات كثيرة ألقت بها تلالا من الطروس ، وكنت إذ ذاك أحرص عليها حرص الضنين على كنوزه . ثم جعلت أعيد النظر عليها ، فأطرح منها صحيفة صحيفة حتى لم تبق منها إلا هذه . وقد هممت مراراً بالحاقها بأخواتها ، ثم أرعيت عليها لما كان عندى من الكلف الخاص بها إذ كنت أتوهم فى ذلك الوقت أنى أتيت بها معجزة . ولهـذا توليت تنقيحها قليلا ، ونشرتها على علاتها ، أتنسم نسمات صباى من خلال سطورها ، وأعتبر بما تنتهى إليه خيلاءُ النفس وهى فى شبيبتها وغرورها

أما الرقمان اللذان هما عنوانها ، فإشارة إلى السنة التى انتصر فيها نابليون الأول على الألمان فى معركة يانا ودخل برلين ، وإلى السنة التى انتصر فيها الألمان على نابليون الثالث وولجوا فيها باريس

مَشَتِ الجِبَالُ بِهِمْ وَسَالَ الوَادِى ... وَمَضَوْا مِهَاداً سِرْنَ فَوْقَ مِهَادِ [(١)]

يُحْدَى بِهِمْ مُتَطَوِّعِينَ كَأَنَّهُمْ ... عِيسٌ وَلَكِنَّ القَنَاءَ الحَادِى

لِلّهِ يَوْمٌ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... فِيهَا وَظَلَّ يَرُوعُ كُلَّ فُؤَادِ

يَوْمٌ تَجِفُّ لِذِكْرِهِ أَنْهَارُهَا ... خَوْفاً وَيَجْرِى قَلْبُ كُلِّ جَمَادِ

وَإِذَا قَرَأْنَا وَصْفَهُ فَكَأَنَّهُ ... بِدَمٍ زَكِىٍّ خُطَّ لَا بِمِدَادِ

وَنَكَادُ نَسْمَعُ لِلْقِتَالِ دَوِيَّهُ ... وَنَرَى الفَوَارِسَ فِى لِقاً وَطِرَادِ

«لِبُرُوسِيَا» فِى أَرْضِ «يَانَا» عَسْكَرٌ ... مَجْرٌ شَدِيدُ البَأْسِ وَافِى الزَّادِ [(٢)]

وَخِيَامُهُ فِى الأُفْقِ مَائِلَةٌ عَلَى ... تَرْتِيبِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الأَطْوَادِ

---

(١) مهاد : السهول (٢) مجر : جرار

نفرتْ طلائعُ خيلِه مُنذُ الضحى ... تترقّبُ الأعداءَ بالمرْصادِ

فأتوا كما يجري الأتيُّ مُشعّباً ... في غيرِ مجرى مائِه المُعتادِ[1]

وكأنَّ « نابليونَ » في إشرافِه ... علَمٌ على علَمِ الزّعامةِ بادِ[2]

ألمجْدُ رهنُ إشارةٍ بيمينِه ... والنّصرُ بيْنَ يديْه كالمُنقادِ

والفخرُ في راياتِه متمثّلٌ ... وطلائعُ العقبانِ في تردادِ

فتهيّأ الألمانُ لاستقبالِه ... كالحائطِ المرْصوصِ مِنْ أجْسادِ

وعلا هُتافٌ مازجتْهُ غماغمٌ ... مِنْ سَلِّ أسلحةٍ وركْضِ جيادِ

ورنينُ آلاتٍ تكادُ تظنّها ... متجاوباتِ العزْفِ بالإيعادِ

حتّى إذا كمُلَ العتادُ تقاذفوا ... بالنّارِ ذاتِ البرْقِ والإرْعادِ[3]

شُهُبٌ ضخامٌ آتياتٌ والرّدى ... بمسيرِهنَّ ومثلُهنَّ غوادِ

تُلقي الرّجالَ على الثّرى قتلى كما ... يُلقي السّنابلَ منجلُ الحصّادِ

للهِ درّهمُ وقدْ حمِيَ الوغى ... فتهاجموا كتهاجُمِ الآسادِ

تدعو الجراحةُ أختَها بصدورِهمْ ... والسّيفُ يتلو السّيفَ في الأجْيادِ

وإذا التقى بطلانِ لمْ يتجنْدلا ... إلّا معاً مِنْ شِدّةِ الأحقادِ

وإذا جوادٌ خرَّ فارسُهُ دعا ... بصهيلِه ذا حاجةٍ بجوادِ

والموتُ في الجيشيْنِ غيرُ مُجاملٍ ... يجتاحُ بالأزواجِ والأفرادِ

يطوي الصّفوفَ ويترُكُ الدّمَ إثرَهُ ... فكأنّهُ فُلْكٌ ببحرِ عِبادِ

---

(١) الأتي : السيل (٢) علم (الثانية) : جبل (٣) العتاد : الاستعداد

مَا زَالَ يَفْتِكُ وَالنُّفُوسُ زَوَاهِقٌ وَكَأَنَّ تِلْكَ هُنَيْهَةُ الْمِيعَادِ
حَتَّى تَوَلَّى الذُّعْرُ جَيْشَ «بُرُوسِيَا» فَتَفَرَّقُوا بَيْنَ الْقِفَارِ بَدَادِ
فَسَعَى الْفَرَنْسِيُّونَ فِي آثَارِهِمْ بِعَزَائِمٍ لَا يَنْثَلِمْنَ حِدَادِ (١)
يَسْتَكْبِرُ الصُّعْلُوكُ مِنْهُمْ دَائِساً فِي أَضْلُعِ الْأَبْطَالِ وَالْقُوَّادِ
وَاسْتَفْتَحُوا «بَرْلِينَ» وَهْيَ مَنِيعَةٌ وَقَضَوْا بِهَا الْأَيَّامَ كَالْأَعْيَادِ
وَأَقَامَ أَصْحَابُ الْبِلَادِ مَآتِمَاً وَكَسَوْا عَلَى الْقَتْلَى ثِيَابَ حِدَادِ
نَاحَتْ عَرَائِسُهُمْ عَلَى أَزْوَاجِهَا وَالْأُمَّهَاتُ بَكَتْ عَلَى الْأَوْلَادِ
وَاشْتَدَّ حُزْنُهُمُ ، وَلَمْ يَكُ مُجْدِياً ، مِنْ بَعْدِ فَقْدِ أَحِبَّةٍ وَبِلَادِ
أَلْحُزْنُ يَخْمُدُ وَالْمَذَلَّةُ جَمْرَةٌ لَا تَنْطَفِي إِلَّا بِسَيْلِ جِسَادِ (٢)
عَادَ الرَّبِيعُ لَهُمْ كَسَالِفِ عَهْدِهِ يَزْهُو عَلَى الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ
يَا حُسْنَهُ بَلَداً خَصِيباً طَيِّباً لَكِنَّهُ نَهْبُ الْغَرِيبِ الْعَادِي
تَتَبَسَّمُ الْأَزْهَارُ فِيهِ حَيْثُمَا عَبَسَ الْحِمَامُ بِهَالِكِ الْأَجْنَادِ (٣)
يَا خَجْلَةَ الْأَحْرَارِ مِنْ مَوْتَاهُمُ يَثْوُونَ حَيْثُ الْمَالِكُونَ أَعَادِي
فَاسْتَعْصَمُوا بِالصَّبْرِ ، ثُمَّ تَكَاتَفُوا وَتَحَرَّرُوا مِنْ رِقِّ الِاسْتِعْبَادِ
وَتَأَهَّبُوا لِلثَّأْرِ وَالْأَحْقَادُ فِي أَكْبَادِهِمْ كَالْبِيضِ فِي الْأَغْمَادِ (٤)
حَتَّى إِذَا اشْتَدُّوا وَضَاقَ عَدُوُّهُمْ ذَرْعاً بِهِمْ أَصْلَوْهُ حَرْبَ جِهَادِ

---

(١) بعزائم لا ينثلمن حداد : أى عزائم ماضية كحدود السيوف غير أنها لا تفلل
(٢) جساد : دم (٣) الحمام : الموت (٤) البيض : السيوف

وَبَنَوْا رَجَاءَهُمُ عَلَى اسْتِعْدَادِهِمْ ، لَا خَــيْرَ فِي أَمَلٍ بِلَا اسْتِعْدَادِ
هَدَمُوا مَعَالِمَهُ ، وَرَوَّوْا رَدْمَهَا بِدِمَاهُ ، فَاخْتَلَطَا دَمًا بِرَمَادِ
وَاسْتَفْتَحُوا بَارِيسَ فَاسْتَوْفَوْا بِهَا أَوْتَارَهُمْ وَشَفَوْا صَدَى الأَكْبَادِ [1]
كُلٌّ بِمَسْعَاهُ يَفُوزُ وَمَنْ يُنِبْ عَنْهُ الحَوَادِثَ لَمْ يَفُزْ بِمُرَادِ

الى الصديق الكريم

على المنزلاوى بك

إِذَا مَا رَمَى مِصْراً بِضَعْفٍ وَحِطَّةٍ غُـلَاةٌ مِنَ الأَعْدَاءِ أَوْ جُهَلَاءُ
فَـكُنْ يَا «عَلِيٌّ» الخَيْرِ أَعْدَلَ شَاهِدٍ لِفِتْيَـةِ «مِصْرٍ» أَنَّهُمْ نُبَلَاءُ

---

(١) أوتارهم : ثاراتهم . صدى : عطش

نصيحة

لحسناء أهملت زينتها بدعوى مرض وهمي

لِيَبْسِمْ فِي مُحَيَّاكِ الرَّجَاءُ ... وَيُبْرِقْ فِي أَسِرَّتِكِ الْهَنَاءُ
وَطِيبِي بِالشَّبَابِ كَمَا يُرَجَّى ... عَفَافُكِ وَالطَّهَارَةُ وَالإِبَاءُ
وَقَرِّي أَعْيُنًا بِبَنِينَ غُرٍّ ... وَبَعْلٍ مِنْ مَحَامِدِهِ الْوَفَاءُ
وَحَلِّي الرَّأْسَ مَفْخَرَةً بِتَاجٍ ... يُضِيءُ بِهِ جَلَالُكِ وَالْبَهَاءُ
وَلَا تَنْسَيْ نِظَامَ الشَّعْرِ فِيهِ ... كَأَحْسَنِ مَا تُنَظِّمُهُ النِّسَاءُ
فَمَا الإِكْلِيلُ لِلْحَسْنَاءِ وِقْرٌ ... وَلَا تَصْفِيفُ وَفْرَتِهَا عَنَاءُ[1]
وَلَكِنْ يَصْدَعُ الرَّأْسَ اشْتِغَالٌ ... بِمَا تَأْبَى الْمَلَاحَةُ وَالْفَتَاءُ[2]
وَيُثْقِلُهُ اهْتِمَامٌ غَيْرُ مُجْدٍ ... بِمَا فِي حُكْمِهِ الدُّنْيَا سَوَاءُ

***

عَلَتْ شَمْسُ الضُّحَى وَالرَّوْضُ زَاهٍ ... وَفِيهِ نَضَارَةٌ وَسَنًى وَمَاءُ
فَهُبِّي لِلصَّبُوحِ وَبَادِرِيهِ ... سُلَافَتُهُ النَّزَاهَةُ وَالضِّيَاءُ[3]
وَشَادِي الصَّادِحَاتِ فَإِنَّ أَشْهَى ... بَيَانٍ لِلنُّفُوسِ هُوَ الْغِنَاءُ
وَحَاكِي الزَّهْرَ تَسْلِيًا وَلَهْوًا ... فَمَا لِلْهَمِّ فِي حُسْنٍ ثَوَاءُ[4]

---

(١) وقر : ثقل . وفرتها : شعرها (٢) الفتاء : الشباب
(٣) الصبوح : شرب الصباح (٤) ثواء : مكان للاقامة

فى تشييع جنازة

خرجت صباحاً من منزلى بمصر . وإذا نعش مكسو بالبياض ، محلى بالزهر ، يتبعه رهط من الفتيان الافرنج . فسألت أحدهم عن ذلك الفقيد . فأجابنى انه شاب انتحر غراما فخرجوا يشيعونه . فشيعته معهم على غير معرفة به وطفقت أرثيه بهذه الأبيات

قَرَّبَتْهُ فَمَا ارْتَوَى وَجَفَتْهُ فَمَا ارْعَوَى
غَادَةٌ ، مَنْ سَعَى إلى غَايَةٍ عِنْدَهَا غَوَى
جُنَّ فِيهَا ، وَقَبْلَهُ جُنَّ قَيْسٌ مِنَ الهَوَى
وَقَضَى خَالِدُ النَّوَى يَتَدَاوَى مِنَ النَّوَى [1]
فَدَفَنَّاهُ ، بَرَّدَ الـــغَيْثُ قَبْراً بِهِ ثَوَى [2]
مَنْ قَضَى هَكَذَا شَهِيـــداً فَمِنْ أَهْلِنَا هُوَا
كُلُّ نَاجٍ إلى مَدًى لَاحِقٌ بِالَّذِى ثَوَى [3]
فَالشُّجَاعُ الَّذِى مَضَى قَبْلَنَا يَحْمِلُ اللِّوَا
وَالجَرِىءُ الَّذِى اقْتَفَى وَالبَطِىءُ الَّذِى نَوَى

(١) النوى : البعد (٢) الغيث : المطر (٣) ثوى : مات

المرآة الناظرة

أو عين الأم

كنت فى حديقة الجيزة أصيل يوم هبت فيه ريح السموم ،
فرأيت فتاة تنظر فى عينى أمها وتصلح شعرها

عَاجَتْ أُصِيلًا بِالرِّيَاضِ تَطُوفُهَا ... كَمَلِيكَةٍ طَافَتْ مَعَاهِدَ حُكْمِهَا

حَسْنَاء أَمَّرَهَا الجَمَالُ فَأَنْشَأَتْ ... فِي أَيْكِهَا الأَطْيَارُ تَخْطُبُ بِاسْمِهَا

وَالحُسْنُ أَكْمَلُ مَا يَكُونُ شَبِيبَةً ... فِي بَدْئِهَا ، وَمَلَاحَةً فِي تِمِّهَا

سَتَرَتْ بِأَخْضَرَ سُنْدُسِيٍّ جِيدَهَا ... فَحَكَى المُحَيَّا وَرْدَةً فِي كِمِّهَا

وَتَمَايَلَتْ فِي ثَوْبِ خَزٍّ مُورِقٍ ... غُصْنًا، وَهَلْ لِلْغُصْنِ نَضْرَةُ جِسْمِهَا؟[1]

فَإِذَا دَنَتْ فِي سَيْرِهَا مِنْ زَهْرَةٍ ، ... هَمَّتْ بِأَخْذِ ذُيُولِهَا وَبِلَثْمِهَا

أَوْ جَاوَرَتْ فَرْعًا رَطِيبًا لَيِّنًا ، ... أَلْوَى بِعِطْفَيْهِ وَمَالَ لِضَمِّهَا[2]

وَتَحُفُّ أَبْصَارٌ بِهَا فَيَخِزْنَهَا ... بِحَيَائِهَا ، وَيَشُكْنَهَا فِي وَهْمِهَا[3]

كَالنَّحْلِ طُفْنَ بِزَهْرَةٍ فَلَسَعْنَهَا ... وَرَشَفْنَ مِنْهَا مَا رَشَفْنَ بِرَغْمِهَا

حَتَّى إِذَا حَلَّى العَيَاءُ جَبِينَهَا ... بِنَدًى، وَأَخْمَدَ جَمْرَةً مِنْ عَزْمِهَا[4]

جَلَسَتْ تُقَابِلُ أُمَّهَا وَكَأَنَّمَا ... كِلْتَاهُمَا جَلَسَتْ قُبَالَةَ رَسْمِهَا

---

(١) خز : حرير (٢) ألوى : مال من عل (٣) يخزنها : من الوخز وهو الألم التى تحدثه رؤوس الإبر . يشكنها من ألم الشوك (٤) العياء : التعب

لَـكِنَّ عَاصِفَةً أَغَارَتْ فَجْأَةً ... بِالْمَوجِ مِنْ لَدَدِ الرِّيَاحِ وَقُتْمِهَا

فَاهْتَزَّتِ الغَبْرَاءُ حَتَّى صَافَحَتْ ... عَذَبَاتِ سَرْحَتِهَا مَنَابِتُ نَجْمِهَا [1]

وَتَنَاثَرَتْ صُفْرُ الْفَتَاةِ غَمَائِمًا ... سَتَرَتْ عَنِ الأَبْصَارِ طَلْعَةَ نَجْمِهَا

فَتَحَيَّرَتْ فِيمَا تُحَاوِلُ وَهْىَ قَدْ ... أَعْيَتْ بِلَا مِرْآتِهَا عَنْ نَظْمِهَا

فَدَنَتْ تُحَاذِى أُمَّهَا وَتَنَاظَرَتْ ... بِعُيُونِهَا وَجَلَتْ سَحَابَةَ هَمِّهَا

وَكَذَا الْفَتَاةُ إِذَا ابْتَغَتْ مِرْآتَهَا ... فَتَعَذَّرَتْ ، نَظَرَتْ بِعَيْنَىْ أُمِّهَا

الهريسة

فى هدية لون من الطعام يدعى الهريسة

أَتَتْ بِلَا وَعْدٍ وَيَا حُسْنَهَا ... هَرِيسَةٌ طَابَتْ لِهَرَّاسِ

يَنْدُرُ أَنْ تُطْهَى فَأَيَّامُهَا ... مِنْ بَهْجَةٍ أَيَّامُ أَعْرَاسِ

لَوْقَدْ رَأَيْتَ الشَّحْمَ وَاللَّحْمَ فِي ... أَيِّمَ حَالٍ بَيْنَ أَضْرَاسِي

سَمِعْتَ مِنْ أُنْشُودَةِ الحَمْدِ مَا ... تُنْشِدُهُ أَنْيَابُ فَرَّاسِ

---

(١) نجمها : النجم من النبات ما نجم على غير ساق

بدر وبدر

حَسْنَاء لَـكِنْ نَفُورُ   بَادٍ عَلَيْهَا الفُتُورُ
إِذَا رَنَتْ غَارَ مِنْهَا   فِي الْحَيِّ عِينٌ وَحُورُ[1]
وَإِنْ تَمِسْ فَإِلَيْهَا   مُنَى النُّفُوسِ تَطِيرُ
لَا تَـكْسِرُ الجفْنَ إِلَّا   وَقَلْبُ صَبٍّ كَسِيرُ
وَلَا تَبَسَّمُ إِلَّا   وَجَفْنُ بَاكٍ يَمُورُ[2]
وَلَا تَلَفَّتُ إِلَّا   وَجِيرَةُ الحَيِّ صُورُ[3]
يَا قُرَّةً لِعُيُونِي   فِي الصَّدْرِ مِنْهَا سَعِيرُ
كَمْ جِئْتُكُمْ مُسْتَزِيراً   وَطَيْفُكُمْ لَا يَزُورُ[4]
إِنْ كَانَ صَبْرِي قَلِيلًا   فَإِنَّ وَجْدِي كَثِيرُ
لَيْسَ الْمُحِبُّ صَدُوقاً   فِي الْحُبِّ وَهْوَ صَبُورُ
يَا بَدْرُ سُمِّيتَ بَدْراً   وَأَيْنَ مِنْكَ البُدُورُ ؟
أَيْنَ الجَمَادُ مُنِيراً   مِنْ ذِي حَيَاةٍ يُنِيرُ ؟
أَيْنَ الصَّبَاحَةُ فِيهِ   وَأَيْنَ مِنْهُ الشُّعُورُ ؟
أَيْنَ السَّنَى وَهْوَ شَيْبٌ   مِنَ الصِّبَى وَهْوَ نُورُ ؟

---

(١) رنت : نظرت . حور : الحور ذوات العيون الجميلة   (٢) يمور : يسيل
(٣) صور : مائلة أعناقهم   (٤) مستزيراً : طالباً الزيارة

لَمْ أَنْسَ حِينَ الْتَقَيْنَا وَالرَّوْضُ زَاهٍ نَضِيرُ
إِذِ الْعُيُونُ نِيَامٌ وَاللَّيْلُ رَاءٍ حَسِيرُ[1]
نَشْكُو الْغَرَامَ دِعَابًا وَرُبَّ شَاكٍ شَكُورُ
وَفِي الْهَوَاءِ حَنِينٌ مِنَ الْهَوَى وَزَفِيرُ
وَلِلْمِيَاهِ أَنِينٌ تَذُوبُ مِنْهُ الصُّخُورُ
وَلِلنَّسِيمِ حَدِيثٌ عَلَى الْمُرُوجِ يَدُورُ
وَلِلْأَزَاهِرِ فِكْرٌ يَرْوِيهِ عَنْهَا الْعَبِيرُ
وَالْبَدْرُ فِي الْغَيْمِ يَخْفَى آنًا وَآنًا يَثُورُ
بِيضُ الْغُيُومِ جَوَارٍ لَدَيْهِ وَهْوَ أَمِيرُ
تَدْنُو إِلَيْهِ فَتُلْقِي تَحِيَّةً وَتَسِيرُ
مَنَاظِرٌ رَائِعَاتٌ مِرْآتُهُنَّ الْغَدِيرُ
يَدْأَبْنَ مُبْتَدِعَاتٍ وَدَأْبُهُ التَّصْوِيرُ
لَهْفِي عَلَيْهِ زَمَانًا وَلَّى فَوَلَّى السُّرُورُ
مَضَى قَصِيرًا وَلَكِنْ لِلسَّعْدِ عَهْدٌ قَصِيرُ

(١) والليل راء حسير : أراد به الليل الذى رقت ظلمته فشفت عن ضياء ضئيل كرؤية الأحسر ذى النظر الضعيف

فاجعـــة

فى هزل

جرت هذه الحادثة فى قرية بلبنان وذكرها للشاعر بعض شهودها

كَانُوا ثَمَانِيَةً مِنَ النُّدَمَاءِ مُتَآلِفِينَ كَأَحْسَنِ الرُّفَقَاءِ

فِي مَجْلِسٍ حَجَبَ الشَّبَابُ بِأَمْرِهِمْ أَبْوَابَهُ إِلَّا عَلَى السَّرَّاءِ

مُتَحَدِّثِينَ وَلَا يَطِيبُ لِمِثْلِهِمْ إِلَّا حَدِيثُ الْحُسْنِ وَالْحَسْنَاءِ

حَتَّى إِذَا اعْتَكَرَ الظَّلَامُ وَمُزِّقَتْ أَحْشَاؤُهُ فَدَمِينَ بِالْأَضْوَاءِ[1]

وَتَثَاقَلَتْ أَشْبَاحُهُمْ وَتَخَفَّفَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ نَشْوَةِ الصَّهْبَاءِ

أَصْغَوْا لِقَوْلِ فَتًى جَرِيءٍ مِنْهُمُ غَضِّ الشَّبِيبَةِ جَامِحِ الْأَهْوَاءِ

يَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أَسْمَعُ نِسْوَةً بِجِوَارِنَا فِي حَلْقَةٍ وَغِنَاءِ

فَهَلُمَّ نَحْتَلْ حِيلَةً فَيَجِئْنَنَا ، لَا خَيْرَ فِي أُنْسٍ بِغَيْرِ نِسَاءِ

قَالُوا : فَمَا هِيَ ، قَالَ : أَرْقُدُ مُوهِمًا أَنِّي قَضَيْتُ مُعَاجَلًا بِقَضَاءِ

فَإِذَا انْتَحَبْتُمْ جِئْنَكُمْ ، فَبَرَزْتُ مِنْ كَفَنِي وَفُزْنَا بِاجْتِمَاعِ صَفَاءِ

فَنَعَاهُ نَاعٍ رَاعَهُنَّ فَجِئْنَ فِي هَرَجٍ لِتَوْدِيعِ الْفَقِيدِ النَّائِي

وَبَكَيْنَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكْنَ مَا كَادُوا لَهُنَّ ، وَثَبْنَ وَثْبَ ظِبَاءِ

يَضْحَكْنَ أَشْبَاهَ الشُّمُوسِ تَأَلَّقَتْ عَقِبَ الْحَيَا وَضَّاءَةَ اللَّأْلَاءِ

---

(١) دمين : سالت دماؤها

وَحَمَلْنَ حَوْلَ سَرِيرِهِ يَنْهَرْنَهُ ... لَكِنْ أَحَطْنَ بِصَخْرَةٍ صَمَّاء
فَرَفَعْنَ عَنْهُ غِطَاءَهُ فَوَجَدْنَهُ ... بِالْمَيْتِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالأَحْيَاء
عَالَجْنَهُ جُهْدَ العِلَاجِ وَلَمْ يَكُنْ ... شَيْءٌ لِيُوقِظَهُ مِنَ الإِغْمَاء
حَتَّى إِذَا دُعِيَ الطَّبِيبُ فَجَاءَهُمْ ... رَاعَ القُلُوبَ بِنَفْيِ كُلِّ رَجَاء
فَتَبَدَّلَتْ أَفْرَاحُهُمْ فِي لَحْظَةٍ ... بِمَنَاحَةٍ ، وَسُرُورُهُمْ بِبُكَاء
وَأَبَانَهُمْ هَذَا المِزَاحُ مِنَ الرَّدَى ... فِي شَرِّ مَا يُبْكِي مِنَ الأَرْزَاء
لَوْ عَاشَ صَاحِبُهُمْ لَعَاشَ رَهِينَةً ... مِنْ بَعْدِهَا لِلْهَجْعَةِ السَّوْدَاء
وَكَذَا الحَقِيقَةُ جِدُّهَا وَمِزَاحُهَا ... سِيَّانِ فِي الإِشْقَاءِ وَالإِفْنَاء

إلى أديب

بلغ الستين

يَا بَالِغَ السِّتِّينَ مِنْ عُمْرِهِ ... نَوَدُّ لَوْ بُلِّغْتَ فِيهِ المِئِينْ
دُمْ رَافِعاً بَيْنَ مَنَارِ الهُدَى ... مَنَارَةَ المَشْرِقِ فِي العَالَمِينْ
مِنْ فَحَمَاتِ اللَّيْلِ تَجْلُو الضُّحَى ... وَظُلُمَاتِ الرَّيْبِ تَجْلُو اليَقِينْ
وَمِنْ طَوَايَا النَّاسِ تُبْدِي بِمَا ... خَيِرْتَ مِنْهُمْ كُلَّ كَنْزٍ دَفِينْ

جـــواب

بعث الى الناظم صديق من الأسكندرية يدعى حبيباً بقصيدة مداعبة ، وصف له فيها معاهد كانا يختلفان اليها ، وبالغ على الخصوص فى وصف فتاة كانت آية فى الجمال من غير تسمية لها ولا إشارة ظاهرة إليها . فأجابه عليها بمثل تلك الداعبة

وَافَى الْكِتَابُ فَأَحْيَى قَلْبَ الْمَشُوقِ الْكَئِيبِ
بِنَظْرَةٍ مِنْ صَدِيقٍ عَنْ أَعْيُنِي مَحْجُوبِ
وَرَجْعِ صَوْتٍ رَقِيقٍ حُرِمْتُهُ فِي الْمَغِيبِ
كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهِ مُخَاطِبِي عَنْ قَرِيبِ

***

أَذْكَرْتَنِي ، غَيْرَ نَاسٍ ، يَوْمَ الْفَتَاةِ اللَّعُوبِ
بَيْنَ الْأَوَانِسِ وَالتُّرْبُ حَبُّ الْقُلُوبِ
فِي مَسْرَحٍ ضَاقَ رَحْبًا بِكُلِّ غَاوٍ أَدِيبِ
تُوحِي الْمَحَاسِنُ فِيهِ مُقَدِّمَاتِ الذُّنُوبِ

***

أَذْمَاهُ كَالشَّمْسِ تَبْدُو وَالْوَقْتُ بَعْدَ الْغُرُوبِ
مَلِيكَةٌ ، ذَاتُ وَجْهٍ سَمْحٍ ، وَطَرْفٍ مُذِيبِ[1]
بِالنُّورِ تُنْزِلُ آيَاتِ حُكْمِهَا الْمَرْهُوبِ

---

(١) طرف : عين

مِثَالُهَا مِنْ ضَمِيرِى فِي مَقْدِسٍ مَحْجُوبِ
مُسَيَّجٌ مِنْ غَرَامِى وَغَيْرَتِى بِلَهِيبِ
يَحْنُو فُؤَادِىَ فِيهِ بَيْنَ اللَّظَى الْمَشْبُوبِ (١)
وَيَعْبُدُ الطَّيْفَ مِنْهَا فِي مَأْمَنٍ مِنْ رَقِيبِ

***

لَكِنْ أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ ذِى دَهَاءٍ أَرِيبِ
أَخِى مِزَاحٍ وَرِفْقٍ مُسْتَلْطَفِ التَّشْبِيبِ (٢)
وَمَا عَنَيْتُ «حَبِيباً» حَاشَا وَفَاءَ «حَبِيبِ»

رَحْم

على أحياء

فِي زَهْرَةِ الْعُمْرِ فَتًى نَابِهٌ أَصْمَاهُ سَهْمٌ لِلرَّدَى طَاشَا
أَثْكَلَ أَهْلًا لَا عَزَاءَ لَهُمْ وَأَوْسَعَ الرُّقْعَةَ إِيحَاشَا
مَا إِنْ جَنَى الْمَوْتُ عَلَيْهِ كَمَا جَنَى عَلَى مَنْ بَعْدَهُ عَاشَا

---

(١) اللظى : الضرام (٢) التشبيب : المنازلة

مشاكاة

بيني وبين النجم

أَرَى مِثْلَ سُهْدِيَ فِي الكَوْكَبِ أَحَلَّ بِهِ مِثْلُ مَا حَلَّ بِي ؟
يَهِيمُ هُيَامِيَ مِنْ وَجْـدِهِ وَيَهْرُبُ مِنْ مَهْدِهِ مَهْرَبِي
وَيَجْتَازُ هَذَا الفَضَاءَ رَحِيباً فَأَمَّا بِنَا فَهْوَ لَمْ يَرْحُبِ
إِذَا سِرْتُ بَحْراً أَرَاهُ بِهِ أَنِيسِيَ عَنْ جَانِبِ المَرْكَبِ
وَإِنْ سِرْتُ بَرًّا يُجَارِي خُطَايَ، فَفِي الشَّرْقِ آنًا وَفِي المَغْرِبِ
رَفِيقَ السُّرَى فِيكَ جَمْرٌ يَذُوبُ وَإِنْ سَالَ كَالمَدْمَعِ الصَّيِّبِ
أُسِرُّ هَوَاكَ إِلَى صَاحِبٍ يُؤَاخِيكَ فِي هَمِّكَ المُنْصِبِ[1]
أَمَا كُلُّ ذِي كَلَفٍ مُتْعَبٌ شَرِيكٌ لِذِي الكَلَفِ المُتْعَبِ؟[2]

***

فَيَا لَكَ مِنْ صَامِتٍ نَاطِقٍ وَيَا لَكَ مِنْ مُعْجِمٍ مُعْرِبِ
أَنِيسٍ عَلَى مَا بِهِ مِنْ أَسًى شَجِيٍّ التَّبَسُّمِ مُسْتَعْذَبِ
مَشُوقٍ إِلَى الشَّمْسِ طَلَّابِهَا مُجِدٍّ عَلَى شُقَّةِ المَطْلَبِ
إِذَا كَلَّ جَهْداً فَأَغْضَى بَدَتْ وَإِنْ هَبَّ يَرْقُبُهَا تَخْتَبِي

(١) المنصب : المتعب (٢) كلف : غرام

عَـذِيرُكَ مَنْ أَنتَ مِرْآتُهُ بِحُبِّـكَ وَالأَمَلِ الأَخْيَبِ

***

وَبِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ شَاغِلٍ وَلِي مِثْلُ مَا لَكَ مِنْ مَأْرَبِ
فَتَاةٌ كَصَوْغِ الضِّيَاءِ إِلَيْـــــهَا تَنَاهَتْ مُنَى قَلْبِيَ المُوصَبِ [1]
مِنَ الحُورِ دَانَ فُؤَادِي بِهَا وَوَحَّدَهَا الحُبُّ فِي مَذْهَبِي
فَإِنْ كُنْتَ يَا نَجْمُ طَالَعْتَهَا وَقَدْ سَفَرَتْ لَكَ فِي مَرْقَبِ
فَأَنْتَ إِذَنْ فِي الهَوَى عَاذِرِي وَلَسْتَ لِسُهْدِي بِمُسْتَغْرِبِ

قال فى سيدة زانت رأسها بطاقة فل

أَدْلَتْ مِنَ الرَّأْسِ فُلاًّ فَوْقَ الجَبِينِ فَحَلَّى
مَا كَانَ عَهْدِيَ قَبْلَا بِالوَرْدِ يَحْمِلُ فُلَّا

---

(١) الموصب : المريض

زفـــاف

أم جنازة

قيلت فى جنازة جعلت على شكل موكب زفاف لفتاة اسمها « شمس »
توفيت فى ريعان شبابها وكانت مخطوبة لرئيس جنـد من الفرسان

عَزِيزٌ غُرُوبُ البِكْرِ فِي بُكْرَةِ العُمْرِ ... كَغَيْبَةِ شَمْسِ الأُفْقِ فِي طَلْعَةِ الفَجْرِ
فَيَا شَمْسُ سَرْعَانُ القَضَاءِ تَهَجُّماً ... عَلَيْكِ وَلَمْ يُمْهِلْكِ فِي السَّبْعِ وَالعَشْرِ
خَطِيبَةُ شَهْرٍ سَابَقَ المَوْتُ بَعْلَهَا ... إِلَيْهَا ، فَأَغْوَاهَا وَلَـكِنْ عَلَى طُهْرِ
أَتَاهَا عَلَى غَيْرِ ارْتِقَابٍ بِخِدْرِهَا ... سَرِيعاً خَفِيفاً خَارِقَ الحُجْبِ كَالفِكْرِ
وَقَبَّلَهَا فَاسْتَلَّ جَوْهَرَ رُوحِهَا ... وَأَبْـقَى عَلَى رَسْمٍ كَبَعْضِ الدُّمَى الغُرِّ[1]
كَـذَلِكَ نِيرَانُ الصَّوَاعِقِ تَنْثَـنِي ... عَنِ التُّرْبِ إِعْرَاضاً ، وَتَأْخُذُ بِالتِّبْرِ

* * *

فَلَمَّا نَعَوْا تِلْكَ الفَتَاةَ لِأُمِّهَا ... أَلَمَّ بِهَا سُكْرٌ وَمَا هِيَ فِي سُكْرِ
عَرَاهَا خَبَالٌ فَهْيَ تَرْقُصُ تَرْحَةً ... وَتَنْشُدُ أَصْوَاتَ السُّرُورِ وَلَا تَدْرِى[2]
وَتَهْذِى مِنُ الحُمَّى بِمَا شَاءَ ثُكْلُهَا ... وَيَنْهَلُّ مِنْ أَجْفَانِهَا الدَّمْعُ كَالقَطْرِ

* * *

« بُنَيَّةُ لَا بَأْسٌ عَلَيْكِ مِنَ الرَّدَى ... فَإِنَّكِ فِي أَمْنٍ لَدَى بَعْلِكِ الحُرِّ

---

(١) الدمى : التماثيل (٢) الخبال : شبه جنون

عَرُوسٌ يُفَدِّيهَا بِمُهْجَتِهِ فَتًى ... لَهَا أَرْخَصَ الدُّرُّ الغَوَالِيَ فِي المَهْرِ
فَيَا أَفْرَسَ الفُرْسَانِ فِي حَوْمَةِ الوَغَى ... إِذَا سَالَتِ الأَسْيَافُ بِالأَنْفُسِ الحُرِّ [1]
تَخِذْنَاكَ بَعْدَ اللهِ حَامِيَ دَارِنَا ... وَلَيْسَ لَنَا عَوْنٌ سِوَاكَ عَلَى الضُّرِّ
فَكَيْفَ يَنَالُ المَوْتُ مَنْ أَنْتَ عَاصِمٌ ... فَيَخْطِفُهَا مِنِّي وَيَسْلَمُ مِنْ وِتْرِ ؟ [2]
لِمَنْ تَسْتَعِدُّ السَّيْفَ ؟ كُنْتُ أَوَدُّهُ ... يُرَوِّي الثَّرَى الظَّمْآنَ مِنْ مُهْجَةِ الدَّهْرِ
أَعِدُّوا لَهَا ثَوْبَ الزِّفَافِ مُرَصَّعاً ... وَصُوغُوا لَهَا الحَلْيَ الثَّمِينَ مِنَ الدُّرِّ
وَلَا تُنْكِرُوا هَذَا السُّكُونَ بِنَوْمِهَا ، ... أَلَيْسَ كَذَا نَوْمُ المُحَصَّنَةِ البِكْرِ ؟
وَدَمْعِيَ دَمْعُ الأُمِّ فِي عُرْسِ بِنْتِهَا ... فَلَا تُنْكِرُوهُ لَيْسَ فِي الدَّمْعِ مِنْ نُكْرِ »

***

لَكِ اللهُ مَا أَبْهَى زِفَافَكِ إِنَّهُ ... تَفَرَّدَ مَا بَيْنَ المَوَاكِبِ فِي « مِصْرِ »
وَلَكِنْ لِمَ الأَيْدِي تُقِلُّكِ فَوْقَهَا ... مُوَسَّدَةً وَالصَّاحِبَاتُ بِلَا عِطْرِ ؟
يَضُمُّكِ نَعْشٌ أَمْ أَرِيكَةُ زَفَّةٍ ؟ ... وَيَحْفِلُ قَوْمٌ لِلسُّرُورِ أَمِ الأَجْرِ ؟
أَلَا إِنَّ هَذَا مَوْكِبُ المَوْتِ زَانَهُ ... لَكِ الأَهْلُ بِالطَّرْزِ الأَنِيقِ وَبِالزَّهْرِ
وَأُمُّكِ لَا يَكْفِي التَّفَجُّعَ قَلْبُهَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي صُورَةِ السَّعْدِ وَالبِشْرِ

***

فَيَا شَمْسَ حُسْنٍ بَكَّرَتْ فِي زَوَالِهَا ... لَئِنْ غِبْتِ فَالزُّهْرُ الثَّوَابِتُ فِي الإِثْرِ
بَكَيْتُكِ لَا أَنِّي عَرَفْتُكِ إِنَّمَا ... لِخَطْبِكِ هَذَا كُلُّ نَاضِبَةٍ تَجْرِي [3]

---

(١) الوغى : ميدان القتال (٢) وتر : انتقام (٣) ناضبة : عين جف ماؤها

الزهـــر

أهديت الى إحدى عقائل المجد من السيدات المحسنات فى باريس

آذَنَتِ الشَّمْسُ بِالتَّوَارِى   وَقَدْ طَوَتْ رَايَةَ الأَصِيلِ
وَأَقْبَلَتْ زِينَةُ الدَّرَارِى   تَشْفِي بِلأْلاَئِهَا الْغَلِيلِ

***

كَمْ كَوْكَبٍ فِي الظَّلاَمِ يَبْدُو   لَـكِنَّهَا رَبَّةُ النُّجُومِ
لَهَـا جَوَارٍ مِنْهَا وَجُنْدُ   كَجَوْهَرٍ حَوْلَهَـا نَظِيمِ
هَوَاؤُهَا عَنْبَرٌ وَنَدٌّ   غِذَاؤُهَا النُّورُ وَالنَّعِيمِ
تَسْرَحُ مَنْشُورَةَ الرِّدَاءِ   فِي مَسْرَحِ اللَّهْوِ وَالذُّهُولِ
خَائِضَةً أَبْحُرَ الْهَنَاءِ   فِي نَسَمٍ كُلُّهَا قَبُولِ

***

لَـكِنَّهَا غَادَةٌ غَيُورُ   ـ وَأَيُّ حَسْنَاءَ لاَ تَغَارْ ـ ؟
فَرُبَّمَا سَاءَهَا نَظِيرُ   تَرَى غَدِيراً بِهِ اسْتَنَارْ
فَكَادَ مِنْ لَحْظِهَا يَثُورُ   نَبْعٌ طَفُورٌ مِنَ الشَّرَارْ
مَنْ يَخْلُ مِنْ شَاغِلِ الْعَنَاءِ   فَوَهْمُهُ الشَّاغِلُ الثَّقِيلْ
رَسْمُكِ هَذَا فِي حَوْضِ مَاءِ   يَا مَنْ تَنَزَّهْتِ عَنْ مَثِيلْ

***

هَوَاكِ عَذْبٌ بِلَا عَذَابِ   وَمِنْكِ تَحْلُو لَنَا الشُّجُونْ
وَفِيكِ ضَوْءٌ بِلَا الْتِهَابِ   تَقَرُّ مِمَّا صَفَا الْعُيُونْ
وَحَبَّذَا أَنْتِ فِي اضْطِرَابِ   وَحَبَّذَا أَنْتِ فِي سُكُونْ
كَلَمْعَةِ السَّعْدِ فِي الشَّقَاءِ   كَدَمْعَةِ الْوَجْدِ فِي الْمَسِيلِ
كَالْبِكْرِ بِالْحُسْنِ وَالْحَيَاءِ   وَغَضُّهَا طَرْفَهَا الْكَحِيلِ

الوردتـــان

اطلعت على الموشحة الآنفة آنسة شرقية من أوانس البيوتات المشهورة . فبدا للناظم أنهـا تتمنى أن ينظم مثلها ويهـديها اليها . فأجابها الى ما تمنت

تَبَارَكَ اللهُ فَهْوَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُبْـدِعَ الـكِيَانْ
أَبْدَأَهُ فِـكْرُهُ ، وَلَمَّا يَقُلْ لِمَا شَاءَ كُنْ فَـكَانْ

***

فَجَاء ذَا العَالَمُ العَظِيمُ لَفْظاً لِفِـكْرٍ تَصَوَّرَهْ
أَلشَّمْسُ وَالأَرْضُ وَالنُّجُومُ مِن مُظْلِمَاتٍ وَمُبْصِرَهْ
كَأَحْرُفٍ سِفْرُهَا الرَّقِيمُ مُذْهَبَـةٍ أَوْ مُحَبَّرَهْ[1]
جَمِيعُهَا اسْمٌ وَهْوَ المُسَمَّى فِي سَعَةِ الخَلْقِ وَالزَّمَانْ
وَكُلُّ حَرْفٍ حَوَى لَهُ اسْماً يَضِيقُ عَنْ ضَمِّهِ المَكَانْ

***

وَنَوَّرَ اللهُ بِابْتِسَامِ تَمْثِيلُهُ البَاهِرُ البَدِيعْ
وَزَانَ مَا فِيهِ مِنْ نِظَامِ بِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ البَدِيعْ
فَعَقَّبَ الشَّمْسَ بِالظَّلَامِ وَدَبَّجَ العَامَ بِالرَّبِيعْ
وَأَنْهَضَ الشَّاهِقَ الأَشَمَّا وَأَقْعَدَ الغَوْرَ فَاسْتَكَانْ[2]

---

(١) سفرها الرقيم : كتابها فضاء السماء (٢) الشاهق الأشم : الجبل العالي . الغور : المتطامن من الأرض

وَمَدَّ مَاءٌ جَرَى خِضَمَّا وَتَحْتَهُ النَّارُ فِي أَمَانْ[1]

* * *

يَا رَبِّ أَعْظِمْ بِمَا وَضَعْتَا فِي الْكَوْنِ مِنْ آيِكَ الْعِظَامْ[2]

أَدَقُّ شَيْءٍ مِمَّا صَنَعْتَا كَجُمْلَةِ الْخَلْقِ بِالتَّمَامْ

وَكُلُّ جُزْءٍ بِهِ جَمَعْتَا عَجَائِبَ الْكُلِّ حَيْثُ قَامْ

نَثَرْتَ نَثْراً فَجَاءَ نَظْماً بَدِيعُهُ حِلْيَةُ الْبَيَانْ

وَكُلُّ بَيْتٍ مِنْهُ اسْتَتَمَّا قَصِيدَةٌ تَخْلُبُ الْجَنَانْ[3]

* * *

لَكِنَّ فِي صُنْعِكَ الْجَلِيلِ أَحَبَّ شَيْءٍ لَنَا الزَّهَرْ

خَلَقْتَهُ بَهْجَةَ الْعُقُولِ وَمَرْتَعَ النَّحْلِ وَالْفِكَرْ

تَكَادُ مِنْ خَلْقِهِ الْجَمِيلِ تَسْتَجْمِعُ النَّفْسَ فِي الْبَصَرْ

عَبِيرُهُ لَا يُمَلُّ شَمَّا يُرَوِّحُ الْقَلْبَ وَهْوَ عَانْ

وَنُورُهُ قَدْ يُخَالُ فَهْمَا لِمَا يُرَى فِيهِ مِنْ مَعَانْ

* * *

طَوَائِفٌ هَذِهِ الْأَزَاهِرْ وَكُلُّ حِزْبٍ لَهُ أَمِيرْ

مَلِيكُهَا الْوَرْدُ لَمْ يُكَابِرْ مُنَاظِرٌ فِيهِ أَوْ نَظِيرْ

تَقَلَّدَ التَّاجَ مِنْ جَوَاهِرْ وَقَامَ لِلْحُكْمِ فِي السَّرِيرْ

---

(١) خضما : بحراً (٢) آيك : آياتك (٣) تخلب الجنان : تسحر القلب

لَـكِنْ يَقُولُونَ جُرْتِ ظُلْماً فِي الزَّهْرِ يَا وَرْدَةَ الْجِنَانْ
لأَنْتِ أَبْهَى وَأَنْتِ أَسْمَى مِنْ أَنْ تُقِيمِي لِلْعَدْلِ شَانْ

***

خُلِقْتِ بَيْضَاءَ كَالرَّجَاءِ فَهَامَ فِي حُبِّكِ النَّسِيمْ
فَرَاحَ مُذْ دَارَ فِي الْفَضَاءِ مُقَبِّلاً ثَغْرَكِ الْوَسِيمْ
فَبِتِّ فِي حُمْرَةِ الْحَيَاءِ لِذَلِكَ الْمُنْكَرِ الْجَسِيمْ
ذَنْبٌ تَحَـمَّلْتِمَاهُ قِدْمَا فَلَبِثَ الْوَرْدُ وَهْوَ قَانْ[1]
كَذَاكَ جَاءَتْ حَوَّاءُ إِثْماً فَعُوقِبَ النَّسْلُ غَيْرُ جَانْ

***

فَدَتْكِ مَهْمَا كَسَبْتِ وِزْرَا أَزَاهِرُ الرَّوْضِ وَالْحِجَالْ[2]
أَلَا فَتَاةٌ أَجَـلُّ قَدْراً كَرِيمَةُ الْخُلْقِ وَالْخِلَالْ
تَبَرُّ بِالْبَائِسِينَ بِرّاً وَتَشْتَرِي أَنْفُساً بِمَالْ
كِلْتَاكُمَا وَرْدَةٌ تُسَمَّى لَـكِنَّهَا وَرْدَةُ الْحِسَانْ
وَأَفْضَلُ الْوَرْدَتَيْنِ حُكْماً جَمِيـلَةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانْ

(١) قان : أحمر (٢) كسبت وزراً : جنيت ذنباً . الحجال : مقصورات النساء

قضيـــة

بين القلب والعين

مداعبة مقتبسة عن تخيل بعض الغزليين من شعراء العرب

عرض القضية

بَيْنَ قَلْبِي وَمُقْلَتِي تَحْلَةٌ تُوهِنُ الْقُوَى
وَنِزَاعٌ بِفَصْلِهِ حَكَمًا قَاضِيَ الْهَوَى

الدفاع عن العين

إِنَّمَا الْعَيْنُ أَبْصَرَتْ فَصَبَا الْقَلْبُ وَاكْتَوَى
عَرَضًا أَبْصَرَتْ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا لِمَنْ نَوَى

الدفاع عن القلب

وَهُوَ لَوْلَا طُمُوحُهَا لَمْ يَبِتْ شَاكِيَ الْجَوَى
مُسْتَمِرًّا خُفُوقُهُ كُلَّمَا نَسَّمَ الْهَوَا
يَتَلَظَّى وَمَا لَهُ مِنْ نَدَى الدَّمْعِ مُرْتَوَى

الحكم الابتدائى

قَالَ قَاضِي الْغَرَامِ مِنْ سُدَّةٍ فَوْقَهَا اسْتَوَى
إِنْ تَكُ الْعَيْنُ أَذْنَبَتْ حَسْبُهَا السُّهْدُ وَالنَّوَى
كَيْفَ تُجْزَى وَمَا غَوَتْ وَسِوَاهَا الَّذِي غَوَى
فَعَلَى الْقَلْبِ غُرْمُهُ هِيَ لَمْ تَجْنِ بَلْ هُوَا

حكم الاستئناف

بَلْ هِيَ الْعَيْنُ سَبَّبَتْ وَهُوَ جَارَى فَمَا ارْعَوَى
فَلْيُعَاقَبْ كِلَاهُمَا فَهُمَا فِي الْهَوَى سَوَا

النقض والابرام

أَلْقُلُوبُ وَالْمُقَلُ هُنَّ لِلْهَوَى رُسُلُ[1]
رَبُّهَا وَآمِرُهَا يَقْتَضِي فَتَمْتَثِلُ
حَاكِمٌ مَشِيئَتُهُ لَا تَرُدُّهَا الْحِيَلُ
أَلْوُجُودُ دَوْلَتُهُ أَرْضُنَا بِهَا عَمَلُ[2]
أَلْأَمِيرُ خَادِمُهُ وَالْحَكِيمُ وَالْبَطَلُ

(١) المقل : العيون (٢) عمل : ولاية

أَلنُّجُومُ فِي يَدِهِ تَنْتَحِي وَتَنْتَقِلُ
أَلْحَيَاةُ مَوْطِنُهُ وَالْخَلَائِقُ السُّبُلُ
أَلدَّوَامُ مَبْدَؤُهُ وَالنِّهَايَةُ الْأَزَلُ
أَلسَّنَى تَبَسُّمُهُ وَهْوَ ضَاحِكٌ جَذِلُ[1]
وَالدُّجَى عُبُوسَتُهُ وَالْخُطُوبُ وَالوَهَلُ[2]
أَلسُّرُورُ فِي فَمِهِ وَالْعَذَابُ وَالأَجَلُ
مَنْ يُطِيقُ حَمْلَتَهُ مَنْ لَهُ بِهَا قِبَلُ[3]
عَيْنُكَ الَّتِي نَظَرَتْ مِنْهُ جَاءَهَا المَيَلُ[4]
وَالفُؤَادُ طَاوَعَهَا وَهْوَ مُكْرَهٌ وَجِلُ
فَالمُسِيءُ غَيْرُهُمَا مَا إِلَيْهِ مُتَّصِلُ
إِنَّمَا الْعِقَابُ لَهُ لَوْ تُعَاقَبُ الْعِلَلُ

(١) السنى . النور (٢) الدجى : الظلام . الخطوب والوهل : المصائب والخوف
(٣) قبل : قدرة (٤) الميل : الأعراف

نابوليون الأول

وجندي يموت

أَمَاتَ أُولَئِكَ الجُنْدُ الْكِرَامُ ... وَلَمْ يَثْبُتْ لَهُمْ أَثَرٌ مُقَامُ ؟

سِوَى قَوْلِ الرُّوَاةِ حَيُوْا لِيَقْضُوا ... مُنَى رَجُلٍ كَبِيرٍ ثُمَّ نَامُوا

تَفَانَوْا فِي بِنَاءِ اسْمٍ عَظِيمٍ ... وَمَا أَسْمَاؤُهُمْ إِلَّا الرَّغَامُ[1]

يُسَخِّرُ رَبُّكَ الدُّنْيَا لِفَانٍ ... وَفِي الدُّنْيَا وَفِيهِ لَهُ مَرَامُ

فَيُلْقِي مِنْ مَحَبَّتِهِ عَلَيْهِ ... وَتُوشِكُ أَنْ تُوَحِّدَهُ الأَنَامُ

* * *

كَذَاكَ أَحَبَّ « نَابُلْيُونَ » جُنْدٌ ... هُمُ بِفَخَارِهِ نَهَضُوا وَقَامُوا

أَبَالِسُ لَا تُرَدُّ وَلَا تُلَاقَى ... مَلَائِكُ لَا تُصَدُّ وَلَا تُضَامُ

أَعِزَّةُ يَوْمِ « أُسْتِرْلِتْسَ » كَانُوا ... قَلِيلًا وَالعِدَى كُثْرٌ ضِخَامُ

تَلَاقَوْا مُقْبِلِينَ عَلَى اشْتِيَاقٍ ... وَلَكِنْ لَا وِدَادَ وَلَا سَلَامُ

وَكَانَتْ قُبْلَةُ الأَشْوَاقِ فِيهِمْ ... ضِرَامًا لَا تَقَرُّ عَلَيْهِ هَامُ

وَطَالَ وَمَا شَفَى لَهُمُ غَلِيلًا ... مِنَ الوَجْدِ التَّعَانُقُ وَالِّلزَامُ

* * *

فَلَمْ يَكُ مُجْدِيَ الرُّوسِ التَّفَانِي ... وَلَا الْحُلَفَاءَ بَأْسٌ وَاقْتِحَامُ

---

(١) الرغام : التراب

وَلَا عَصَمَ الصَّقِيعُ وَكَانَ مِنْهُ مَعَاقِلُ خَلْفَهَا لَهُمُ اعْتِصَامُ[1]
وَقُيِّضَ لِلْفَرَنْسِيِّينَ نَصْرٌ أَتَاهُمْ فَوْقَ مَا ظَنُّوا وَرَامُوا
فَطَابُوا فِي الْغَبُوقِ بِهِ نُفُوساً وَرَاقَ لَهُمْ مَعَ الظَّفَرِ الْمُدَامُ[2]
وَحَدَّثَ قَوْمَهُ الصُّعْلُوكُ مِنْهُمْ بِمَا كَانَتْ وَقَائِعُهُ الْجِسَامُ

* * *

وَكَانَ فَتًى لَهُ سِيمَا زَعِيمٍ يُنَكِّرُهُ التَّفَرُّدُ وَالظَّلَامُ
عَرِيضُ الْجَبْهَةِ الْغَرَّاءِ يَبْدُو بِهَا شَعْرٌ كَمَا رَقَّ الْغَمَامُ
حَدِيدُ النَّاظِرَيْنِ إِذَا أُثِيرَا فَمِصْبَاحَانِ مِلْؤُهُمَا ضِرَامُ[3]
تَرَاهُ الْعَيْنُ جَبَّاراً عَظِيماً لِهَيْبَتِهِ وَإِنْ قَصُرَ الْقَوَامُ
يَمُرُّ بِهِمْ وَقَدْ ثَمِلُوا افْتِخَاراً وَإِعْيَاءً فَكُلُّهُمُ نِيَامُ
إِذَا تَعِبَ الْجُنُودُ فَلَيْسَ بِدْعٌ بِأَنْ لَا يَتْعَبَ الْمَلِكُ الْهُمَامُ
فَطَافَ بِهِمْ وَبِالْجَرْحَى افْتِقَاداً وَكَانَ مَبَرَّةً مِنْهُ اللِّمَامُ[4]
وَفَارَقَهُمْ إِلَى حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ مِنَ الْقَتْلَى الْجَمَاجِمُ وَالْعِظَامُ
يُشَاهِدُ مَا جَنَاهُ قَرِيرَ عَيْنٍ وَلَا حَرَجٌ عَلَيْهِ وَلَا مَلَامُ
فَمَا اسْتَرْعَاهُ إِلَّا صَوْتُ عَانٍ بِجَانِبِهِ يُصَارِعُهُ الْحِمَامُ
دَنَا لِيُغِيثَهُ فَأَمَالَ رَأْساً لَهُ عَنَتِ الْقَيَاصِرَةُ الْعِظَامُ

---

(١) الصقيع : الجليد (٢) الغبوق : شرب المساء وهو خلاف الصبوح
(٣) حديد : حاد (٤) اللمام : الافتقاد

وَأَلْقَى رُكْبَتَيْهِ عَلَى صَعِيدٍ   يُمَازِجُ تُرْبَهُ الدَّمُ وَالْحُطَامُ(1)

عَتِيٌّ مَا جَثَا لِلَّهِ إِلَّا   وَمَرْكَبُهُ عَلَى عَمَدٍ يُقَامُ

فَحَلَّ عَنِ الْفَتَى ثَوْبًا خَضِيبًا   كَأَنَّ ثُقُوبَهُ فِيهِ كِلَامُ(2)

وَأَبْصَرَ فِي تَرَائِبِهِ صُدُوعًا   عَلَى دَخَلٍ يَعِزُّ لَهَا الْتِئَامُ(3)

فَلَمَّا ثَابَ لِلْعَانِي شُعُورٌ   نَفَاهُ الضَّعْفُ عَنْهُ وَالسَّقَامُ(4)

وَأَدْرَكَ مَنْ بِجَانِبِهِ تَرَاءَى   بِطَرْفَيْهِ الْكَلِيلَيْنِ اضْطِرَامُ

أَرَادَ إِبَانَةً عَمَّا تَنَادَتْ   جَوَارِحُهُ بِهِ فَعَصَى الْكَلَامُ

فَغَضَّ الطَّرْفَ ثُمَّ رَنَا فَأَلْقَى   مُفَاضَتَهُ يُضِيءُ بِهَا وِسَامُ

فَجَمَّعَ مَا تَبَقَّى مِنْ قُوَاهُ   وَأَسْعَدَهُ عَلَى النُّطْقِ الذِّمَامُ

فَصَاحَ: «فِدَاكَ يَا مَلِكِي حَيَاتِي»   وَمَاتَ وَفِي مُحَيَّاهُ ابْتِسَامُ

---

(1) صعيد : أرض . حطام : ما تكسر من اليبس   (2) كلام : جراح

(3) ترائب : عظام الصدر . دخل : غش   (4) ثاب : رجع

تهنئة

لسمو الخديو عباس الثاني على أثر فتح السودان

وكان سموه قد جال الأمصار في أوربا وعاد سالماً غانماً

أَلنِّيلُ عَبْدُكَ وَالمِيَاهُ جَوَارِي ... بِاليُمْنِ وَالبَرَكَاتِ فِيهِ جَوَارِ (١)

أَمَّنْتَهُ بِمَعَاقِلٍ وَجَوَارِي ... وَجَعَلْتَهُ مُلْكاً عَزِيزَ جِوَارِ (٢)

أُنْظُرْ سَفَائِنَكَ الَّتِي سَيَّرْتَهَا ... فِيهِ كَالأَطْوَادِ عَلَى التَّيَّارِ

وَانْظُرْ جُنُودَكَ فِي الفَلَاةِ تَحَمَّلُوا ... شَرَّ العِقَابِ لِأُمَّةٍ أَشْرَارِ

حَصَرُوا العَدُوَّ فَمَا وَقَتْهُ حُصُونُهُ ... مِنْ بَأْسِهِمْ وَكَثَافَةُ الأَسْوَارِ

يَفْنَى بِمَقْذُوفَاتِهِمْ حَرْقاً كَمَا ... تَفْنَى الفَرَائِسُ وَالسِّبَاعُ ضَوَارِ

وَيُدَمِّرُ النَّسَّافُ شُمَّ قِلَاعِهِ ... فَيُثِيرُهَا مَنْثُورَةً كَغُبَارِ

وَيَدُكُّ مِنْ شُوسِ الرِّجَالِ مَعَاقِلَا ... فَيَظَلُّ شَكْلُ المَوْتِ شَكْلَ دَمَارِ (٣)

مَنْ لَمْ يُبَدْ بِالسَّيْفِ مِنْهُمْ وَالقَنَا ... فَهَلَاكُهُ بِالمَاءِ أَوْ بِالنَّارِ

قَوْمٌ بَغَوْا فَجَنَوْا ثِمَارَ فَسَادِهِمْ ... بِالمُوبِقَاتِ ، وَتِلْكَ شَرُّ ثِمَارِ

وَلَوِ الزَّمَانُ أَرَادَ ، عَادُوا خُضَّعاً ... لِجَمِيلِ رَأْيِكَ عَوْدَ الاسْتِغْفَارِ

لَـٰكِنْ أَبَى لَكَ أَنْ تَفُوزَ مُسَالِماً ... وَقَضَتْ بِذَلِكَ حِكْمَةُ الأَقْدَارِ

(١) جواري : حوادم (٢) جواري : سفن (٣) شوس : أبطال

فَسَقَيْتَ صَادِيَةَ النِّصَالِ دِمَاءَهُمْ وَكَفَيْتَ خَيْلَكَ دَاءَ الاسْتِقْرَارِ
بِالأَمْسِ كَانُوا دَوْلَةً مَعْدُودَةً وَاليَوْمَ هُمْ خَبَرٌ مِنَ الأَخْبَارِ
بِالأَمْسِ كَانُوا سَادَةً وَاليَوْمَ هُمْ بَعْضُ العَبِيدِ بِصُورَةِ الأَحْرَارِ
بِالأَمْسِ يَمْلِكُ فِي الرِّقَابِ أَمِيرُهُمْ وَاليَوْمَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ بِفِرَارِ
صَغُرُوا لَدَيْكَ فَلَمْ تَسِرْ لِقِتَالِهِمْ وَهُمُ الكِبَارُ رَمَيْتَهُمْ بِكِبَارِ
وَمَضَيْتَ تَمْلِكُ أَمْرَهُمْ مِنْ قَبْلِمَا شَبَّ النِّزَالُ وَآذَنُوا بِبَوَارِ
تَجْرِي « بِسَيِّدِ مِصْرَ » فُلْكٌ ضَمَّهَا فُلْكٌ مِنَ الدَّأْمَاءِ غَيْرُ مُدَارِ
سَيَّارَةٌ جُنْحَ الظَّلَامِ مُنِيرَةٌ فِي الأُفْقِ مِثْلَ الكَوْكَبِ السَّيَّارِ
أَوْ يَسْتَقِلُّ بِهِ مُغِيرٌ مُنْجِدٌ جَوَّابُ آفَاقٍ كَبَرْقٍ وَارِي
تَتَقَذَّفُ النِّيرَانُ مِنْهُ كَأَنَّهُ أَسَدٌ مُثَارٌ فِي طِلَابَةِ ثَارِ
سِرْ كَيْفَ شِئْتَ لَكَ القُلُوبُ مَنَازِلٌ أَنَّى انْتَقَلْتَ فَمِصْرُ فِي الأَمْصَارِ
وَاُطْوِ لِلْفَارِبَ خَافِياً لَوْ أَنَّهَا تُخْفِي عُلَاكَ مَطَالِعُ الأَنْوَارِ
وَتَلَقَّ فِي دَارِ الخِلَافَةِ مُشْرِفاً مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وَمِنْ إِكْبَارِ
وَارْجِعْ إِلَى الدَّارِ الَّتِي أَوْحَشْتَهَا عَوْدَ الرَّبِيعِ إِلَى رُبُوعِ الدَّارِ
وَاهْنَأْ بِأَبْهَجِ مُلْتَقَى مِنْ أُمَّةٍ تَهْوَاكَ فِي الإِعْلَانِ وَالإِسْرَارِ
حَلَّتْ سَرَائِرُهُمْ سَوَادَ عُيُونِهِمْ شَوْقاً إِلَيْكَ فَتَرْنَ فِي الأَبْصَارِ
أَهْلًا بِرَبِّ النِّيلِ وَالوَادِي بِمَا فِيهِ مِنَ الأَرْيَافِ وَالأَقْطَارِ

بِالعَازِمِ العزمَاتِ وَهِىَ صَوَادِقٌ وَمُعَاقِبِ الظُّلُمَاتِ بِالأَسْحَارِ
بِالفَاتِحِ البَانِى لِمِصْرَ مِنَ العُلَى صَرْحاً يُزَكِّى شَاهِدَ الآثَارِ
وَمُعَقَّبِ الفَخْرِ التَّلِيدِ بِطَارِفٍ لَوْلَاهُ كَادَ يَكُونَ سُبَّةَ عَارِ
فَخْرٌ تَحَوَّلَ مَهْدُهُ لَحْداً لَهُ زَمَناً وَعَادَ اليَوْمَ مَهْدَ فَخَارِ

نصيحة

للصديق الفاضل يوسف أفتيموس افندى المهندس

هَبْ أَنَّ قَلْبَكَ عَبْدُ رِقَّتِهِ فَارْحَمْ وَأَعْتِقْهُ مِنَ الرِّقِّ
وَلِكُلِّ شَىْءٍ بَادِىءٍ أَجَلٌ حَتَّى النَّدَى وَاللُّطْفِ وَالرِّفْقِ
وَاعْلَمْ ، حَمَاكَ اللهُ ، أَنَّكَ لَمْ تُرْسَلْ كَفِيلَ مَصَالِحِ الخَلْقِ
تُشْنِى ، وَيُفْقِرُكَ الجَمِيلُ فَكَمْ تَجْنِى عَلَيْكَ مَكَارِمُ الخُلْقِ

الى
جميــلة أديبة

يَا عُيُوناً تَسْقِي العُيُونَ الرَّحِيقَا ... وَاصِلِي مُدْمِناً أَبَى أَنْ يُفِيقَا[1]

أَسْكِرِينِي عَلَى الدَّوَامِ وَأَفْنِي ... مُهْجَتِي أَدْمُعاً وَعَزْمِي حَرِيقَا

تِلْكَ خَمْرُ الْحَيَاةِ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا ... مَرَّةً لَيْسَ بِالْحَيَاةِ خَلِيقَا

وَهْيَ حُسْنُ الْحَيَاةِ سَعْداً وَبُؤْساً ... وَاصْطِبَاحاً لِشَرْبِهَا وَغَبُوقَا[2]

أَنْتِ يَا مَنْ سَقَتْ فُؤَادِيَ مِنْهَا ... حَرَّ وَجْدٍ وَلَوْعَةً وَخُفُوقَا

إِظْلِمِينِي مَا شَاءَ ظُلْمُكِ وَانْهِي ... آمِرَ الْحُسْنِ أَنْ يَكُونَ شَفِيقَا

عَذِّبِينِي فَقَدْ جَنَيْتُ عَلَى نَفْــــسِي وَأَمْسَيْتُ بِالْعِقَابِ حَقِيقَا

فَلِهَذَا الْعِقَابِ عَاوَدْتُ حُبِّي ... وَلِأَلْقَاهُ خُنْتُ عَهْداً وَثِيقَا

* * *

رُبَّ لَيْلٍ مُحَيِّرُ النَّجْمِ غَضٌّ ... فِيهِ لَا يَهْتَدِي الضَّلُولُ طَرِيقَا

ضَمَّنِي مُثْقَلًا بِهَمٍّ كَبَحْرٍ ... ضَمَّ فِي جَوْفِهِ الْبَعِيدِ غَرِيقَا

أَحْسِبُ السُّرْجَ فِي حَشَاهُ قُرُوحَا ... وَأَرَى الشُّهْبَ فِي سَمَاهُ حُرُوقَا

فِيهِ نَامَتْ «سُعَادُ» نَوْمًا هَنِيئاً ... وَتَسَهَّدْتُ مُسْتَهَامًا مَشُوقَا

---

(١) الرحيق : الخمر . مدمناً ، المدمن : دائم السكر (٢) شربها : شاربها . الاصطباح والاغتباق : شرب الصباح وشرب المساء

حَيْثُمَا وارَتْنِي دُجاهُ غُرُوباً أَبْصَرَتْنِي عَيْنُ الصَّبَاحِ شُرُوقَا
قَدْ تَلَقَّيْتُهُ وَكَانَ كَثِيفاً ثُمَّ وَدَّعْتُهُ وَكَانَ رَقِيقَا
رَقَّ فَانْحَلَّ فَانْتَفَى غَيْرَ مُبْقٍ لِيَ مِنْهُ إِلَّا خَيَالًا دَقِيقَا
ظَلَّ فِي جَانِبِي نَحِيلًا نُحُولِي كَالشَّقِيقِ الأَبَرِّ يَرْعَى شَقِيقَا

* * *

أَيُّهَا النَّائِمُونَ يَهْنِيكُمُ النَّوْ مَ وَلَا زَالَ حَظِّيَ التَّأْرِيقَا
إِنْ يَكُ السَّاهِرُونَ مِثْلِي كَثِيراً « فَسُعَادٌ » أَسْمَى وَأَسْنَى عَشِيقَا[1]
فَاتَنِي مِنْ جَمَالِهَا الْوَجْهُ طَلْقاً لَا يُبَاهَى ، وَالْقَدُّ لَدْناً رَشِيقَا
فَاتَنِي عَقْلُهَا الَّذِي يُبْدِعُ الْخَا طِرَ رُوحًا وَهَيْكَلًا وَعُرُوقَا
فَاتَنِي نَظْمُهَا الْقَرِيضَ كَمَا تَنْـ ـظِمُ عِقْداً فِي جِيدِهَا مَنْسُوقَا[2]
فَاتَنِي لُطْفُهَا الَّذِي يُنْعِشُ الوَجْـ ـدَ وَلَوْ شَاءَ أَنْعَشَ التَّوْفِيقَا
وَيُقِيمُ الآمَالَ فِي النَّفْسِ كَالنُّو رِ يُحِيلُ الْبُذُورَ زَهْراً أَنِيقَا[3]
فَتَنْ قَيَّدَتْ بِهِنَّ فُؤَادِي ، وَأَرَانِي ـ إِذَا شَكَوْتُ ـ عَقُوقَا
كُلُّ مُسْتَأْسَرٍ يَوَدُّ انْطِلَاقاً وَشَقَائِي بِأَنْ أَكُونَ طَلِيقَا

(١) عشيقاً : معشوقة (٢) القريض : الشعر (٣) أنيقاً : جيلا

يوسف أفنـــدى

حكاية تسمية بعض البرتقال بهذا الاسم فى مصر

خَرَجَتْ «هِنْدُ» ذَاتَ يَوْمٍ وَ«فَوْزٌ» ... وَ«سُعَادٌ» يَهِمْنَ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ (١)

يَتَهَادَيْنَ فِي الرِّيَاضِ أَصِيلًا ... لَاعِبَاتٍ تَوَارِكاً كُلَّ جِدٍّ (٢)

فَرِحَاتٍ يَرَيْنَ مَا أَلِفَتْهُ ... كُلُّ عَيْنٍ كَحَادِثٍ مُسْتَجَدٍّ

* * *

كَانَ فَصْلُ الْخَرِيفِ وَالْوَقْتُ أَصْفَى ... مَا يَكُونُ اعْتِدَالُ حَرٍّ وَبَرْدِ

تَبْعَثُ الشَّمْسُ بَاهِرَاتِ شِعَاعٍ ... تَغْتَدِي فِي انْحِدَارِهَا شِبْهَ رُبْدِ (٣)

فَهْيَ فِي الْأُفْقِ تَارَةً مَسَحَاتٌ ... مِنْ بَهَارٍ ، وَتَارَةً نَثْرُ وَرْدِ

وَهْيَ بَيْنَ الْغُصُونِ نَسْجٌ دَقِيقٌ ... مِنْ نُضَارٍ يَشِفُّ عَنْ لَازَوَرْدِ (٤)

* * *

شَارَفَتْ «هِنْدُ» رَوْضَةً ثُمَّ قَالَتْ ... وَهْيَ تَفْتَرُّ عَنْ جَوَاهِرِ عِقْدِ : (٥)

أَنْظُرَاهَا ، خَلِيلَتَيَّ ، أَلَيْسَتْ ... شِبْهَ بَيْتٍ كَثِيرِ أَهْلٍ وَوُلْدِ ؟

حَبَّذَا هَذِهِ الثِّمَارُ الرَّضِيعَا ... تُ تَعَلَّقْنَ : كُلُّ طِفْلٍ بِنَهْدِ

وَبِجَدَّى شَيْخٌ مِنَ الدَّوْحِ صُلْبٌ ... هُوَ ثَرْثَارَةٌ عَبُوسٌ كَجَدِّي (٦)

---

(١) يهمن : يسرن بلا قصد (٢) يتهادين : يتمايلن (٣) ربد : سمراء سنجابية
(٤) نضار : ذهب (٥) تفتر : تتبسم (٦) بجدى : أفندى بجدى . الدوح : الشجر العظيم

فتضاحكْنَ مِنْ مَقَالةِ «هِنْدٍ» وتمايلْنَ عَنْ أفانِينَ رَنْدٍ[1]

***

عجباً كانَ للصَّوَاحِبِ مَرْأى كُلُّ هذا وكانَ مألوفُ عَهْدِ
فَتَمادَيْنَ في المسيرِ يَميناً وشمالاً وما شَعَرْنَ بِكَدٍّ
صَافياتِ الأفكارِ مِنْ كُلِّ هَمٍّ خالياتِ القُلُوبِ مِنْ كُلِّ وَجْدِ

***

لَمحَتْ «فَوْزُ» لمحةً أعْجَبَتْها فأشارَتْ إلى «سُعَادَ» و«هِنْدٍ»:
مَا تُرَى هذهِ الثِّمارُ البَوَادِي كَشُمُوسٍ صَغِيرَةٍ عَنْ بُعْدِ ؟[2]
هِيَ كالبُرْتُقَالِ لَوْلا شِفاهُ قَدَّمَتْها لِلعُودِ بُغْيَةَ وِرْدِ[3]
قَالتَا: لا نَدْرِي. فقالَتْ: أعوْنَاً مِنكُمَا إنْ عَلِمْتُما ما بِوُدِّي؟
حَبَّذا الإِثْمُ لَوْ لَطَفْنا إلَيْها سارِقَاتٍ. أخافُ أفْعَلُ وَحْدِي

***

وإذا حارِسٌ بَدا مِنْ خَفَاءٍ كتَرائي الشَّيْطانِ في شَكْلِ عَبْدِ
فتهيَّبْنَهُ، فَحَيَاً بَشُوشاً عَنْ وَميضٍ في حَالِكٍ مُسْوَدٍّ[4]
قُلْنَ: يا حارسَ المكانِ أفِدْنا لِمَنِ البَيْتُ ؟ إنَّه بَيْتُ مَجْدِ
قالَ: بَيْتُ الأميرِ يُوسُفَ هذا. فَحَمِدْنَ الزِّنْجِيَّ أحْسَنَ حَمْدِ
وتراجَعْنَ هَيْبَةً صَامِتاتٍ، لَيْسَ مِنْهُنَّ مَنْ تُعِيدُ وتُبْدِي

---

(١) رند : أغصان (٢) البوادى : الظاهرة (٣) بغية ورد : طلباً للشرب
(٤) وميض : برق

آسِفَاتٍ عَلَى مُـنًى شَائِقَاتٍ فُزْنَ مِنْهَا بِخَيْبَةٍ وَبِصَدِّ[1]
نَاظِرَاتٍ إِلَى الشُّمُوسِ اللَّوَاتِي عُدْنَ عَنْهَا بِمِثْلِ أَعْيُنِ رُمْدِ
يَتَصَوَّرْنَهَا عَبِيراً ذَكِيًّا ، وَشَرَاباً عَذْباً ، وَطَعْماً كَشُهْدِ
كَانَ هَذَا لَهُنَّ هَمًّا . وَهَلْ فِي حَالَةٍ بَعْدَهُ مَظِنَّةُ سَعْدِ ؟

***

نِعْمَ ذَاكَ الزَّمَانُ ! كَانَ ، عَلَى مَا أَفْسَدَ الجَهْلُ فِيهِ ، أَطْيَبَ عَهْدِ
يَوْمَ تِلْكَ الثِّمَارُ أَنْفَسُ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ وَ«الأَمِيرُ» فِيهِمْ «أَفَنْدِى»

رأى الناظم على باب حسناء فى إحدى القرى
ورقة خضراء نابتة بين حجرين متلازمين ، فقال :

كُلٌّ لَدَيْكِ رَقِيقٌ إِذَا قَسَا القَلْبُ أَوْ رَقّْ
وَلَيْسَ فى ذَاكَ بِدْعٌ فَالصَّخْرُ عِنْدَكِ أَوْرَقْ

---

(١) منى : مشتهيات

لغــــز

في الضمير أنتِ

وفي اسم « آنِت »

أَعْرِفُ يَا سَيِّدَتِي غَادَةً ... ذِكْرُ اسْمِهَا يُغْنِي عَنِ النَّعْتِ
لَهَا مُحَيًّا كَمُحَيَّا الضُّحَى ... أَوْ كَمُحَيَّاكِ إِذَا بِنْتِ
وَقَدُّهَا الْعَادِلُ فِي مَيْلِهَا ... كَقَدِّكِ الْعَادِلِ ، إِنْ مِلْتِ
أَوَّلُ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ اسْمِهَا ... أَوَّلُ حَرْفٍ قَدْ تَعَلَّمْتِ
وَحَرْفُهُ الثَّانِي كَنَقْطِ النَّدَى ... مُنْعَقِدَ التَّاجِ مِنَ النَّبْتِ
وَحَرْفُهُ الثَّالِثُ ، إِنْ شِئْتِهِ ... ضَمِيرَ وَصْلٍ ، كَانَ مَا شِئْتِ
فَمَا الَّذِي أَلْغَزْتُ فِيهِ وَمَنْ ... فِي ذَلِكَ الْوَصْفِ تَبَيَّنْتِ ؟
فَقَالَتِ الْخَوْدُ وَقَدْ رَابَهَا : ... لَأَنْتَ أَدْرَى . قُلْتُ : بَلْ «أَنْتِ» [1]

---

(١) الخود : المرأة الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة

تبرئة

لِعَيْنَيْكِ مِنْ جَارَةٍ جَائِرَهْ شَقَائِي وَآمَالِيَ الْعَاثِرَهْ !
أَتَنْأَيْنَ عَنِّي وَتَجْفِينَنِي لِإِرْضَاءِ طَائِفَةٍ مَاكِرَهْ ؟

***

بَرِئْنَا إِلَى الْحُبِّ لَا ذَنْبَ لِي وَلَا لِحَبِيبَتِيَ الْهَاجِرَهْ
وَلَكِنَّهُمْ عَلَّمُوهَا الْجَفَا ءَ وَخَطُّوا لَهَا خُطَّةَ الْقَاصِرَهْ
وَأَصْغَوْا إِلَى قَوْلِ وَاشٍ بِهَا ، وَحَاشَ لَهَا أَنَّهَا وَازِرَهْ
أَذَاكَ الْجَبِينُ وَبِلَّوْرُهُ يُمَثِّلُ فِكْرَتَهَا الْخَاطِرَهْ ؟
أَتِلْكَ الْعُيُونُ وَأَنْوَارُهَا مَرَاءٍ لِأَخْلَاقِهَا الْبَاهِرَهْ ؟
أَتِلْكَ الشِّفَاهُ وَمَا قَبَّلَتْـهَا سِوَى الْأُمِّ وَاللِّدَةِ الزَّائِرَهْ ؟
أَذَاكَ الْقَوَامُ وَمِنْ حُسْنِهِ تَمِيلُ الْغُصُونُ لَهُ صَاغِرَهْ ؟
أَتِلْكَ الطُّفُولَةُ وَهْيَ سِيَا جُ لِرَوْضٍ بِهِ نَفْسُهَا طَائِرَهْ ؟
أَذَاكَ الْعَفَافُ وَمِمَّا صَفَا تَقَرُّ بِهِ الْمُقَلُ النَّاظِرَهْ ؟
مَحَاسِنُ بَغْيٍ وَأَخْلَاقُ إِثْمٍ وَزِينَةُ عَاطِلَةٍ فَاجِرَهْ

***

لَعَمْرِيَ إِنَّهُمُ اتَّهَمُو كِ بِمَا فِي نُفُوسِهِمُ الْخَاسِرَهْ
وَإِنَّ الَّذِي عَابَ مِنْكِ السُّفُو رَ كَمَنْ قَالَ لِلشَّمْسِ يَا سَافِرَهْ

وَإِنِّيَ أَهْوَاكِ مِلْءَ عُيُو نِي وَمِلْءَ حُشَاشَتِيَ الصَّابِرَهْ
وَمِلْءَ الزَّمَانِ ، وَمِلْءَ الْمَكَا نِ ، وَدُنْيَايَ أَجْمَعَ وَالآخِرَهْ
فَإِنْ يَسْتَمِلْكِ إِلَيَّ الْهَوَى ، وَعَيْنُ الْعَفَافِ لَنَا خَافِرَهْ
أَلَيْسَ الْهَوَى رُوحَ هَذَا الْوُجُو دِ كَمَا شَاءَتِ الْحِكْمَةُ الْفَاطِرَهْ ؟
فَيَجْتَمِعُ الْجَوْهَرُ الْمُسْتَدَقُّ بِآخَرَ ، بَيْنَهُمَا آصِرَهْ ؟[1]
وَيَأْتَلِفُ الذَّرُّ وَهْوَ خَفِيٌّ فَيَمْثُلُ فِي الصُّوَرِ الظَّاهِرَهْ ؟
وَيَحْتَضِنُ التُّرْبُ حَبَّ الْبِذَا رِ فَيَرْجِعُهُ جَنَّةً زَاهِرَهْ ؟
وَهَذِي النُّجُومُ أَلَيْسَتْ كَدُرٍّ طَوَافٍ عَلَى أَبْحُرٍ زَاخِرَهْ ؟
عُقُودٌ مُنَثَّرَةٌ بِانْتِظَا مٍ عَلَى نَفْسِهَا أَبَداً دَائِرَهْ
يُقَيِّدُهَا الْحُبُّ بَعْضاً وَكُلٌّ إِلَى صِنْوِهَا صَائِرَهْ

* * *

فَيَا « هِنْدُ » أَنْتِ مُنَى مُهْجَتِي وَنَاهِيَةُ الْقَلْبِ وَالآمِرَهْ
إِلَيْكِ أَمِيلُ وَإِيَّاكِ أَبْغِي بِعَاطِفَةٍ فِي الْهَوَى قَاهِرَهْ
وَمَا ثَمَّ عَيْبٌ نُعَابُ بِهِ مَعَاذَ صَبَابَتِنَا الطَّاهِرَهْ

---

(١) آصرة : رابطة وقرابة

إن من البيان لسحرا

حكاية شاعر فى إحدى قبائل البادية

سَرَّ الْعَذَارَى مُنْبِئٌ عَنْ شَاعِرٍ لِلْحَيِّ زَائِرْ
فَقَصَدْنَهُ وَسَخِرْنَ مِنْ زَجْرِ الْأُمَيْمَاتِ الزَّوَاجِرْ [1]
لِيَرَيْنَ فِتْنَتَهُ الَّتِي تُغْوِي الْعَفِيفَاتِ الْحَرَائِرْ
فَوَجَدْنَهُ رَجُلًا مَلِيحاً خَلْقُهُ، حَسَنَ الظَّوَاهِرْ
لَا شَيْءَ يَفْتَضِحُ النُّهَى فِيهِ كَمَا ادَّعَتِ النَّوَاهِرْ [2]
وَلَعَلَّ فِي مَنْظُومِهِ آيَاتِهِ الْكُبَرَ السَّوَاحِرْ
فَسَأَلْنَهُ إِنْشَادَ شَيْءٍ مِنْ بَدَائِعِهِ الْحَوَاضِرْ
فَأَطَاعَهُنَّ، وَمَنْ تُرَى يَعْصِي الْجَمِيلَاتِ الْأَوَامِرْ؟
فَقَعَدْنَ فِيمَا حَوْلَهُ عِقْداً فَرِيداً مِنْ جَوَاهِرْ
وَتَنَاوَلَ الرَّجُلُ الرَّبَا بَ وَفِكْرُهُ فِي الْغَيْبِ نَاظِرْ
وَأَثَارَ فِي الْأَوْتَارِ تَغْرِيداً كَأَنَّ الْعُودَ طَائِرْ
ثُمَّ انْبَرَى يَرْوِي رِوَا يَتَهُ وَتَتْبَعُهُ الْخَوَاطِرْ

***

كَانَ الْأَمِيرُ « مُهَنَّدٌ » بَطَلًا شَهِيراً فِي الْعَشَائِرْ

(١) اشتهر عن نساء العرب أنها تمنع العذارى من مقابلة الشعراء
(٢) النواهر : الأمهات اللواتى نهينهن عن رؤية الشاعر

مِنْ آلِ « بَدْرَ » الْبَاسِلِيـــنَ الْبَاذِلِينَ ذَوِى الْمَفَاخِرْ[1]
يَنْضَمُّ تَحْتَ لِوَائِهِ أَلْفٌ مِنَ الأُسْدِ الْقَسَاوِرْ
رَجُلٌ كَمَا تَهْوَى الْمَحَا مِدُ خَلْقُهُ، وَالْخُلْقُ بَاهِرْ
ذُو صَـوْلَةٍ مَشْهُورَةٍ بَيْنَ الْبَوَادِى وَالْحَوَاضِرْ
وَشَجَاعَةٍ فِي الْقَلْبِ تُخْـــفِيهَا الْعُذُوبَةُ فِي النَّوَاظِرْ
تَخْشَى اللُّيُوثُ لِقَاءَهُ وَتَوَدُّ رُؤْيَتَهُ الْجَآذِرْ[2]
يَهْوَى فَتَاةً مِنْ بَنِي «حَمَدَ» الْكِرَامِ ذَوِى الْمَآثِرْ
لَكِنَّ بَيْنَ أَبِي الْفَتَا ةِ وَبَيْنَهُ ثَأْراً لِثَائِرْ.[3]
فَسَعَى لِيَخْطُبَهَا عَلَى صُلْحٍ فَعَادَ بِسَعْيِ خَاسِرْ
عَصَفَتْ حَمِيَّتُهُ بِهِ نَاهِيكَ بِالصَّبِّ الْمُخَاطِرْ
فَغَزَاهُمُ بِرِجَـــالِهِ وَبِكُلِّ ذِى ثَأْرٍ يُضَافِرْ.[4]
وَتَقَاتَـلُوا يَوْمَـيْنِ لَمْ يَظْهَرْ مِنَ الْجَيْشَيْنِ ظَاهِرْ[5]
حَتَّى اغْتَدَى ذَاكَ الْعِرَا كُ كَأَنَّهُ بَعْضُ الْمَجَازِرْ
فَدَعَا « مُهَنَّدُ » لِلْبِـرَا زِ وَقَدْ تَحَدَّى كُلَّ حَاضِرْ

* * *

مَا جَالَ إِلَّا جَوْلَتَيْ أَسَدٍ يُبَرْبِرُ وَهْوَ زَائِرْ

(١) هذه النعوت وأمثالها من مألوفات شعر الباديه (٢) الليوث : الأسود . الجآذر : الغزلان (٣) ثأر لثائر : ثأراً لطالبه (٤) يضافر : يساعد
(٥) لم يظهر من الجيشين ظاهر : لم يغلب أحدهما

حَتَّى انـبَرَى مِنْهُمْ فَتًى مُتَلَثِّمٌ ضَافِي الْغَدَائِرْ
فَتَجَاوَلَا وَكِلَاهُمَا مُتَقَحِّمٌ كَالصَّقْرِ كَاسِرْ
مَرْعَانَ مَا حَطَمَا الرِّمَا حَ فَأَعْمَلَا بِيضَ الْبَوَاتِرْ
وَتَوَاثَبَا مُتَهَالِكَيْـــنِ كِلَاهُمَا جَلْدٌ مُكَابِرْ
وَكِلَاهُمَا مُتَخَضِّبٌ بِدَمٍ وَلَـكِنْ لَا يُحَاذِرْ
كَانَ الْمُلَثَّمُ لَا يُحَا لِسُ مَقْتَـلًا مِمَّنْ يُنَافِرْ
بَلْ يَبْتَغِي إِجْهَادَهُ لِيَنَالَ مِنْـهُ وَهْوَ خَائِرْ
مُتَحَرِّزاً حَتَّى تَحَيَّـــنَ نُهْزَةَ اللَّبِقِ الْمُدَاوِرْ
فَسَطَا عَلَيْـهِ مُبَادِراً وَالْفَوْزُ أَخْلَقُ بِالْمُبَادِرْ
وَعَلَاهُ فَهْوَ مُرَوَّعٌ كَالشَّاةِ تَحْتَ رِكَابِ نَاحِرْ
قَالَ « الأَمِـيرُ » : غَلَبْتَنِي أَفَلَسْتَ تَعْفُو عَفْوَ قَادِرْ ؟
فَأَجَابَهُ مِنْ فَوْرِهِ : أَبْشِرْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ ظَافِرْ
وَنَضَا اللِّثَامَ فَأَشْرَقَتْ شَمْسٌ أَشِعَّتُهَا ضَفَائِرْ[1]
كَانَتْ حَبِيبَتَهُ الَّتِي خَاضَ الرَّدَى فِيهَا يُخَاطِرْ
فَتَعَاهَدَا وَتَعَاقَدَا بِدِمَاهُمَا لَا بِالْخَنَاصِرْ
وَتَصَالَحَ الْقَوْمَانِ فِي عُرْسٍ صَفَتْ فِيهِ السَّرَائِرْ

---

(١) نضا : أزال

مَرَّتْ مَوَارِدُهُمْ وَلَـــكِنْ بَعْدَهَا حَلَتِ الْمَصَادِرْ[1]

***

فَأَطَافَتِ الْفَتَيَاتُ فِي فَلَكٍ مِنَ الْأَفْكَارِ دَائِرْ
وَشَهِدْنَ تِلْكَ الْحَادِثَا تِ كَأَنَّ مَاضِيَهُنَّ حَاضِرْ
وَكَأَنَّهُنَّ رَأَيْنَ بِالْـ أَبْصَارِ مَا رَأَتِ الْبَصَائِرْ
ثُمَّ اسْتَزَدْنَ فَزَادَ مَا خَلَبَ الْعُقُولَ مِنَ النَّوَادِرْ
حَتَّى إِذَا هَبَطَ النَّهَا رُ كَحَطِّ رَاحِلَةِ الْمُسَافِرْ
خَتَمَ الْكَلَامَ بِمَنْ حَدِيـــثُ هَوَاهُ فِي الْأَمْثَالِ سَائِرْ
أَذْكَى وَأَبْلَغِ مَنْ عَرَتْــــهُ جِنَّةٌ لِهَوًى مُخَامِرْ
أَوْلَى وَلِيٍّ أَنْ يُقِيــــمَ الْعَاشِقُونَ لَهُ شَعَائِرْ
« قَيْسٌ » ، وَمَنْ كُفْؤٌ لَهُ بَيْنَ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرْ ؟
وَأَفَاضَ فِي وَصْفِ « الْمُلَوَّ حِ » مَا يَشَاءُ هَوَى السَّرَائِرْ[2]
إِذْ بَاتَ يَضْرِبُ فِي الْمَفَا وِزِ وَهْوَ سَاجِي الطَّرْفِ حَائِرْ
كَلِفاً طَرِيداً لَا شَفِيــــقَ وَلَا رَفِيقَ وَلَا مُؤَازِرْ
إِلَّا إِذَا مَرَّ الْغَزَا لُ بِهِ فَيَأْنَسُ وَهْوَ نَافِرْ
يَبْكِي وَيَسْتَبْكِي بِشِعْــــرٍ خَالِصُ الدَّمِ مِنْهُ قَاطِرْ
وَيُعَلِّمُ الْوَحْشَ الْأَسَى وَيُلِينُ أَحْجَارَ الْمَقَابِرْ

(١) مرّت : كانت مرّة (٢) الملوّح : هو قيس مجنون ليلى

حتَّى قَضَى فِى يَأْسِــهِ دَنِفاً مَشُوقاً غَيْرَ صَابِرْ
نَامَتْ نَوَاظِرُهُ وَلَـــكِنْ قَلْبُهُ فِى القَـبْرِ سَاهِرْ

* * *

فَبَكَيْنَ « قَيْساً » تَرْحَةً وَحَبَبْنَهُ مِلْءَ الضَّمَائِرْ
وَنَظَرْنَهُ فِى شَكْلِ مَنْ أَبْـكَى بِمَا هُوَ عَنْهُ ذَاكِرْ
ثُمَّ انْثَنَيْنَ مُكَفْكِفَا تِ دُمُوعَهُنَّ عَنِ المَحَاجِرْ
مُتَلَفِّتَاتٍ نَحْوَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ غَزِلٌ وَشَاعِرْ
كُلٌّ تَقُولُ بِلَحْظِهَا : يَا«قَيْسُ» ! إِنِّى بِنْتُ عَامِرْ (1)

* * *

تَاللّهِ أَنْصَفْتِ النَّوا صِحُ لَيْسَ هَذَا غَيْرَ سَاحِرْ

نابوليون

وهو يرقب السماء فى أخريات أيامه

قَالُوا « لِنَابُلْيُونَ » ذَاتَ عَشِيَّةٍ إِذْ كَانَ يَرْقُبُ فِى السَّمَاءِ الأَنْجُمَا
هَلْ بَعْدَ فَتْحِ الأَرْضِ مِنْ أُمْنِيَّةٍ ؟ فَأَجَابَ : أُنْظُرْ كَيْفَ أَفْتَتِحُ السَّمَا

---

(1) بنت عامر : ليلى

السور الكبير

فى الصين

الشاعر

مَا لِلمَلِيكِ مُؤَرَّقًا يَتَقَلَّبُ ؟ هَلْ يَحْمِلُ الْهَمَّ السَّرِيرُ الْمُذْهَبُ ؟
أَنْتَ الرَّجَاءُ فَأَيَّ شَيْءٍ تَرْتَجِي ؟ وَالرَّوْعُ أَنْتَ فَأَيَّ شَيْءٍ تَرْهَبُ ؟[1]
وَالْمُلْكُ جِسْمٌ أَنْتَ فِيهِ هَامَةٌ وَيَدَاكَ مَشْرِقُ شَمْسِهِ وَالْمَغْرِبُ

الملك

إِنِّي مُنِيتُ بِأُمَّةٍ مَخْمُورَةٍ مِنْ ذُلِّهَا ، وَلَهَا الْقَنَاعَةُ مَشْرَبُ
لَا ظُلْمَ يُغْضِبُهُمْ وَلَوْ أَوْدَى بِهِمْ أَتعِزُّ شَأْنًا أُمَّةٌ لَا تَغْضَبُ ؟
إِنْ يَبْكِ ثَاكِلُ وُلْدِهِ وَزَجَرْتَهُ عَنْ نَحْبِهِ ، أَلْفَيْتَهُ لَا يَنْحَبُ[2]
وَإِذَا نَهَيْتَ عَنِ الْوُرُودِ عِطَاشَهُمْ وَتَحَرَّقَتْ أَكْبَادُهُمْ ، لَمْ يَشْرَبُوا[3]
وَإِذَا أَذَبْتَ الشَّحْمَ مِنْ أَجْسَامِهِمْ تَعَبًا فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ لَا تَتْعَبُ
أَعْيَانِيَ التَّفْكِيرُ فِي أَدْوَائِهِمْ مِمَّا عَصِينَ ، وَحِرْتُ كَيْفَ أُطَبِّبُ
إِنَّ الْجَمَادَ أَبَرُّ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ بِهِمُ ، وَأَمْتَنُ فِي الدِّفَاعِ وَأَصْلَبُ

---

(١) الروع : الخوف (٢) ألفيته : وجدته (٣) الورود : الشرب

فَلَأَبْنِيَنَّ لَهُمْ جِدَاراً ثَابِتاً كَالأَرْضِ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَخَرَّبُ
تَقَعُ الدُّهُورُ وَكُلُّ جَيْشٍ ظَافِرٍ مِنْ دُونِهِ وَثَبَاتُهُ مُتَغَلِّبُ
وَتَهُزُّ مَنْكِبَهُ الصَّوَاعِقُ حَيْثُمَا شَاءَتْ وَلَا يَهْتَزُّ مِنْهُ الْمَنْكِبُ
وَيَعَضُّهُ نَابُ الصَّوَاعِقِ مُحْرِقًا فَيَرُدُّهُ كِسَراً وَلَا يَتَثَقَّبُ
وَيَمِيدُ ظَهْرُ الأَرْضِ تَحْتَ رِكَابِهِ وَرِكَابُهُ فِي الْمَتْنِ لَا تَتَنَكَّبُ
وَلَأَجْعَلَنَّ بِهِ الْبِلَادَ مَنِيعَةً يَرْتَدُّ عَنْهَا الطَّامِعُ الْمُتَوَثِّبُ
وَلَأَدْعُوَنَّ مَمَالِكِي وَشُعُوبَهَا بِاسْمِي فَيُجْمَعُ شَمْلُهَا الْمُتَشَعِّبُ
وَلَأَمْحُوَنَّ رُسُومَ أَسْلَافِي بِهَا فَيَبِيتُ مَاضِي «الصِّينِ» وَهْوَ مُحَجَّبُ
وَيُظَنُّ عَهْدِي بَدْءَ عَهْدِ وُجُودِهَا فَيَتِمُّ لِي الْفَخْرُ الَّذِي أَتَطَلَّبُ

الشاعر

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَسَنَاتُهُ فَوْقَ الَّذِي نُثْنِي عَلَيْهِ وَنُطْنِبُ
كَمْ غَزْوَةٍ لَكَ فِي عِدَاكَ عَجِيبَةٍ لَا شَيْءَ غَيْرَ نَدَاكَ مِنْهَا أَعْجَبُ
كَمْ رَجْعَةٍ قَلَّدْتَ أَقْوَامًا بِهَا أَعْنَاقَهُمْ ، وَالسَّيْفُ يُوشِكُ يَسْلُبُ
كَمْ مِنَّةٍ لَكَ فِي الْعِبَادِ جَمِيلَةٍ كَالشَّمْسِ تُنْمِي رَوْضَةً وَتُذَهِّبُ
هَذِي كَوَافِلُ حُسْنِ ذِكْرِكَ فِي الْوَرَى وَأَبَرُّ مَا يَبْقَى : الْفَعَالُ الطَّيِّبُ
يَكْفِيكَ فَخْراً أَنَّ أَعْظَمَ أُمَّةٍ تَنْضَمُّ فِي مُلْكٍ إِلَى اسْمِكَ يُنْسَبُ

فَسَلَامَ أَنْتَ تُزِيلُ ذِكْرَ مُلُوكِهَا وَأُولَئِكَ الْعُظَمَاءُ مَوْتَى غُيَّبُ
إِنْ تَمْحُ مِنْ أَسْفَارِهِمْ أَخْبَارَهُمْ فَالصَّخْرُ يُنْحَتُ وَالْمَنَاحِتُ تَكْتُبُ
وَلَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ بَعْدَكَ أَمْرَهُمْ فَتَلَامُ مَا طَالَ الْمَدَى وَتُؤَنَّبُ
خَدَعَتْكَ كَاذِبَةُ الْمُنَى بِوُعُودِهَا وَالْحُرُّ يُخْدَعُ وَالْأَمَانِي تَكْذِبُ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْحَقِيقَةِ صَادِقًا فَالذِّكْرُ لَيْسَ يُعِيدُ عُمْرًا يَذْهَبُ
أَمَّا الْجِدَارُ فَلَوْ رَفَعْتَ بِنَاءَهُ حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى ذُرَاهُ الْكَوْكَبُ
وَلَوِ الْجِبَالُ جُعِلْنَ بَعْضَ حِجَارِهِ وَالْجُنُّ حَتَّى الْمَاءُ لَا يَتَسَرَّبُ
فَلَيُحْدِثَنَّ النَّاسُ مَا هُوَ فَوْقَهُ عِظَمًا وَإِتْقَانًا وَمَا هُوَ أَغْرَبُ
وَلَتَصْنَعَنَّ نَوَاسِفٌ تُشْقِي الرُّبَى بِدُخَانِهَا مَنْشُورَةً تَتَلَهَّبُ[1]
وَلَتَنفُذَنَّ إِلَى «بَكِينَ» خَلَائِقٌ بَيْضَاءُ تَغْنَمُ مَا تَشَاءُ وَتَنْهَبُ
تَأْتِي بِهَا فَوْقَ الْبِحَارِ سَفَائِنٌ كَالْجِنِّ فِي جِدِّ الْعَوَاصِفِ تَلْعَبُ
مَاذَا يُفِيدُ السُّورُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ وَقُلُوبُهُمْ فِيهَا ضِعَافٌ هُرَّبُ
فَأَبَرُّ مِنْ تَضْيِيقِ دُنْيَاهُمْ بِهِ أَنْ تَرْحُبَ الدُّنْيَا بِهِمْ مَا تَرْحُبُ
أَلْأَمْنُ قَتَّالُ الشَّجَاعَةِ فِيهِمُ وَحَيَاتُهَا فِيهِمْ مَخَاوِفُ تُرْقَبُ
لَا يَعْصِمُ الْأُمَمَ الضَّعِيفَةَ فِطْرَةً إِلَّا فَضَائِلُ بِالتَّجَارِبِ تُكْسَبُ
فَتَكُونُ حَائِطَهَا الْمَنِيعَ عَلَى الْعِدَى وَتَكُونُ قُوَّتَهَا الَّتِي لَا تُغْلَبُ

---

(١) تشق الربى : تفتت الجبال

النرجسة

دَاعٍ دَعَاهُ إِلَى الْجِهَادِ فَأَزْمَعَا   سَفَراً وَجَادَ بِنَفْسِهِ مُتَطَوِّعَا
غَلَبَتْ حَمِيَّتُهُ هَوَاهُ لِعِرْسِهِ   فَنَأَى وَوَدَّعَ قَلْبَهُ إِذْ وَدَّعَا[1]
وَقَضَتْ «أَمِينَةُ» بَعْدَهُ أَيَّامَهَا   فِي الْحُزْنِ غَيْرَ أَمِينَةٍ أَنْ تُفْجَعَا
غَرَسَتْ بِصَحْنِ الدَّارِ زَهْرَةَ نَرْجِسٍ   لِتَكُونَ سَلْوَتَهَا إِلَى أَنْ يَرْجِعَا
كَانَتْ تُبَالِغُ فِي رِعَايَتِهَا كَمَا   تَرْعَى عُيُونُ الأُمِّ طِفْلاً مُرْضَعَا
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا عَنْ بَعْلِهَا   نَبَأٌ أَصَمَّ الْمُسْمَعِينَ وَرَوَّعَا
شُقَّتْ مَرَارَتُهَا عَلَيْهِ وَأَوْشَكَتْ   مِنْ هَوْلِ ذَاكَ الْخَطْبِ أَنْ تَتَصَدَّعَا
وَكَأَنَّ ذَاكَ الرُّزْءَ قَبْلَ وُقُوعِهِ   مِمَّا شَجَاهَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعَا[2]
فَتَفَقَّدَتْ صُبْحاً أَلِيفَتَهَا الَّتِي   كَانَتْ سَلَتْهَا حَسْرَةً وَتَوَجُّعَا
فَإِذَا نَضَارَتُهَا ذَوَتْ وَكَأَنَّهَا   عَيْنٌ أَسَالَ الْحُزْنُ مِنْهَا مَدْمَعَا

---

(١) عرسه : عروسه   (٢) الرزء : المصاب

شيخ أثينـــة

وهو آخر نذير لها أيام انحلالها على أيدى الرومانيين ودخولها فى أعمال دولتهم

يَا عِبْرَةَ الدَّهْرِ جَاوَزْتِ الْمَدَى فِينَا — حَتَّى لَيَأْنَفُ أَنْ نَنْعَاهُ مَاضِينَا

فَالسَّهْلُ قَدْ دُفِنَتْ فِيهِ مَعَاقِلُنَا — وَالْبَحْرُ قَدْ فُقِدَتْ فِيهِ جَوَارِينَا

وَانْثَلَّ مِنْ عِزِّنَا مَا عَزَّ مَطْلَبُهُ — وَانْدَكَّ مِنْ مَجْدِنَا مَا شَادَ بَانِينَا

وَعُدَّ ذَنْبًا عَلَيْنَا مَا يُشَرِّفُنَا — وَعُدَّ رِفْعًا لَنَا مَا بَاتَ يُدْنِينَا

فَازَ الْقَوِيُّ عَلَيْنَا فِي تَضَاؤُلِنَا — وَالْحَقُّ أَعْلَى وَلَـكِنْ لَيْسَ يُغْنِينَا

لَا فَخْرَ أَنْ يَغْلِبَ الْأَقْوَى مُنَاضِلَهُ — بَلْ أَنْ يَدِينَ ضَعِيفٌ مِثْلَنَا دِينَا

يَادَهْرُ إِنْ كُنْتَ لَمْ تُمْهِلْ شَبِيبَتَنَا — حَتَّى أَدَلْتَ انْحِطَاطًا مِنْ مَعَالِينَا

فَأَنْتَ خَـيْرُ مُرَبٍّ لِلْأُولَى جَهِلُوا — كَجَهْلِنَا أَنَّ تَرْكَ الْحَزْمِ يُشْقِينَا

فَزِدْ مَصَائِبَنَا حَتَّى تُنَبِّهَنَا — تَـكُنْ حَيَاةً لَنَا مِنْ حَيْثُ تُرْدِينَا

هُمْ سَقَوْا بِدَمِ الْأَكْبَادِ عَزْمَهُمُ — وَبَاتَ فِي صَدَإِ الْأَغْمَادِ مَاضِينَا

فَلَمْ تَجِئْهُمْ عُلَاهُمْ مِنْ شَوَاهِقِهِمْ — وَلَمْ يَجِئْ خَفْضُنَا مِنْ خَفْضِ وَادِينَا

كَانَتْ عَمَالِقَنَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا — وَالْقَوْلُ وَالْفِعْلُ فِي الْأَقْطَارِ مَاشِينَا

إِذَا الَّتِي أَرْضَعَتْهَا ذِئْبَةٌ فَغَدَتْ — « رُومَا » تَصَدَّتْ تُبَارِينَا فَتَبْرِينَا

حَتَّى رَمَتْنَا بِدَامِي الظُّفْرِ طَاغِيَةٍ — فَتَى دَهَاءٍ وَبَأْسٍ جَاءَ يُفْنِينَا

فِي فِتْيَةٍ مِنْ بَنِي الرُّومَانِ قَدْ أَلِفُوا — نَارَ الْوَغَى فَحَكَوْا فِيهَا الشَّيَاطِينَا

أَرْدَوْا عَسَاكِرَنَا، أَخْلَوْا دَسَاكِرَنَا، ... هَدُّوا مَنَائِرَنَا طَاغِينَ بَاغِينَا

وَلَمْ يَكُنْ جُنْدُنَا إِلَّا قَسَاوِرَةً ... أَبْلَوْا بَلَاءَ الصَّنَادِيدِ الأَشَدِّينَا

لَكِنْ صَرْفًا مِنَ الْمَقْدُورِ غَالَبَهُمْ ... فَمَا نَجَا مِنْهُمُ غَيْرُ الأَقَلِّينَا

مَا بَالُنَا بَعْدَ أَنْ دُكَّتْ مَدِينَتُنَا ... وَامْتَدَّ حُكْمُ الأَعَادِي فِي نَوَاحِينَا

صِرْنَا حَيَارَى سُكَارَى مِنْ تَخَاذُلِنَا ... وَأَسْعَفَتْهُمْ يَدَانَا فِي تَلَاشِينَا

وَأَصْبَحَتْ دَارُنَا وَالْكَوْنُ تَابِعُهَا ... مَثْوًى لَهُمْ وَمَوَالِيهِمْ مَوَالِينَا

تَاللهِ مَا غَلَبُونَا حَيْثُ بَاسِلُنَا ... قَضَى قَتِيلًا وَنَالُوا مِنْ نَوَاصِينَا

لَكِنَّهُمْ غَلَبُونَا حِينَ مَلَّكَهُمْ ... أَزِمَّةَ الأَمْرِ شَادِينَا وَرَاضِينَا

فَمَا هُمُ بِأَعَادِينَا : خَلَائِقُنَا ... هِيَ الَّتِي أَصْبَحَتْ أَعْدَى أَعَادِينَا

أَلْيَوْمَ «رُومَا» هِيَ الدُّنْيَا وَصَوْلَتُهَا ... تُنَافِسُ الأَرْضَ تَوْطِيدًا وَتَمْكِينَا

وَمَا «أَثِينَةُ» إِلَّا مَعْقِلٌ خَرِبٌ ... نُجِيلُ أَصْفَادَنَا فِيهِ مُذَالِينَا

وفاة عزيزين

قدم المرحوم يوسف مطران ـ نجل المرحوم حبيب باشا مطران ـ مدينة القاهرة فى شهر يوليه سنة ١٨٩٥ ، تصحبه عروسه وهى كريمة القائد الفرنسوى المشهور « كارو ». فلم يكادا يستقران من وعثاء السفر بين بور سعيد ومصر فى يوم سموم شديد الحر ، حتى شعرت تلك السيدة بآلام قضت بدعوة الطبيب . فوصف لها أدوية منها دواء سام ناولها إياه زوجها بيده خطأ كما شاء القضاء . فلم تعش بعد تلك الكأس إلا أياماً ، رأينا فيها من شرف أخلاق تلك العقيلة الفاضلة ، وبرها بقرينها ، وتجرُّدها عن نفسها ، وتعاليها عن الحياة الدنيا ، ما لم نكن لنتخيله إلا فى ملك كريم يقيم فى عالم غير هذا العالم . وقضى الوفاء على ذلك البعل الشريف ـ الذى كان من أوجه وجهاء الدولة العثمانية ، وأرفعهم مرتبة لدى الملوك ، وأوسعهم جاهاً وثراءً ـ أن يلزم الحزن على تلك الفقيدة العزيزة إلى أن قيّض الله له لقاءَها قبل انقضاء عام على مصابه بها . فتوفى إلى رحمة مولاه ، وعظم خطب الشرق فيه ـ ولا سيما الديار السورية التى كانت منبته . فرثى الشاعر الفقيدين رثاء جامعاً ، بعد أن تلطفت جمرة الأسف قليلا على توالى الأيام ، وأمكن القلب أن يملى بعض ما فيه والفكر أن يصوغ الكلام

أَنَا فِي الرَّوْضِ سَاهِرٌ وَهْوَ نَائِمْ ... بَاتَ فِي قُرَّةِ الدُّجَى وَهْوَ نَاعِمْ

كُلَّمَا جِئْتُهُ وَقَلْبِيَ بَاكٍ ... رَقَّ دَمْعِي كَمَائِهِ فَهْوَ بَاسِمْ

أَبْتَغِي فِيهِ سَلْوَةً مِنْ مُصَابٍ ... لَمْ يُلَطِّفْهُ عَهْدُهُ الْمُتَقَادِمْ

يَا لَعَزْمِي مِنَ الْأَسَى وَلِحِلْمِي ... أَسْعِدَانِي عَلَى الْخُطُوبِ الْغَوَاشِمْ

غَلَبَتْنِي صُرُوفُ دَهْرِي عَلَى صَبْرِي ... وَأَفْنَتْهُ نَارُهَا فِي الْمَلَاحِمْ

أَلْأَمَانَ الْأَمَانَ أَلْقَيْتُ سَيْفِي ... وَطَوَيْتُ اللِّوَاءَ تَسْلِيمَ رَاغِمْ

خَانَ عَزْمِي الشَّبَابُ وَاقْتَصَّ ضَعْفِي ... مِنْ ثَبَاتِي ، فَكَيْفَ مِثْلِي يُقَاوِمْ ؟

إن مَنْ سَيفُهُ شَبَابٌ نَضِيرٌ فَعُيُوبُ الشَّبَابِ فِيهِ مَثَالِمْ
وَالَّذِي دِرْعُهُ فُؤَادٌ رَقِيقٌ فَجَرِيحٌ إِنْ يَقْتَحِمْ أَوْ يُقَاحِمْ

***

أَيُّهَا الرَّوْضُ كُنْ لِقَلْبِي سَلَامًا وَمَلَاذًا مِنَ الشَّقَاءِ الْمُلَازِمْ
مَا أَقَرَّ النَّدَى وَمَا أَلْعَبَ النُّو رَ وَمَا أَجْزَعَ الظِّلَالَ الْحَوَائِمْ ؟
زَهَرٌ ذَابِلٌ كَأَنِّي أَرَاهُ ثَمِـلًا مِنْ أَنْفَاسِهِ فِي الْكَمَائِمْ
وَغَدِيرٌ صَافٍ أَقَامَ سِيَاجًا حَوْلَهُ بَاسِقٌ مِنَ الدَّوْحِ قَائِمْ
تَتَنَاغَى بِيضٌ مِنَ الطَّيْرِ فِيهِ سَابِحَاتٌ وَتَحْتَهَا النَّجْمُ عَائِمْ
كَيْفَمَا سِرْنَ فَالطَّرِيقُ عُقُودٌ نُظِمَتْ مِنْ مَحَاجِرٍ وَمَبَاسِمْ
حَبَّذَا الْبَدْرُ مُؤْنِسًا يَتَجَلَّى كَحَبِيبٍ بَعْدَ التَّغَيُّبِ قَادِمْ
حَبَّذَا رَسْمُهُ الْبَرَايَا كَأَبْهَى مَا تَرَى الْعَيْنُ فِي صَحِيفَةِ رَاسِمْ
حَبَّذَا الْمَاءُ وَالْمَصَابِيحُ فِيهِ كَبَنَانٍ يَزِينُهَا بِخَوَاتِمْ
جَنَّــةٌ بَانَتِ الْمَكَارِهُ عَنْهَا وَهْيَ بِكْرٌ مِنَ الْأَذَى وَالْمَحَارِمْ
إِنَّمَا أَهْلُهَا طُيُورٌ حِسَانٌ إِنْ دَعَاهَا الصَّبَاحُ قَامَتْ تُنَادِمْ
وَضِيَاءٌ يَمُوجُ فِي الْمَاءِ حَتَّى لَتَرَاهُ كَأَنَّهُ مُتَـلَاطِمْ
وَمُرُوجٌ مُدَبَّجَاتٌ كَوَشْيٍ أَتْقَنَتْ صُنْعَهُ حِسَانُ الْمَعَاصِمْ
وَغُصُونٌ تَهُزُّهَا نَسَمَاتٌ كَنُهُودٍ تَهُزُّهُنَّ رَوَائِمْ (1)

***

(1) روائم : أمهات شفيقات

هَذِهِ عُزْلَتِي أَفِرُّ إِلَيْهَا مِنْ مَجَالِ الأَسَى وَمَجْرَى المَظَالِمْ
هَهُنَا أَجْتَلِي مِثَالَيْنِ بَاتَا فِي سَمَاءٍ صَمْتٌ وَرَاءَ الغَمَائِمْ
هَهُنَا أَلْتَقِي بِطَيْفَيْ حَبِيبَيَّ الدَّفِينَيْنِ فِي فُؤَادِي الوَاجِمْ
حَيْثُ لَا عَيْنَ لِلرِّيَاءِ وَلَا لِلْخُبْثِ أُذْنٌ ، وَلَا فَمٌ لِلنَّمَائِمْ
لَمْ تَحُلْ بَيْنَنَا المَنِيَّةُ لَكِنْ حَالَتِ النَّاسُ بِالنِّزَاعِ الدَّائِمْ

***

إِيهِ « فَانِي » وَكُلُّ مَنْ عَاشَ فَانٍ أَيْنَ بَاتَتْ تِلْكَ الخِلَالُ الكَرَائِمْ؟
مَلَكٌ مَرَّ بِالحَيَاةِ كَرِيمًا وَتَوَلَّى عَنْهَا تَوَلِّيَ غَانِمْ
زَهْرَةٌ لَمْ تَكَدْ تُوفِي رَبِيعاً ذَبُلَتْ وَاللَّذَاتُ لُدْنٌ نَوَاعِمْ

***

يَا عَرُوساً مَرَّتْ بِهَا أَشْهُرُ الصَّفْوِ سِرَاعًا كَأَنَّهَا حُلْمُ حَالِمْ
قَدْ سَقَاكِ المُحِبُّ كَأْساً وَمَا إِنْ خَالَ فِيهَا سِوَى الدَّوَاءِ المُلَائِمْ
هَفْوَةٌ رَامَهَا القَضَاءُ وَفَادِيكِ هَفَاهَا بِغَيْرِ مَا هُوَ رَائِمْ
فَقَدَتِ الحَيَاةَ فَقْدَ نَفِيسٍ تَزْدَرِيهِ نَفْسُ الكَرِيمِ الحَازِمْ
وَاسْتَقَى صَبُّكِ الحِمَامَ بِكَأْسٍ مِنْ أَسًى لَيْسَ مُسْتَقِيهَا بِآثِمْ
كَأْسُ مَوْتٍ سَقَاكِهَا وَاسْتَقَاهَا مِنْ يَدِ الحُزْنِ وَافِياً غَيْرَ نَادِمْ
فَتَوَلَّى فِي عُنْفُوَانٍ مِنَ العُمْرِ حَلِيفَ العُلَى أَلِيفَ العَظَائِمْ
عَاهَدَتْهُ فَوَاتِحُ المَجْدِ عَهْداً وَعَلَى الإِثْرِ أَخْلَفَتْهُ الخَوَاتِمْ

بَاتَ فِي ذِرْوَةِ السُّرُورِ وَأَضْحَى ... فِي قَرَارٍ مِنَ الأَسَى المُتَفَاقِمْ
صَاعَدَ النَّجْمَ ثُمَّ قَطَّرَهُ عَنْ ... أَوْجِهِ حَادِثٌ مِنَ الدَّهْرِ حَاطِمْ

***

هَكَذَا فَارَقَ الحَبِيبَانِ دَاراً ... هِيَ دَارُ الشَّقَاءِ دَارُ المَغَارِمْ
فَارَقَاهَا بِلَا قُطُوبٍ وَكَانَا ... كَابْتِسَامَيْنِ فِي وُجُوهِ المَعَالِمْ[1]
خَتَمَا العُرْسَ فِي غَيَابَةِ رَمْسٍ ... وَخَتَمْنَا أَفْرَاحَنَا بِالمَآتِمْ
مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَ هَذَا وَلَاءً ... عَنْهُ يَنْبُو سَيْفُ الحِمَامِ القَاصِمْ

***

فَاسْتَقِرَّا فِي رَحْمَةٍ وَدَعَانَا ... فِي حَيَاةٍ أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَاحِمْ
أَنْتُمَا فِي رِضًى وَنَحْنُ نُوَفَّى ... لِشَقَاءِ الدُّنْيَا بَقَايَا العَزَائِمْ

---

(١) قطوب : عبوسة

تهنئة

قدمها الناظم لصديقه العزيز ، فقيد العلم والفضل ، المرحوم نقولا توما يوم زفافه إلى السيدة المصونة الفاضلة إيلين موصلي عطا الله

يُعْجِزُ الفِكْرَ مَا يُرِيدُ الفُؤَادُ ... فِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ بِمَدْحٍ يُرَادُ

مَا عَرَفْنَا فِي النَّاسِ قَبْلَكَ فَرْداً ... تَتَحَلَّى بِهِ الصِّفَاتُ الجِيَادُ

مَا رَأَيْنَا ذَا نِعْمَةٍ كَبُرَتْ لَا ... يَتَوَلَّى تَصْغِيرَهَا الحُسَّادُ

مَا شَهِدْنَا بِغَيْرِ وَصْفِكَ أَنْ يَسْـ ... ـتَوِي الوَامِقُونَ وَالأَضْدَادُ[1]

مَا عَهِدْنَا فِي كَاتِبٍ أَنَّ مِنْ آ ... يَاتِهِ صَوْغَ الدُّرِّ وَهْوَ مِدَادُ

مَا سَمِعْنَا نُطْقاً بِهِ يَزْدَهِي المِنْـ ... ـبَرُ عُجْباً وَتَطْرَبُ الأَعْوَادُ

* * *

رُبَّ جَمْعٍ وَقَفْتَ فِيهِ خَطِيباً ... أَنْصَتَتْ فِي صُدُورِهِ الأَكْبَادُ

هَكَذَا البَحْرُ يَمْلِكُ الحِسَّ رَوْعاً ... وَجَلَالاً دَوِيُّهُ الهَدَّادُ[2]

هَكَذَا السَّيْلُ قَاذِفاً مَاءَهُ المُبْـ ... ـيَضَّ حَتَّى يُظَنَّ فِيهِ اتِّقَادُ

أَنْتَ صَوْتُ الضَّمِيرِ يَسْأَلُ عَدْلاً ... حَيْثُمَا العَدْلُ رَحْمَةٌ وَسَدَادُ

تَرْتَقِي مَا تَشَاءُ فِي القَوْلِ حَتَّى ... يَحْبِسَ القَلْبُ نَبْضَهُ أَوْ يَكَادُ

كُلَّمَا جُزْتَ فِي البَلَاغَةِ شَأْواً ... وَاسْتَزَادُوا ، مَنَحْتَهُمْ مَا اسْتَزَادُوا

---

(١) الوامقون : المحبون (٢) الهداد : ما يسمع من صوت البحر

تَرْهَبُ العَيْنُ طَرْفَةَ الجَفْنِ مِنْ حِرْ صٍ عَلَى لَحْظَةٍ لَهُ تُسْتَفَادُ
مَا النِّظَامُ الْبَدِيعُ ؟ مَا المِعْزَفُ المُرْ قِصُ ؟ مَا المُنْشِدُونَ ؟ مَا الإِنْشَادُ ؟

* * *

رُبَّ عِرْضٍ دَبَّ الشَّقَاءُ إِلَيْهِ وَمَشَى السُّوءُ خَلْفَهُ يَرْتَادُ
صُنْتَهُ بِالنَّدَى وَلَا شَاهِدٌ إِلَّا النَّدَى وَالْمَكَانُ وَالمِيعَادُ
رُبَّ ذِي فِطْنَةٍ أَسَاءَ إِلَيْهِ زَمَنٌ غَالِبٌ عَلَيْهِ الْفَسَادُ
كَادَ ، لَوْ لَمْ تُدْرِكْهُ ، يَهْجُرُ طِرْسًا أَصْبَحَ الحِبْرُ فِيهِ وَهْوَ حِدَادُ
إِنْ يَكُ الْجُودُ لَا نَفَادَ لَهُ عِنْـــدَكَ يَوْمًا ، أَمَا لِمَالٍ نَفَادُ ؟
بِكَ ، إِذْ تُسْتَعَادُ مِنْكَ الأَيَادِي ، فَرَحُ الشَّاعِرِ الَّذِي يُسْتَعَادُ

* * *

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الحَبِيبُ الَّذِي فَا رَقَنَا سَاعَةً وَطَالَ الْبِعَادُ
قَدْ بَذَرْتَ الجَمِيلَ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَنَمَا وَهْوَ حُرْمَةٌ وَوِدَادُ
لِيَكُنْ بَيْتُكَ الَّذِي شِدْتَ صَرْحًا رُكْنُهُ المَجْدُ وَالرِّفَاءُ الْعِمَادُ
أَوْ سَمَاءً ، عَرُوسُكَ الشَّمْسُ فِيهَا وَالنُّجُومُ : السُّعُودُ وَالأَوْلَادُ

رثـــــاء

للمغفور لها الأميرة كاملة هانم

كريمة صاحب الدولة الأمير حسين كامل باشا

مِنَ اللَّلإِ الأَسْمَى عَلَى ذَلِكَ القَبْرِ مَلَائِكُ حُرَّاسُ الْفَضِيلَةِ وَالطُّهْرِ
سُجُودٌ عَلَى بَابِ الضَّرِيحِ الذِي ثَوَتْ بِهِ مُصْطَفَاةُ اللهِ كَامِلَةُ الْبِرِّ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَالْزَمُوهُ وَآنِسُوا غُلَالَةَ حُسْنٍ تُبْتَلَى بِيَدِ الهَجْرِ
فَقَدْ صَعِدَتْ نَفْسُ الأَمِيرَةِ فِي الضُّحَى إِلَى اللهِ وَاسْتَوْدَعْتُمُ صَدَفَ الدُّرِّ
تَحَمَّلَهَا نُورٌ إِلَى جَنَّةِ العُلَى كَمَا تَحْمِلُ الأَنْدَاءَ أَجْنِحَةُ الفَجْرِ
فَيَا سَيِّدَ الدَّهْرِ المُعَزَّى بِفَقْدِهَا أَنَخْشَى عَلَيْكَ اليَوْمَ مِنْ صَوْلَةِ الدَّهْرِ ؟
وَيَا أَكْرَمَ الآبَاءِ بِرًّا بِوُلْدِهِ وَلَـكِنَّهُ بِرٌّ عَصَتْهُ يَدُ الضُّرِّ
أَأَنْتَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَرْأَفُ وَالِداً بِمُعْتَاضَةِ السَّرَّاءِ عَنْ أَلَمِ المُرِّ ؟

الحمامتان

حديث واقعة شهدها الناظم في ليلة سهاد فكتبها وجعلها وسيلة استعطاف

يَا مَنْ أَضَاعُوا وِدَادِي رُدُّوا عَلَيَّ فُؤَادِي
رُدُّوا سُرُوراً تَقَضَّى وَمَا لَهُ مِنْ مَعَادِ
أَشْكُو إِلَى اللهِ سُقْمِي فِي بُعْدِكُمْ وَسُهَادِي
هَذَا شَقَائِي فِيكُمْ يَا غِبْطَةَ الْحُسَّادِ

***

وَلَيْلَةٍ بِتُّ فِيهَا وَقَدْ جَفَانِي رُقَادِي
تُفْنِي الدَّقَائِقُ قَلْبِي وَرْيًا كَوَرْيِ الزِّنَادِ (١)
مِنَ الصَّبَابَةِ مَهْدِي وَمِنْ سَقَامِي وِسَادِي (٢)
رَاعَتْ حَشَايَ بِنَوْحٍ حَمَامَةٌ فِي ارْتِيَادِ
مُرْتَاعَةٌ لِأَلِيفٍ لَمْ يَأْتِ فِي المِيعَادِ
تُرِنُّ إِرْنَانَ ثَكْلَى مَفْقُودَةِ الأَوْلَادِ
وَاللَّيْلُ دَاجٍ كَثِيفٌ كَأَنَّهُ فِي حِدَادِ
تَرُوحُ فِيهِ وَتَغْدُو كَثِيرَةَ التَّرْدَادِ
مَا بَيْنَ غُصْنٍ وَغُصْنٍ لَهَا طَوَافُ افْتِقَادِ
وَلَمْ تَزَلْ فِي هُيَامٍ وَحَيْرَةٍ وَجِهَادِ

(١) وري الزناد : قدح الزناد (٢) وسادي : فراشي

حَتَّى اسْتَقَرَّتْ عَيَاءً مِنْ وَثْبِهَا الْمُتَمَادِى
مُنْحَلَّةَ الْعَزْمِ لَيْسَتْ تَقْوَى عَلَى الإِنْشَادِ
ظَمْأَى إِلَى الْمَوْتِ رَيَّا مِنَ الأَسَى وَالْبِعَادِ[1]
وَكَانَ يَسْعَى إِلَيْهَا أَلِيفُهَا غَيْرَ هَادِى
يَرْتَادُ كُلَّ مَكَانٍ فِي إِثْرِهَا وَهْوَ شَادِى
حَتَّى إِذَا سَمِعَتْهُ بِالْقُرْبِ مِنْهَا يُنَادِى
عَادَ الرَّجَاءُ إِلَيْهَا لَكِنْ بِغَيْرِ مُعَادِ
إِنَّ الرَّجَاءَ مُعِينٌ وَمَا الرَّجَاءُ بِفَادِ
هَمَّتْ تَطِيرُ إِلَيْهِ لَكِنْ عَدَتْهَا عَوَادِى
فَوَدَّعَتْهُ بِنَوْحٍ مُفَتِّتِ الأَكْبَادِ
وَكَانَ آخِرَ سَجْعٍ لَهَا عَلَى الأَعْوَادِ

* * *

يَا مَنْ نَأَوْا عَنْ عُيُونِي وَرَسْمُهُمْ فِي السَّوَادِ
وَأَجْهَدُوا الفِكْرَ وَثْبًا إِلَيْهِمُ فِي الْبِلَادِ
وَاسْتَنْفَدُوا زَفَرَاتِي وَأَدْمُعِي وَمِدَادِي
إِلَى مَ أَغْدُو حَزِينًا فِي غُرْبَةٍ وَانْفِرَادِ؟
لِي فِي الْحَيَاةِ مُرَادٌ وَأَنْ أَرَاكُمْ مُرَادِي
لَا تَجْعَلُوهُ وَدَاعِي عِنْدَ الْمَمَاتِ وَزَادِي

(١) ريّا : مرتوية

تقـــريظ

لديوان شوقى

ضَمِنْتَ لِهَذَا العَهْدِ ذِكْراً مُخَلَّدَا   وَجَدَّدْتَ لِلإِسْلَامِ مُعْجِزَ أَحْمَدَا

وَبِتَّ لِمِصْرٍ بِالمَفَاخِرِ مُحْتِداً   وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ لِلْمَفَاخِرِ مَحْتِدَا

أَطَافَ بِهَا لَيْلٌ مِنَ الجَهْلِ حَالِكٌ   وَصُمَّتْ بِهَا الأَسْمَاعُ عَنْ دَعْوَةِ الْهُدَى

فَإِنْ قَلَّبَ المَحْزُونُ فِي الأُفْقِ طَرْفَهُ   فَلَيْسَ يَرَى إِلَّا ذَكَاءَكَ فَرْقَدَا

وَمَنْ تَدْعُهُ يَرْدُدْ نِدَاءَكَ لَا يُجِبْ   كَمَا رَجَّعَ الصَّخْرُ الأَصَمُّ لَكَ الصَّدَى

* * *

لَكَ اللهُ مِنْ شَاكٍ عَنِ النَّاسِ دَهْرَهُمْ   عَلَى حِينَ لَمْ يَشْكُوا وَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَى

وَمِنْ سَاهِرٍ يُفْنِي مَنَارَ حَيَاتِهِ   ضِيَاءً لِيَهْدِي غَافِلِينَ وَرُقَّدَا

وَمِنْ نَاظِمٍ لِلْمُلْكِ تَاجَ فَرَائِدٍ   مِنَ المَدْحِ: تِيجَانُ المُلُوكِ لَهُ فِدَى

وَمِنْ مُنْشِدٍ يُحْيِي فَخَارَ جُدُودِهِ   فَيُكْسِبُهُمْ مَجْداً بِذَاكَ مُجَدَّدَا

إِذَا النَّسْلُ لَمْ يَحْفِلْ بِذِكْرِ جُدُودِهِ   فَإِنَّ لَهُمْ مَوْتاً بِهِ مُتَعَدِّدَا

قَوَافٍ يَزِينُ الشِّعْرَ حُسْنُ نِظَامِهَا   كَمَا ازْدَانَ كَأْسٌ بِالحَبَابِ مُنَضَّدَا

وَسَبْكٌ يُعِيدُ اللَّفْظَ لَحْناً مُوَقَّعاً   وَيُبْدِي لَنَا المَعْنَى الخَفِيَّ مُجَسَّدَا

* * *

أَسِحْراً تُرِينَا أَمْ صَحَائِفَ كُلَّمَا   نُقَلِّبُهَا وَجْهاً نَرَى عَجَباً بَدَا

فبَيْنَا هِيَ الرَّوْضُ الَّذِي تَشْتَهِي المُنَى ... تَعَاشَقَ فِيهِ النُّورُ وَالطِّيبُ وَالنَّدَى
إِذَا هِيَ أَنْهَارٌ تَقَرُّ عُيُونَنَا ... إِذَا هِيَ نِيرَانٌ تَثُورُ تَوَقُّدَا!
إِذَا هِيَ أَفْلَاكٌ بُسِطْنَ وَأَبْحُرٌ ... أَغَارَ بِهَا الْفُلْكُ الصَّغِيرُ وَأَنْجَدَا!
إِذَا هِيَ آجَامٌ تَمُوجُ بِأُسْدِهَا ... وَأَوْدِيَةٌ يَرْعَى بِهَا الظَّبْيُ أَرْبَدَا!
إِذَا هِيَ عِيسٌ فِي الْبَوَادِي مُجِدَّةٌ ... تَسِيرُ وَلَا سَيْرٌ وَتُحْدَى وَلَا حِدَا!
إِذَا هِيَ حَرْبٌ يَخْلَعُ الْبِيدَ جَيْشُهَا ... نِعَالًا مَتَى هَبُّوا وَثُوبًا عَلَى الْعِدَى
إِذَا هِيَ أَجْيَالُ الزَّمَانِ مُشَاهِداً ... بِهَا آدَمٌ مُوسَى وَعِيسَى مُحَمَّدَا!
بَيَانُكَ سَيْفٌ لِلْحَقِيقَةِ سَاطِعٌ ... ذَلِيلٌ بِهِ الْبَاغِي قَتِيلٌ بِهِ الرَّدَى
بِشِعْرِكَ فَلْيَحْيَ الَّذِي جَلَّ فَضْلُهُ ... وَمَاتَ جَدِيراً بِالْفَخَارِ مُؤَبَّدَا!
وَذُو الْعِلْمِ فَلْيَخْتَرْ كِتَابَكَ مُؤْنِساً ... كَرِيماً وَأُسْتَاذاً حَكِيماً وَمُرْشِدَا!

للكتابة تحت رسم

يَا مَنْ إِلَيْهِمْ أُهْدِي مِثَالِي ... إِنَّ مِثَالِي هُوَ الوِدَادُ
مَا ذَاكَ رَسْمٌ خُيِّلْتُمُوهُ ... بَلْ ذَاكَ طَيْفٌ فِيهِ فُؤَادُ

الى سمو الخديو عباس حلمى الثانى

على أثر حادث سياسى ذى خطر

تَدَاوَلَ قَلْبِي وَجْدُهُ فِيكِ وَالذِّكْرُ ... فَهَذَا لَهُ لَيْلٌ ، وَهَذَا لَهُ فَجْرُ

وَكِدْتُ أُحِبُّ السُّهْدَ مِمَّا أَلِفْتُهُ ... وَكَادَ لِطُولِ الصَّبْرِ يَحْلُو لِيَ الصَّبْرُ

وَأَنْكَرَ قَوْمِي فِي هَوَاكِ تَجَرُّدِي ... عَلَى زَعْمِ أَنَّ الزُّهْدَ آفَتُهُ الْعُسْرُ

أَعُسْرٌ بِمَنْ يَهْوَى وَأَنْتِ لَهُ الْغِنَى ؟ ... إِذَنْ فَثَرَاءُ الْعَالَمِينَ هُوَ الْفَقْرُ

مُحِبُّكِ لَا يَشْقَى وَأَنْتِ نَعِيمُهُ ... وَصَبُّكِ لَا يَصْدَى وَأَنْتِ لَهُ الْقَطْرُ[1]

سِوَى أَنَّنِي شَاكٍ نَوَاكِ وَذَاكِرٌ ... تَبَارِيحَ وَجْدِي يَوْمَ فَرَّقَنَا الْهَجْرُ

زَجَرْتُ فُؤَادِي أَنْ يَبُوحَ بِحُزْنِهِ ... فَبَاحَتْ بِهِ عَيْنِي وَلَمْ يَنْفَعِ الزَّجْرُ

وَمَا زَجْرُكَ الْكَأْسَ الدِّهَاقَ بِخَمْرِهَا ... إِذَا هِيَ سَالَتْ عَنْ جَوَانِبِهَا الْخَمْرُ[2]

فَكَاشَفْتُهَا مَا بِي وَإِنَّ افْتِضَاحَهُ ... لَأَيْسَرُ لِي مِنْ أَنْ يُرَدَّ لَهَا أَمْرُ

جَلَا الدَّمْعُ نَفْسِي مِنْ خَبَايَا سَرَائِرِي ... تَلُوحُ وَلَا كَتْمٌ وَتُجْلَى وَلَا سِتْرُ

فَزَالَ قِنَاعِي عَنْ ضَمِيرٍ مُطَهَّرٍ ... يُصَانُ بِهِ عُرْفٌ وَيُنْفَى بِهِ النُّكْرُ

وَعَنْ جَائِلٍ مِنْ دُونِهِ الْبَرْقُ سُرْعَةً ... وَنُوراً فَلَا بُعْدٌ يَعُوقُ وَلَا سِتْرُ

وَعَنْ خَافِقٍ مِلْءَ الْوَفَاءِ خُفُوقُهُ ... عَجِبْتُ لَهُ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِهِ الصَّدْرُ

وَعَنْ نَافِحٍ طِيبَ الرِّيَاضِ مُنَوِّرٍ ... بِأَجْمَلِ مَا تَزْهُو الرَّيَاحِينُ وَالزَّهْرُ

---

(١) يصدى : يظمأ (٢) الدهاق : المتدفقة

هُنَالِكَ مَثْوَى حُبِّهَا وَمَنَارُهُ وَمَسْطَعُهُ الأَذْكَى وَمَنْبِتُهُ النَّضْرُ
هَوًى مِلْءَ رُوحٍ فِي ضَئِيلٍ مُخَيَّلٍ وَلَكِنَّنِي إِنْ أُبْدِهِ امْتَلأَ العَصْرُ
وَقَدْرُ الْهَوَى فِي ذِي الْهَوَى قَدْرُ نَفْسِهِ وَمِرْآتُهُ قَلْبُ الْمُتَيَّمِ وَالفِكْرُ
وَمَا يَسْتَوِي فِي الْحُبِّ أَرْوَعُ فَاضِلٌ وَأَحْمَقُ مَذْمُومٌ خَلَائِقُهُ غِرُّ
وَمَا يَسْتَوِي وُدٌّ هُوَ الْغُنْمُ لِلْوَرَى كَوُدِّ «ابْنِ تَوْفِيقٍ» وَوُدٌّ هُوَ الْخُسْرِ
رَعَتْكَ عُيُونُ اللهِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ كَمَا أَنْتَ تَرْعَانَا وَرَائِدُكَ الْبِرُّ
تَعَهَّدْ ثُغُورَ الْمُلْكِ أَيًّا تَحُلُّهُ فَذَاكَ لَهُ قَلْبٌ وَسَائِرُهُ الثَّغْرُ
يَقُومُ لَدَيْكَ النَّاسُ فِي خَيْرِ مَحْفِلٍ وَيَسْتَقْبِلُ الإِجْلَالُ رَكْبَكَ وَالبِشْرُ
وَتُبْذَلُ حَبَّاتُ الْقُلُوبِ كَرَامَةً لَدَيْكَ وَيُزْرِي أَنْ يَضَنَّ بِهِ التِّبْرُ
يُنَادُونَ «عَبَّاسًا» نِدَاءَ تَيَمُّنٍ وَيَدْعُونَ أَنْ يَحْيَا وَتَحْيَا بِهِ «مِصْرُ»
وَدَعْوَاهُمُ حَمْدٌ لَهُ وَمَلَامَةٌ لِأَهْلِ نُذُورٍ لَا يُوَفَّى لَهُمْ نَذْرُ
«أَعَبَّاسُ» إِنْ تَكْبُرْ عَلَى النَّاسِ هِمَّةً فَأَيْنَ مَقَامُ النَّاسِ مِنْكَ وَلَا فَخْرُ؟
تُرِيدُ اللَّيَالِي مِنْكَ مَا لَا تُرِيدُهُ لَكَ الْحَقُّ وَالآمَالُ وَالْهِمَمُ الْغُرُّ
فَإِنْ ظَلَمَتْ حُرًّا وَسَاءَكَ ظُلْمُهُ فَأَجْمِلْ بِهَا عُقْبَى يُسَرُّ بِهَا الْحُرُّ
لَكَ التَّاجُ زَانَتْهُ الْخِصَالُ بِدُرِّهَا فَزِدْهُ لِحِينٍ دُرَّةً وَهِيَ الصَّبْرُ
لَكَ النِّيلُ مَوْكُولًا لِأَمْرِكَ أَمْرُهُ بِحَقٍّ مِنَ الْمِيرَاثِ أَيَّدَهُ النَّصْرُ
لَكَ الْمُلْكُ مَوْفُورَ السَّلَامَةِ هَانِئًا شَقِيًّا بِهِ الْمُشْقِي مُصَابًا بِهِ الضُّرُّ
أَمَوْلَايَ إِنْ مَرَّتْ بِبَدْرٍ سَحَابَةٌ فَمَا كَسَبَتْ نُورًا وَلَا أَظْلَمَ الْبَدْرُ
تَمُرُّ بَعِيدًا عَنْ مَعَالِي سَمَائِهِ وَتَمْضِي عُبُوسًا وَهْوَ جَذْلَانُ يَفْتَرُّ

رثـــاء

لأديب عصره الصديق المرحوم الشيخ نجيب الحداد

إِرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ «نَجِيباً» وَازْجُرْ خَلِيلَكَ أَنْ يَكُونَ أَدِيباً[1]
فَلَقَدْ أَرَى مَوْتَ الأَدِيبِ حَيَاتَهُ وَالْعَيْشَ مَوْتاً يَلْتَقِيهِ ضُرُوباً[2]
وَأَرَى جَوَائِزَ فَضْلِهِ وَعُلُومِهِ إِعْسَارَهُ وَالدَّاءَ وَالتَّعْذِيبَا
يَا لَلذَّكَاءِ يُنِيرُنَا بِضِيَائِهِ وَيَكُونُ لِلْجِسْمِ الْمُضِيءِ مُذِيباً
يا لَلْعُلُومِ نَظُنُّهَا نِعَماً لَنَا فَنُصِيبُهَا نِقَماً لَنَا وَخُطُوبَا
مَاذَا أَفَادَكَ أَنْ تَكُونَ مُحَرِّراً وَمُحَبِّراً وَمُفَوَّهًا وَلَبِيباً ؟
مَاذَا أَفَادَكَ كُلُّ نَظْمٍ شَائِقٍ لَفْظًا وَمَعْنًى رَائِقٍ أُسْلُوبَا ؟
مِنْ كُلِّ مُبْتَكَرٍ أَغَرَّ مُحَجَّبٍ إِلَّا عَلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ مَحْجُوبَا
وَمُجَدَّدٍ كَالدُّرِّ يُبْدَلُ صَوْغُهُ فَتَخَالُهُ عَيْنُ الْخَبِيرِ قَشِيباً[3]
نَظْمٌ تَزِيدُ بِهِ الْحَقِيقَةَ رَوْنَقاً وَتُعِيدُ مُبْتَذَلَ الأُمُورِ غَرِيبَا
كَالشَّمْسِ يَسْطَعُ نُورُهَا فِي حَمْأَةٍ فَيُحِيلُ قَاتِمَ لَوْنِهَا تَذْهِيبَا[4]
يَا خَيْرَ مَنْ خَطَّ الرِّثَاءَ لَوَ انَّهُ يَجْرِي لَسَالَ مَحَاجِراً وَقُلُوبَا
هَلَّا نُعِيتَ بِهِ شَبَابَكَ قَبْلَ أَنْ تُنْعَى مُحِبًّا رَاحِلًا وَحَبِيبَا ؟

(١) إربأ : إسلم (٢) ضروباً : أشكالا (٣) قشيباً : جديداً
(٤) حمأة : الماء الممتزج بالطين

يَا نَاسِجًا بُرْدَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي ... تَرْمِي بِهَا الْغَرَضَ الشَّرِيفَ مُصِيبَا

هَلَّا قَصَصْتَ حَدِيثَ شَهْمٍ لَمْ يُصِبْ ... غَيْرَ الشَّقَاءِ مِنَ الذَّكَاءِ نَصِيبَا؟

غُصْنٌ نَمَا حَتَّى زَكَتْ أَثْمَارُهُ ... فَرَمَاهُ كَيْدُ زَمَانِهِ مَقْضُوبَا

فَمَضَيْتَ مَبْكِيًّا وَمَا يُغْنِيكَ لَوْ ... أَنَّا مَلَأْنَا الْخَافِقَيْنِ نَحِيبَا

هَذَا جَزَاؤُكَ بَاحِثًا مُتَسَهِّداً ... مُسْتَنْفِداً عَرَقَ الْجَبِينِ صَبِيبَا

هَذَا جَزَاؤُكَ فَاضِلًا فِي أُمَّةٍ ... مَا زَالَ فِيهَا الْأَلْمَعِيُّ غَرِيبَا

يَتَفَكَّهُ النَّفَرُ الْأَفَاضِلُ مِنْهُمُ ... بِجَنَى حَيَاتِكَ شَاعِراً وَأَرِيبَا

يَتَفَكَّهُونَ بِأَحْرُفٍ أَوْدَعْتَهَا ... تَلْخِيصَ عُمْرِكَ مُشْرِقًا وَمَغِيبَا

مَهْلًا وَدَاعَكَ لِلْحَيَاةِ تَخُطُّهُ ... مِنْ مُهْجَةٍ كَادَتْ تَجِفُّ نُضُوبَا[1]

نَفَثَاتُ مَصْدُورٍ عَلَتْ زَفَرَاتُهُ ... حَتَّى تَرَى التَّصْعِيدَ وَالتَّصْوِيبَا

عَبَرَاتُ مُحْتَضَرٍ يُضِيءُ كَشَمْعَةٍ ... تَفْنَى وَتُرْسِلُ دَمْعَهَا مَسْكُوبَا

كَلِمٌ كَسَتْهُنَّ الْكَآبَةُ لَوْنَهَا ... فَحَكَيْنَ أَنْوَارَ الزَّوَالِ غُرُوبَا

فَارْقُدْ، فَمَا أَحْرَى الرَّدَى وَهُوَ الْكَرَى ... أَنْ يُسْتَطَابَ عَلَى الْأَسَى فَيَطِيبَا

أَلْقَبْرُ أَفْضَلُ لِلْفَتَى مِنْ مَضْجَعٍ ... فِيهِ يُقَلَّبُ مُوجَعًا تَقْلِيبَا

وَجَلَامِدُ الْأَرْمَاسِ أَهْوَنُ مَحْمِلًا ... مِنْ أَنْ يُحَمَّلَ مِثْلَهُنَّ كُرُوبَا[2]

---

(١) إشارة إلى أبيات نظمها قبل وفاته

(٢) جلامد الأرماس : صخور القبور

رثـــاء

المغفور له فقيد الوطن أمين فكرى باشا

وَقَفْتُ عَلَى القَبْرِ الذِى أَنْتَ نَازِلُهْ   وُقُوفَ جَبَانٍ بَادِيَاتٍ مَقَاتِلُهْ

وَمَا القَبْرُ إِلَّا حَلْقُ غَرْثَانَ هَاضِمٍ   مِنَ المَوْتِ مَا يُلْقِي بِهِ فَهْوَ غَائِلُهْ[1]

لِمِثْلِ «أَمِينٍ» يَجْزَعُ النَّاسُ إِذْ مَضَى   أَوَاخِرُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَائِلُهْ

دَفَنَّاهُ مَبْكِيًّا نَضِيرُ شَبَابِهِ   وَمَبْكِيَّةً آدَابُهُ وَفَضَائِلُهْ

كَأَنَّا نُوَارِيهِ الثَّرَى كُلَّ سَاعَةٍ   أَسًى وَكَأَنَّا كُلَّ آنٍ نُزَايِلُهْ[2]

هَوَى بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَدْ وَدَّتِ المُنَى   لَوَ انَّ لِمُضْلٍ سَاعِداً فَهْوَ نَاشِلُهْ

كَمَا سَقَطَتْ فِي البَحْرِ دُرَّةُ بَاخِلٍ   أَحَاقَ بِهِ لُجٌّ مِنَ اليَأْسِ شَامِلُهْ

فَرَاحَ يُعِيدُ الطَّرْفَ لَا هُوَ صَابِرٌ   وَلَا هُوَ يَدْرِى أَىَّ أَمْرٍ يُحَاوِلُهْ

يُقَطِّرُ فَوْقَ الغَمْرِ سَائِلَ دَمْعِهِ   وَلَا يُدْرِكُ الشَّىْءَ الَّذِى هُوَ سَائِلُهْ

فَتًى كَانَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ   وَيَعْلَمُ إِلَّا قَدْرَهُ فَهْوَ جَاهِلُهْ

رَجَوْنَا لَهُ بِالطِّبِّ بُرْءًا يَسُرُّنَا   بِهِ وَإِذَا الطِّبُّ المُؤَمَّلُ خَاذِلُهْ

وَمَنْ قَلْبُهُ الدَّاءُ الَّذِى هُوَ يَشْتَكِى   فَمَاذَا تُدَاوِيهِ وَمَاذَا وَسَائِلُهْ ؟

وَكَانَ عَلَى طِيبِ الزَّمَانِ وَخُبْثِهِ   جَنِىَّ ثِمَارِ الأُنْسِ عَذْباً مَنَاهِلُهْ

وَلَا يَبْتَغِى إِلَّا المَحَامِدَ وَالْعُلَى   وَمَرْضَاةَ وَجْهِ اللهِ فِيمَا يُزَاوِلُهْ

---

(١) غرثان : جائع   (٢) نزايله : نفارقه

إِذَا أَطْبَقَتْ سُحْبُ الْحَوَادِثِ حَوْلَهُ أَضَاءَتْ بِهَا أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهْ
وَإِنْ تَدْنُ نَارُ الْحِقْدِ مِنْهُ تَضَوَّعَتْ مَنَاقِبُهُ طِيباً بِهَا وَفَوَاضِلُهْ
وَمَا انْقَبَضَتْ إِلَّا عَنِ الشَّرِّ كَفُّهُ وَمَا انْبَسَطَتْ إِلَّا لِخَيْرٍ أَنَامِلُهْ
فَلَا رَاعَنَا بَيْنُ «الأَمِينِ» وَكُلُّنَا يَجِدُّ إِلَيْهِ وَالْهُمُومُ رَوَاحِلُهْ
هَلِ الْمَرْءُ مَرْجُوٌّ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ لِطُولِ بَقَاءٍ وَاللَّيَالِي كَوَافِلُهْ ؟
فَإِنْ كَانَ طِفْلًا فَهْوَ مُنْذُ وِلَادِهِ رَهِينُ الْمَنَايَا وَالرَّزَايَا قَوَابِلُهْ
وَإِنْ كَانَ شَيْخاً فَهْوَ قَدْ شُدَّ رَأْسُهُ إِلَى الأَرْضِ مِنْ عَجْزٍ وَنَاءَتْ كَوَاهِلُهْ

شهيد المروءة

وشهيدة الغرام

نشرت في مجلة « أنيس الجليس » لصاحبتها
الأديبة الفاضلة السيدة الكسندره دي أفيرينوه

سَيِّدَتِي إِنْ تَفْسِحِي لِي بِالْكَلَامِ فَاسْمَحِي
أَقْصُصْ عَلَى قُرَّاءِ نَشْرَتِكِ الْغَرَّاءِ
بِالنَّثْرِ أَوْ بِالشِّعْرِ أَيُّهُمَا لَا أَدْرِي
حَادِثَةً غَرِيبَةْ مَا هِيَ بِالْمَكْذُوبَةْ..

أَنْقُلُهَا مُمَثَّلَهْ مُجْمَلَةً مُفَصَّلَهْ
كَمَا جَرَتْ أَمَامِي فِي قَرْيَةٍ بِالشَّامِ

***

وَذَاكَ أَنَّ ذِيباً مُسْتَضْخَماً مَهِيبَا
طَرَقَهَا أَصِيلَا يَبْغِي بِهَا مَقِيلَا
فَخَرَجَ الرِّجَالُ إِلَيْـهِ وَالأَطْفَالُ
فِي هَرَجٍ وَمَرَجٍ وَلَجَبٍ مُمْتَزِجٍ [1]
أَتَاهُمُ الإِنْبَاءُ مُبَاغِتاً فَجَاؤُوا
عُزْلاً بِلَا سِلَاحٍ يُرْجَى سِوَى الصِّيَاحِ
وَوَقَفُوا بَعِيدَا يُنَفِّرُونَ السِّيدَا [2]
وَانْتَظَمُوا هِلَالَا لِيُقْفِلُوا الْمَجَالَا
فَامْتَنَعَ الدُّخُولُ عَلَيْهِ وَالْقُفُولُ
فَهْوَ أَمَامَ سُورِ يَمْشِي مِنَ الْحُضُورِ
وَخَلْفَهُ هِضَابُ شَوَامِخٌ صِعَابُ
وَلَمْ يُحَاوِلْ هَرَبَا مِنْ حَيْثُ كَانَ كَلِبَا
عَيْنَاهُ شُعْلَتَانِ يَرْنَحُ كَالسَّكْرَانِ
مُنْتَقِلًا عَلَى مَهَلْ كَالظِّلِّ فِي سَفْحِ الْجَبَلْ

---

(١) لجب : ضجيج (٢) السيد : الذئب

وَبَيْنَمَا الْجُمْهُورُ حَيْرَانٌ مُسْتَطِيرُ
دَائِرَةٌ مُشْتَبِكَهْ فِي سَكْنَةٍ وَحَرَكَهْ
كَالبَحْرِ ذِي الهِيَاجِ فِي مَكْسِرِ الأَمْوَاجِ
طَوْراً وَطَوْراً جَامِدُ كَالْمَاءِ وَهْوَ رَاكِدُ
كُلٌّ يَقُولُ مَا الْعَمَلْ لِصَدِّهِ، وَمَا الحِيَلْ ؟
إِذِ انْبَرَى شُجَاعُ تَرْهَبُهُ السِّبَاعُ
كَانَ اسْمُهُ « أَدِيبَا » وَبَأْسُهُ عَجِيبَا
بَدَا مِنَ الْجُمْهُورِ بِمَظْهَرِ الأَمِيرِ
وَسَارَ نَحْوَ الذِّيبِ بِكِبَرٍ غَرِيبِ
يَمْشِي وَلَا يُبَالِي كَالأَسَدِ الرِّئْبَالِ
يَدِقُّ وَهْوَ نَاءٍ فِي عَيْنِ كُلِّ رَائِي [1]
وَالرَّوْعُ فِي تَعَاظُمِ وَالخَطْبُ فِي تَفَاقُمِ
حَتَّى إِذَا مَا اقْتَرَبَا مِنْهُ عَوَى وَاضْطَرَبَا
وَنَبَّهَ الأَصْدَاءَ فَامْتَلَأَتْ عُوَاءَ
ثُمَّ مَشَى ثُمَّ جَرَى مُسْتَقْبِلًا وَمُدْبِرَا
مُسَاوِراً مُقَاتِلَهْ مُدَارِياً مَقَاتِلَهْ [2]
مُحَاوِلًا مُحْتَرِسَا مُصَاوِلًا مُخْتَلِسَا

(١) يدق : يصغر (٢) مساوراً : مجاولا

وَالشَّمْسُ فِي شُحُوبِ هُنَيْهَةَ الْغُرُوبِ
وَالنَّاسُ فِي تَخَوُّفِ مِنْ هَوْلِ ذَاكَ الْمَوْقِفِ
يَرَوْنَ نَحْوَ الْجَبَلِ ظِلَّيْنِ فِي تَنَقُّلِ
حِيناً عَلَى تَلَاقِ ثُمَّ عَلَى افْتِرَاقِ
ثُمَّ عَلَى اشْتِبَاكِ ثُمَّ عَلَى انْفِكَاكِ
وَبَيْنَمَا هُمْ فِي هَلَعْ إِذْ سَمِعُوا صَوْتاً صَدَعْ
فَصَكَّ فِي الآذَانِ كَطَرْقَةِ السِّنْدَانِ
ثُمَّ عُوَاءٌ مُزْعِجَا مُطَّرِداً مُرَجْرَجَا
ثُمَّ عُوَاءٌ أَضْعَفَا مُقَطَّعاً مُخَطَّفَا
وَأَبْصَرُوا الذِّئْبَ جَرَى إِلَى بَعِيدٍ مُدْبِرَا
ثُمَّ سَجَا ثُمَّ انْتَوَى وَسَارَ شَوْطاً وَهَوَى[1]

* * *

وَعَادَ مِنْ سَفْحِ الْجَبَلْ «أَدِيبُ» عَوْدَةَ الْبَطَلْ
وَهْوَ كَلِيلٌ مُتْعَبُ بِدَمِهِ مُخَضَّبُ
حِذَاؤُهُ مُشَقَّقُ وَثَوْبُهُ مُمَزَّقُ
وَقَالَ أَجْهَزْتُ وَلَا فَخْرَ عَلَى كَلْبِ الْفَلَا
فَهَنَّأُوهُ فَرَحَا وَأَمْطَرُوهُ مِدَحَا

---

(١) سجا : هدأ

وَدَرَجَ الأَطْفَالُ كَأَنَّهُمْ أَحْجَالُ
فَرَجَمُوا بِالسِّيدِ فِي مَشْهَدٍ مَشْهُودِ
وَعَلَتِ الأَصْوَاتُ وَرُفِعَتْ رَايَاتُ
وَطِيفَ فِي الأَسْوَاقِ بِهِ عَلَى انْسِاقِ
ثُمَّ رَمَوْا فِي خَنْدَقِ بِشِلْوِهِ المُعَلَّقِ (١)
فَجَاءَهُ الْكِلَابُ عَصَائِباً تَنْتَابُ
فَابْتُلِيَتْ بِالدَّاءِ وَعَمَّ كَالْوَبَاءِ
فَجَزِعَ السُّكَّانُ وَانْقَطَعَ الأَمَانُ
وَاحْتَجَبَ الآبَاءِ وَاحْتَبَسَ الأَبْنَاءِ
وَامْتَنَعَ الذَّهَابُ فِي السُّوقِ وَالإِيَابُ
وَالأَخْذُ وَالْعَطَاءِ وَالْبَيْعُ وَالشِّرَاءِ
فَبُثَّتِ الْجُنُودُ تَرْقُبُ وَتَرُودُ
فَأَفْنَوُا الْكِلَابَا وَسَكَّنُوا الأَلْبَابَا

* * *

كَانَتْ مِنَ الشُّهُودِ فِي المَوْقِفِ المَشْهُودِ
يَوْمَ هَلَاكِ الذِّيبِ عَلَى يَدَيْ « أَدِيبٍ »
فَتِيَّةٌ عَذْرَاءِ جَمِيلَةٌ غَرَّاءِ

---

(١) شلوه : جسده

طَاهِرَةُ الفُؤَادِ عَفِيفَـةُ الْوِدَادِ
قَوَامُهَا كَالرَّنْدِ وَخَدُّهَا كَالوَرْدِ
وَعَيْنُهَا الزَّرْقَاءْ تَحْسُدُهَا السَّمَاءْ
كَانَتْ لَهُ خَطِيبَهْ يَدْعُونَهَا « لَبِيبَهْ »
وَكَانَ مَوْعِدُ الزِّفَا فِ لَهُمَا قَدْ أَزِفَا[1]
فِي أَرْبَعِينَ خَالِيَهْ مِنَ اللَّيَالِي التَّالِيَهْ
يَغْدُو « أَدِيبُ » بَعْلَهَا فَهْيَ لَهُ وَهْوَ لَهَـا
لَمَّا رَأَتْهُ أَقْدَمَا مُسْتَبْسِلًا مُقْتَحِمَا
وَرَاحَ يَلْـقَى « السِّيدَا » مُنْفَرِداً وَحِيدَا
هَمَّتْ بِأَنْ تَتْبَعَهُ رَجَاءَ أَنْ تَمْنَعَهُ
أَوْ أَنْ تُمِيتَ السَّبُعَا أَوْ يَهْلَـكَا إِذَنْ مَعَا
عَدَتْ وَلَمْ تُبَالِ فَاسْتَوْقَفَتْ فِي الحَالِ
فَلَبِثَتْ تَنْتَظِرُ وَقَلْبُهَا مُنْفَطِرُ
مَشْغُولَةً مُضْطَرِبَهْ تَدْعُو لَهُ بِالغَلَبَهْ
حَتَّى رَأَتْ مَرْجِعَهُ وَقَدْ قَضَى مَطْمَعَهُ
مُفْتَخِراً مُدِلَّا مُعَظَّماً مُعَلَّى
فَجَذِلَتْ كَثِيراً حَتَّى بَكَتْ سُرُوراً

(١) أزف : قرب

وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَضَمَّدَتْ جُرْحَيْهِ
فَلَزِمَ الْبَيْتَ وَفِي يَوْمَيْنِ بَعْدَهَا شُفِي
وَبُدِئَ الإِعْـــدَادُ لِفَـــرَحٍ يُجَادُ
فَهَيَّـأُوا لِلَّلبُوسَا وَجَهَّزُوا الْعَرُوسَا
وَاشْـتَرَوُا الْحَرِيرَا وَأَتْقَنُوا السَّرِيرَا
وَاجْتَمَعَ الْجِـيرَانُ وَالأَهْـلُ وَالْخُـلَّانُ
فِي مَنْزِلِ الْخَلِيلِ بِمَحْفِلٍ جَلِيـلِ
يَوْمَ الثَّـانِي وَالثَّلَا ثِينَ لِإِهْدَاءِ الْحُلَى
جَرْياً عَلَى الْمُعْتَادِ فِي هَذِهِ الْبِـلَادِ
فَفِـرْقَةُ النِّسَاءِ فِي الرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ
وَفِـرْقَةُ الشُّبَّـانِ فِي الشُّرْبِ وَالتَّهَانِي
وَبَيْنَمَا هُمْ فِي فَرَحْ وَلَا مَظَنَّ لِلتَّرَحْ
إِذِ اشْتَـكَى « أَدِيبُ » حَرَارَةً تُذِيبُ
وَقَامَ بِارْتِعَاشِ فَوْراً إِلَى الْفِرَاشِ
فَاسْتَوْصَفُوا دَجَّالَا بِطِبِّهِ مُحْتَـالَا
فَجَسَّ نَبْضَ السَّاعِدِ جَسَّ الْحَـكِيمِ الرَّاشِدِ
وَخَطَّ رَسْماً مُبْهَمَا عَقْرَبُهُ وَأَعْجَمَا
وَجَاءَهُ فِي غَدِهِ بِبِدَعٍ لَمْ تُجْـدِهِ

وَكَرَّرَ الْعِيَادَهْ لَهُ بِلَا إِفَادَهْ
يَنْقُدُ فَوْراً أَجْرَهُ ثُمَّ يُوَلِّي ظَهْرَهُ
وَالضَّعْفُ فِي ازْدِيَادِ وَالدَّاءُ فِي اشْتِدَادِ
وَهْوَ يَقُولُ لَا مَرَضْ وَإِنَّمَا هَذَا عَرَضْ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ سَجَا نَامَ «أَدِيبُ» مُزْعَجَا
وَكَانَ لَيْلَ الْعُرُسِ لَيْلَ ابْتِهَاجِ الأَنْفُسِ
فِي غَدِهِ الزِّفَافُ وَالعَزْفُ وَالطَّوَافُ
فَالنَّاسُ فِي سُرُورِ لِلْبَاسِلِ الْمَشْهُورِ
وَالْخَيْلُ فِي اسْتِعْدَادِ وَالرَّكْبُ فِي تَنَادِي[1]
وَكُلُّ ذِي مَكَانِ وَكُلُّ ذَاتِ شَانِ
فِي أُهْبَةِ الْمَسِيرِ بِالْمَوْكِبِ الْكَبِيرِ
يُمَهِّدُونَ لِلْغَدِ وَالْمَوْتُ مَمْدُودُ الْيَدِ

* * *

وَإِذْ مَضَى قَلِيلُ تَنَبَّهَ الْعَلِيلُ
كَقِطْعَةِ الْحَدِيدِ فِي اللَّهَبِ الشَّدِيدِ
فَهَبَّ يُرْغِي مُزْبِدَا وَقَدْ تَجَافَى الْمَرْقَدَا
وَاضْطَرَمَتْ عَيْنَاهُ وَاضْطَرَبَتْ أَحْشَاهُ

---

(١) تنادى : ينادى بعضهم بعضاً

وَشُنِّجَتْ أَعْصَابُهُ وَبَرَزَتْ أَنيَابُهُ
فَمَزَّقَ الْكِسَاءَ وَبَعْثَرَ الأَشْيَاءَ
وَكَسَّرَ الزُّجَاجَا وَأَطْفَأَ السِّرَاجَا
ثُمَّ مَضَى عُرْيَانَا لَا يَهْتَدِي مَكَانَا
كَالسَّبُعِ الْمُسْتَوْحِشِ يَعْوِي بِصَوْتٍ رَعِشِ
يَسْقُطُ آناً وَيَقِفْ يَسْكُنُ ثُمَّ يَرْتَجِفْ
يَسْتَنْبِحُ الْكِلَابَا وَيَقْرَعُ الأَبْوَابَا
يُصَدِّعُ النِّيَامَا وَيُفْزِعُ الْقِيَامَا

***

وَأَرِقَتْ «لَبِيبَهْ» لَا تَعْلَمُ الْمُصِيبَهْ
تَفَكَّرُ فِي اسْتِكْمَالِ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ
وَتُقْلِقُ الْمَرَائِي بِكَثْرَةِ التَّرَائِي
تَأْوِي إِلَى مَرْقَدِهَا مَشْغُولَةً بِغَدِهَا
حَتَّى إِذَا مَا ذَكَرَتْ أَمْراً جَدِيداً نَفَرَتْ
تُجَرِّبُ الْحِذَاءَ أَوْ تُصْلِحُ الْكِسَاءَ
ثُمَّ تَعُودُ مُتْعَبَهْ إِلَى السَّرِيرِ مُوصَبَهْ
يَرُوحُ أَمْرٌ وَيَجِي فِي فِكْرِهَا الْمُخْتَلِجِ
تَقُولُ جَذْلَى بَاكِيَهْ خَائِفَةً وَرَاجِيَهْ :

رَبِّي أَأَلْقَاهُ غَدَا بِجَانِبِي فَأَسْعَدَا ؟

وَكَيْفَ يَأْتِي مَضْجَعِي لَا أَحَدٌ فِيهِ مَعِيْ ؟

وَمَا الَّذِي يَحْـلُو لَهُ مِنِّيَ أَنْ أَقُولَهُ ؟

«أَدِيبُ» يَا فَخْرَ الصِّبَا كُنْ لِيَ بَعْلًا وَأَبَا

يَا أَبْسَلَ الشُّجْعَانِ وَأَفْرَسَ الْفُرْسَانِ

أَمِيرَهُمْ فِي الْحَرْبِ وَخَيْرَهُمْ فِي الْحُبِّ

أَهْوَاكَ مَوْلَايَ وَلَا أَهْوَى سِوَاكَ رَجُلَا

إِنِّي غَداً أَوْ أَقْتَـلَا أَسْعَدُ مَنْ تَأَهَّلَا

* * *

وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ وَزُمْرَةُ الْحُرَّاسِ

قَدْ حَمَلُوا «أَدِيبَا» بِدَمِهِ خَضِيبَا

يَتْبَعُهُمْ جُمْهُورُ مِنْ حَيِّهِ غَفِيرُ

كُلٌّ يَقُولُ مَا بِهِ يَسْأَلُ عَنْ مُصَابِهِ

فَصَاحَ شَيْخٌ فِي اللَّجَبْ إِنَّ بِهِ دَاءَ الـكَلَبْ

وَهُوَ شَدِيدُ الصَّرْعِ غَيْرُ طَوِيلِ النَّزْعِ

فَمَوْتُهُ قَرِيبُ وَيَنْتَهِي التَّعْذِيبُ

* * *

فَقَيَّدُوهُ عَجِــلَا فِي غُرْفَةٍ مُنْعَزِلَا

وَكَانَ وَهْوَ ثَائِرُ إِذَا أَتَاهُ زَائِرُ
كَشَّرَ عَنْ أَضْرَاسِهِ وَهَمَّ بِافْتِرَاسِهِ
وَأَرْسَلُوا مَنْ أَخْبَرَا « لَبِيبَةَ » بِمَا جَرَى
فَأَقْبَلَتْ مُنْكَمِشَهْ مَذْعُورَةً مُرْتَعِشَهْ[1]
وَدَخَلَتْ مُجْتَرِئَهْ غُرْفَتَهُ مُخْتَبِئَهْ
وَكَانَ فِي سُكُونِ مِنْ ثَوْرَةِ الْجُنُونِ
مُسْتَغْرِبَ الْقُيُودِ يَعْبَثُ بِالْحَدِيدِ
فَابْتَسَمَتْ تَكَلُّفَا وَهْيَ تَمُوتُ كَلَفَا
فَهَشَّ مَسْرُوراً بِهَا وَبَشَّ حِينَ قُرْبِهَا
كَالأَسَدِ الْمَرِيضِ مُلْقًى عَلَى الْحَضِيضِ
عَادَتْهُ بِالْعَرِينِ إِحْدَى الظِّبَاءِ الْعِينِ
سَارِحَةً حِيَالَهْ مَارِحَةً مُخْتَالَهْ
وَهْوَ إِلَيْهَا رَانِي يَفْتَرُّ كَالْجَذْلَانِ[2]
ظَلَّ قَلِيلًا يَبْسِمُ يُصْغِي وَلَا يُكَلِّمُ
ثُمَّ شَكَا ثُمَّ زَفَرْ ثُمَّ بَكَى ثُمَّ نَفَرْ
وَعَضَّهَا فِي صَدْرِهَا وَرَأْسِهَا وَنَحْرِهَا
فَلَمْ تُحَاوِلِ الْهَرَبْ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْغَضَبْ

(١) منكمشة : مسرعة (٢) رانى : ناظر بتأمل . يفتر : يبتسم

وَعَرَّضَتْ حَيَاتَهَا مُؤْثِرَةً مَمَاتَهَا
فَظَلَّ فِي إِيلَامِهَا وَهْيَ عَلَى اسْتِسْلَامِهَا
حَتَّى تَوَلَّى عُنْقَهَا بِالْيَدِ يَبْغِي خَنْقَهَا

***

فَاسْتَصْرَخَتْ مِنَ الْوَجَعْ وَبَعْدَهَا الصَّوْتُ انْقَطَعْ
فَأَبْصَرُوهَا هَامِدَهْ بَيْنَ يَدَيْهِ بَارِدَهْ
ثُمَّ صَحَا وَأَدْرَكَا مَا قَدْ جَنَاهُ فَبَكَى
وَصَاحَ يَا لَلنَّاسِ لِحَسْرَتِي وَيَاسِي !
وَيَا لِهَذَا الْعَارِ مَنْ مُحْرِقِي بِالنَّارِ ؟!
يَا قُرَّةَ النَّوَاظِرِ وَبَهْجَةَ الْخَوَاطِرِ
لَا تَسْتَطِيرِي جَزَعَا إِنِّيَ آتٍ مُسْرِعَا
أَلْيَوْمَ يَوْمُ عُرْسِنَا وَالْمُلْتَقَى فِي رَمْسِنَا
ثُمَّ هَوَى مُعَفَّرَا وَمَاتَ مَوْتاً مُنْكَرَا
فَشُيِّعَ الزَّوْجَانِ فِي شَكْلِ مِهْرَجَانِ
وَمُنْتَهَى السَّرَّاءِ كَمُنْتَهَى الضَّرَّاءِ
لَمْ يَسْعَدَا فِي الْعُمْرِ فَسَعِدَا فِي الْقَبْرِ

***

رَاحَ فِدَاءَ فَضْلِهِ وَاسْتَبْسَلَتْ لِأَجْلِهِ
كِلَاهُمَا شَهِيدُ وَمَوْتُهُ حَمِيدُ

رثـــاء

السيد محمد وفاء زغلول

كان أمين المكتبة الخديوية ، وكان صدره يسع ما فى خزائنها من كتب اللغة والفقه والفلسفة . وكان كاتباً شاعراً ، زاخر الفكر ، رحب الصدر . ولكنه لم يتوخ الشهرة عمره ، فلم يكن غير نفر من الاخوان يعرفون قدره ويقتبسون من كنز معارفه . وقد توفى الى رحمة ربه عن صحائف لو نشرت لجعلته بين الأولين من أدباء العصر

فَـتًى خَبُثَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَطَابَا ... فَعَاشَ مُعَاقَباً وَقَضَى مُثَاباَ

وَفِي الأَجْدَاثِ مُتَّسَعٌ لِفَضْلٍ ... إِذَا ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا رِحَاباَ

وَمَا سَاءَتْكَ ظَالِمَةً وَكَانَتْ ... بِمَا سَاءَتْ تُعِدُّ لَكَ الثَّوَاباَ

وَلَمْ تَعْتَدَّهَا دَاراً لِخُلْدٍ ... فَتَجْزَعَ مُزْمِعاً عَنْهَا اغْتِرَاباَ

وَسَرَّكَ هَجْرُهَا مِمَّا تَجَنَّتْ ... وَقَدْ تَمِنَ الرَّدَى أَنْ يُسْتَطَاباَ

وَكُنَّا بِالَّذِى أَرْضَاكَ نَرْضَى ... لَوَ أَنَّ الْبَيْنَ لا يُشْقِي الصِّحَاباَ

بَكَوْا مِنْكَ الْوَفَاءَ وَكُنْتَهُ اسْمًا ... وَفِعْـلًا وَاكْتِسَاباً وَانْتِسَاباَ

هُمُ يَبْكُونَ وَالْمَبْكِيُّ فِيهِمْ ... غَرِيبٌ لَا جَوَابَ وَلَا خِطَاباَ

فَمَنْ أَعْيَا لِسَانَكَ عَنْ بَيَانٍ ... وَأَلْزَمَ نَصْلَ هِمَّتِكَ الْقِرَاباَ ؟

وَلَمْ تَكُ فَاعِلًا إِلَّا جَمِيلًا ... وَلَمْ تَكُ قَائِـلًا إِلَّا صَوَاباَ

أَلَا فِي ذِمَّةِ الرَّحْمنِ مَاضٍ ... تَيَتَّمَتِ الْفَضَائِـلُ حِينَ غَاباَ

فَتًى جَمَعَ الصِّفَاتِ الغُرَّ فِيهِ وَكَانَ لَهَا تَوَاضُعُهُ نِقَابَا

ضَنِينٌ أَنْ تَرَاهَا عَيْنُ ظَنٍّ وَتَكْشِفَ رِيبَةٌ عَنْهَا الحِجَابَا

وَيَصْطَحِبُ الكِرَامَ عَلَى صَفَاءٍ وَلَكِنْ يُؤْثِرُ الكُتُبَ اصْطِحَابَا

فَيَا أَسَفًا عَلَى عَقْلٍ كَبِيرٍ تَجَاوَزَ دُونَ صَاحِبِهِ الشَّبَابَا

وداع وســــلام

براح مصر ولقاء الشام

الوداع

وَلَيْلَةٍ رَائِقَةِ البَهَاءِ مَشُوبَةِ الظَّلَامِ بِالضِّيَاءِ[1]

أَشْبَهَ بِالجَارِيَةِ الغَرَّاءِ فِي حُلَّةٍ شَفَّافَةٍ سَوْدَاءِ

بَادٍ جَمَالُهَا عَلَى الخَفَاءِ سَكْرَى مِنَ النَّسِيمِ وَالأَنْدَاءِ

جَرَتِ الفُلْكُ عَلَى الدَّأْمَاءِ خَافِقَةَ الفُؤَادِ بِالرَّجَاءِ[2]

خَفِيفَةً كَالظِّلِّ فِي الإِسْرَاءِ تُبْدِي افْتِرَارًا فِي ثُغُورِ المَاءِ[3]

كَأَنَّمَا طَرِيقُهَا مَرَائِي وَالشُّهْبُ فِيهَا أَعْيُنٌ رَوَائِي

---

(١) مشوبة : ممزوجة (٢) الدأماء : البحر (٣) افترارا : تبسما

كَأَنَّهَا فِي سَعَةِ الْفَضَاءِ جَنَازَةٌ لِمَيِّتِ الأَحْيَاءِ
بِمَشْهَدٍ مِنْ عَالَمِ الأَضْوَاءِ فِي مُتَرَاءَى البَحْرِ وَالسَّمَاءِ
يَحْمِلُهَا المَوْجُ عَلَى الْوَلَاءِ وَالرِّيحُ تَحْدُوهَا بِلَا حُدَاءِ [1]
كَأَنَّمَا الأَسْمَاعُ فِي الأَحْشَاءِ وَالدَّهْرُ فِي سَكِينَةِ الإِصْغَاءِ
يَا مِصْرُ دَارَ السَّعْدِ وَالْهَنَاءِ وَمَهْبِطَ الأَسْرَارِ وَالإِيحَاءِ
عَلَيْكِ مِنْ هَذَا الْمُحِبِّ النَّائِي سَلَامُ قَلْبٍ ثَابِتِ الْوَلَاءِ
يَهْوَاكِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

السلام

هَذِي رُؤُوسُ الْقِمَمِ الشَّمَّاءِ نَوَاهِضاً بِالْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ
نَوَاصِعَ الْعَمَائِمِ الْبَيْضَاءِ رَوَائِعَ الْمَنَاطِقِ الخَضْرَاءِ
يَا حُسْنَ هَذِي الرَّمْلَةِ الوَعْسَاءِ وَهَذِهِ الأَوْدِيَةِ الْغَنَّاءِ
وَهَذِهِ الْمَنَازِلِ الحَمْرَاءِ رَاقِيَةً مَعَارِجَ العَلَاءِ
وَهَذِهِ الخُطُوطِ فِي الْبَيْدَاءِ كَأَنَّهَا أَسِرَّةُ الْعَذْرَاءِ
وَذَلِكَ التَّدْبِيجِ فِي الصَّحْرَاءِ مِنْ كُلِّ رَسْمٍ بَاهِرٍ لِلرَّائِي
وَهَذِهِ الْمِيَاهِ فِي الصَّفَاءِ آناً وَفِي الإِزْبَادِ وَالإِرْغَاءِ
تَنْسَابُ فِي الرَّوْضِ عَلَى الْتِوَاءِ خَفِيَّةً ظَاهِرَةَ اللَّأْلَاءِ

---

(١) الولاء : التوالى

وَنَسَمٍ قَوَاتِلٍ لِلدَّاءِ يَشْفِينَ كُلَّ فَاقِدِ الشِّفَاءِ
وَمَعْشَرٍ كَأَنْجُمِ الْجَوْزَاءِ يَلْتَمِسُونَ سُتْرَةَ الْمَسَاءِ
فِي مَلْعَبٍ لِلطِّيبِ وَالْهَوَاءِ وَمَرْتَعٍ لِلنَّفْسِ وَالأَهْوَاءِ
وَمَبْعَثٍ لِلفِكْرِ وَالذَّكَاءِ وَمُنْتَدًى لِلشِّعْرِ وَالْغِنَاءِ

***

يَا وَطَنًا نَفْدِيهِ بِالدِّمَاءِ وَالأَنْفُسِ الصَّادِقَةِ الْوَلَاءِ
مَا أَسْعَدَ الظَّافِرَ بِاللِّقَاءِ وَالقُرْبِ بَعْدَ الْهَجْرِ وَالْجَلَاءِ
إِنْ أَكُ بَاكِيًا مِنَ السَّرَّاءِ فَإِنَّ طُولَ الشَّوْقِ فِي التَّنَائِي
أَلَّفَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْبُكَاءِ

قلعة بعلبـــك

تذكار صبي

مَرَّ فَجْرُ الْحَيَاةِ بِالإِدْبَارِ فَإِذَا مَرَّ فَهْوَ فِي الآثَارِ
وَالصِّبَى كَالْكَرَى نَعِيمٌ وَلَكِنْ يَنْقَضِي وَالْفَتَى بِهِ غَيْرُ دَارِي (١)
يَغْنَمُ الْمَرْءُ عَيْشَهُ فِي صِبَاهُ فَإِذَا بَانَ عَاشَ بِالتَّذْكَارِ (٢)

***

(١) الكرى : النوم (٢) بان : زال

إيهِ آثارَ « بَعْلَبَكَّ » سَلَامٌ بَعْدَ طُولِ النَّوَى وَبُعْدِ المَزَارِ
وَوُقيتِ العَفَاءَ مِنْ عَرَصَاتٍ مُقْوِيَاتٍ أَوَاهِلٍ بِالفَخَارِ [1]
ذَكَّرِيني طُفُولَتِي وَأَعِيدِي رَسْمَ عَهْدٍ عَنْ أَعْيُنِي مُتَوَارِي
مُسْتَطَابِ الحَالَيْنِ صَفْواً وَشَجْواً مُسْتَحَبٍّ فِي النَّفْعِ وَالإِضْرَارِ
يَوْمَ أَمْشِي عَلَى الطُّلُولِ السَّوَاجِي لَا افْتِرَارٌ فِيهِنَّ إِلَّا افْتِرَارِي [2]
نَزِقاً بَيْنَهُنَّ غِرّاً لَعُوباً لَاهِياً عَنْ تَبَصُّرٍ وَاعْتِبَارِ
مُسْتَقِلاً عَظِيمَهَا مُسْتَخِفًّا مَا بِهَا مِنْ مَهَابَةٍ وَوَقَارِ
يَوْمَ أَخْلُو « بِهِنْدَ » نَلْهُو وَنَزْهُو وَالهَوَى بَيْنَنَا أَلِيفٌ مُجَارِي
كَفَرَاشِ الرِّيَاضِ إِذْ يَتَبَارَى مَرَحاً مَا لَهُ مِنِ اسْتِقْرَارِ
نَلْتَقِي تَارَةً وَنَشْرُدُ أُخْرَى كُلُّ تِرْبٍ فِي مَخْبَإٍ مُتَدَارِي
فَإِذَا البُعْدُ طَالَ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَثَّنَا الشَّوْقُ مُؤْذِناً بِالبِدَارِ
وَعِدَادَ اللَّحَاظِ نَصْفُو وَنَشْقَى بِجِوَارٍ فَفُرْقَةٍ فَجِوَارِ
لَيْسَ فِي الدَّهْرِ مَحْضُ سَعْدٍ وَلَكِنْ تَلِدُ السَّعْدَ مِحْنَةُ الأَكْدَارِ
كُلَّمَا نَلْتَقِي اعْتَنَقْنَا كَأَنَّا جِدُّ سَفْرٍ عَادُوا مِنَ الأَسْفَارِ [3]
قُبُلَاتٌ عَلَى عَفَافٍ تُحَاكِي قُبُلَاتِ الأَنْدَاءِ وَالأَسْحَارِ
وَاشْتِبَاكٌ كَضَمِّ غُصْنٍ أَخَاهُ وَكَلَثْمِ النُّوَّارِ لِلنُّوَّارِ

---

(١) عرصات : ديار . مقويات : خاليات من السكان (٢) افترار : ابتسام
(٣) جد سفر : مسافرون حقيقيون

قَلْبُنَا طَاهِرٌ وَلَيْسَ خَلِيًّا ، أَطْهَرُ الْحُبِّ فِي قُلُوبِ الصِّغَارِ

كَانَ ذَاكَ الْهَوَى سَلَامًا وَبَرْداً فَاغْتَدَى حِينَ شَبَّ جَذْوَةَ نَارِ

حَبَّذَا «هِنْدُ» ذَلِكَ الْعَهْدُ لَـكِنْ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى الرَّدَى وَالْبَوَارِ

هَدَّ عَزْمِي النَّوَى وَقَوَّضَ جِسْمِي فَدَمَارٌ يَمْشِي بِدَارِ دَمَارِ

***

خِرَبٌ حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهَا فِتْنَةُ السَّامِعِينَ وَالنُّظَّارِ

مُعْجِزَاتٌ مِنَ الْبِنَاءِ كِبَارٌ لِأُنَاسٍ مِلْءَ الزَّمَانِ كِبَارِ

أَلْبَسَتْهَا الشُّمُوسُ تَفْوِيفَ دُرٍّ وَعَقِيقٍ عَلَى رِدَاءِ نُضَارِ

وَتَحَلَّتْ مِنَ اللَّيَالِي بِشَامَا تٍ كَتَنْقِيطِ عَنْبَرٍ فِي بَهَارِ

وَسَقَاهَا النَّدَى رَشَاشَ دُمُوعٍ شَرِبَتْهَا ظَوَامِئُ الْأَنْوَارِ

زَادَهَا الشَّيْبُ حُرْمَةً وَجَلَالًا تَوَّجَتْهَا بِهِ يَدُ الْأَعْصَارِ

رُبَّ شَيْبٍ أَتَمَّ حُسْناً وَأَوْلَى وَاهِنَ الْعَزْمِ صَوْلَةَ الْجَبَّارِ

مَعْبَدٌ لِلْأَسْرَارِ تَمَّ وَلَـكِنْ صُنْعُهُ كَانَ أَعْظَمَ الْأَسْرَارِ

مَثَّلَ الْقَوْمُ كُلَّ شَيْءٍ عَجِيبٍ فِيهِ تَمْثِيلَ حِكْمَةٍ وَاقْتِدَارِ

صَنَعُوا مِنْ جَمَادِهِ ثَمَراً يُجْـــنَى وَلَـكِنْ بِالْعَقْلِ وَالْأَبْصَارِ

وَضُرُوباً مِنْ كُلِّ زَهْرٍ أَنِيقٍ لَمْ تَفُتْهَا نَضَارَةُ الْأَزْهَارِ

وَشُمُوساً مُضِيئَةً وَشِمَاتٍ بَاهِرَاتٍ لَـكِنَّهَا مِنْ حِجَارِ

وَطُيُوراً ذَوَاهِباً آيِبَاتٍ خَالِدَاتِ الْغُدُوِّ وَالإِبْكَارِ (1)

فِي جِنَانٍ مُعَلَّقَاتٍ زَوَاهٍ بِصُنُوفِ النُّجُومِ وَالأَنْوَارِ (2)

وَأُسُوداً يُخْشَى التَّحَفُّزُ مِنْهَا وَيَرُوعُ السُّكُوتُ كَالتَّزْآرِ (3)

عَابِسَاتِ الْوُجُوهِ غَيْرَ غِضَابٍ بَادِيَاتِ الأَنْيَابِ غَيْرَ ضَوَارِي

فِي عَرَانِينِهَا دُخَانٌ مُثَارٌ وَبِأَلْحَاظِهَا سُيُولُ شَرَارِ (4)

تِلْكَ آيَاتُهُمْ وَمَا بَرِحَتْ فِي كُلِّ آنٍ رَوَائِعَ الزُّوَّارِ

ضَمَّهَا كُلَّهَا بَدِيعُ نِظَامٍ دَقَّ حَتَّى كَأَنَّهَا فِي انْتِثَارِ

فِي مَقَامٍ لِلْحُسْنِ يُعْبَدُ بَعْدَ الْـ ـعَقْلِ فِيهِ وَالعَقْلُ بَعْدَ الْبَارِي

مُنْتَهَى مَا يُجَادُ رَسْماً وَأَبْهَى مَا تَحُجُّ القُلُوبُ فِي الأَنْظَارِ

***

أَهْلَ «فِينِيقِيَا» سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَوْمَ تَفْنَى بَقِيَّةُ الأَدْهَارِ

لَكُمُ الأَرْضُ خَالِدِينَ عَلَيْهَا بِعَظِيمِ الأَعْمَالِ وَالآثَارِ

خُضْتُمُ البَحْرَ يَوْمَ كَانَ عَصِيّاً لَمْ يُسَخَّرْ لِقُوَّةٍ مِنْ بُخَارِ

وَرَكِبْتُمْ مِنْهُ جَوَاداً حَرُوناً قَلِقاً بِالْمُمَرَّسِ الْمِغْوَارِ

إِنْ تَمَادَى عَدْواً بِهِمْ كَبَحُوهُ وَأَقَالُوهُ إِنْ كَبَا مِنْ عِثَارِ

وَإِذَا مَا طَغَى بِهِمْ أَوْشَكُوا أَنْ يَأْخُذُوا لَاعِبِينَ بِالأَقْمَارِ

غَيْرُ صَعْبٍ تَخْلِيدُ ذِكْرٍ عَلَى الأَرْ ضِ لِمَنْ خَلَّدُوهُ فَوْقَ الْبِحَارِ

(١) الغدو : الإبكار (٢) النجوم : الأنبتة التي لا سوق لها والأزهار

(٣) التزآر : صوت الأسد (٤) عرانينها : آنافها

شَيَّدُوهَا لِلشَّمْسِ دَارَ صَلَاةٍ وَأَتَمَّ « الرُّومَانُ » حَلْيَ الدَّارِ
هُمْ دُعَاةُ الْفَلَاحِ فِي ذَلِكَ الْعَصْـرِ وَأَهْلُ الْعُمْرَانِ فِي الْأَمْصَارِ
نَحَتُوا الرَّاسِيَاتِ تَحْتَ صُخُورٍ وَأَبَانُوا دَقَائِقَ الْأَفْكَارِ
وَأَجَادُوا الدُّمَى فَجَازَ عَلَيْهِمْ أَنَّهَا الْآمِرَاتُ فِي الْأَقْدَارِ(١)
سَجَدُوا لِلَّذِي هُمُ صَنَعُوهُ سَجَدَاتِ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ
بَعْدَ هَـذَا ، أَغَايَةٌ فَتُرَجَّى لِتَمَامٍ ، أَمْ مَطْمَعٌ فِي افْتِخَارِ ؟

***

نَظَرَتْ « هِنْدُ » حُسْنَهُنَّ فَغَارَتْ ، أَنْتِ أَبْهَى يَا هِنْدُ مِنْ أَنْ تَغَارِي
كُلُّ هَذِي الدُّمَى الَّتِي عَبَدُوهَا لَكِ يَا رَبَّةَ الْجَمَالِ جَوَارِي

العصـــفور

كُنَّا وَقَدْ أَزِفَ الْمَسَاءُ نَمْشِي الْهُوَيْنَا فِي الْخَلَاءْ
ثَمِلَيْنِ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى طَرِبَيْنِ مِنْ نَغَمِ الْهَوَاءْ
مُتَشَاكِيَيْنِ هُمُومَنَا وَكَثِيرُهَا مَحْضُ اشْتِكَاءْ
حَتَّى إِذَا عُدْنَا عَلَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ بِالْعِشَاءْ
سِرْنَا بِجَانِبِ مَنْزِلٍ مُتَطَامِنٍ وَاهِي الْبِنَاءْ

---

(١) الدمى : التماثيل

فَاسْتَوْقَفَتْنِي وَانْبَرَتْ وَثْباً كَمَا تَثِبُ الظِّبَاءْ
حَتَّى تَوَارَتْ فِيهِ عَنِّي فَانْتَظَرْتُ عَلَى اسْتِيَاءْ
وَارْتَبْتُ فِي الأَمْرِ الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ فِي الْخَفَاءْ
فَتَبِعْتُهَا مُتَضَائِلًا أَمْشِي وَيَثْنِينِي الْحَيَاءْ
فَرَأَيْتُ أُمًّا بَادِياً فِي وَجْهِهَا أَثَرُ الْبُكَاءْ
وَرَأَيْتُ وُلْدًا سَبْعَةً صُبُراً عِجَافاً أَشْقِيَاءْ
سُودَ الْمَلَابِسِ كَالدُّجَى حُمْرَ الْمَحَاجِرِ كَالدِّمَاءْ
وَكَأَنَّ «لَيْلَى» بَيْنَهُمْ مَلَكٌ تَكَفَّلَ بِالْعَزَاءْ
وَهَبَتْ فَأَجْزَلَتِ الْهِبَا تِ وَمِنْ أَيَادِيهَا الرَّجَاءْ
فَخَجِلْتُ مِمَّا رَابَنِي مِنْهَا وَعُدْتُ إِلَى الْوَرَاءْ
وَبَسَمْتُ إِذْ رَجَعَتْ فَقُلْتُ: كَذَا التَّلَطُّفُ فِي الْعَطَاءْ
فَتَنَصَّلَتْ كَذِباً وَلَمْ يَسْبِقْ لَهَا قَوْلُ افْتِرَاءْ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ الْجَوَا دُ فَكَانَ أَصْدَقَ فِي السَّخَاءْ
فَأَجَبْتُهَا أَنِّي رَأَيْتُ وَلَا تُكَذَّبُ عَيْنُ رَاءْ
لَا تُنْكِرِي فَضْلًا بَدَا كَالصُّبْحِ نَمَّ بِهِ الضِّيَاءْ
يُخْفِي الْكَرِيمُ مَكَانَهُ فَتَرَاهُ أَطْيَارُ السَّمَاءْ

* * *

ثُمَّ انْثَنَيْنَا رَاجِعَيْنِ وَمِلْءُ قَلْبَيْنَا صَفَاءْ

مُتَفَكِّهَيْنِ مِنَ الأَحا دِيثِ الْعِذَابِ بِمَا نَشَاءْ
فَإِذَا عُصَيْفِيرٌ هَوَى مِنْ شُرْفَةٍ بِيَدِ الْقَضَاءْ
عَارٍ صَغِيرٌ وَاجِفٌ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى الدِّمَاءْ
ظَمْآنُ يَطْلُبُ رِيَّهُ جَوْعَانُ يَلْتَمِسُ الْغِذَاءْ
وَلَشَدَّ مَا سُرَّتْ بِهِـــذَا الضَّيْفِ «لَيْلَى» حِينَ جَاءْ
فَرِحَتْ بِطِيبِ لِقَائِهِ فَرَحَ الْمُفَارِقِ بِاللِّقَاءْ
وَاسْتَنْفَدَتْ لِبَقَائِهِ حِيَلَ الْحَرِيصِ عَلَى الْبَقَاءْ
تَحْنُو عَلَيْهِ كَأُمِّهِ وَتَضُمُّهُ ضَمَّ الإِخَاءْ
فَحَمِدْتُ مِنْهَا بِرَّهَا بِالْبَائِسِينَ الأَشْقِيَاءْ
قَالَتْ : وَهَلْ لَهْوٌ بِعُصْـــفُورٍ جَدِيرٌ بِالثَّنَاءْ ؟
فَأَجَبْتُهَا : هِيَ آيَةٌ لِلَّهِ فِيكِ بِلَا مِرَاءْ
يُخْفِي الْكَرِيمُ مَكَانَهُ فَتَرَاهُ أَطْيَارُ السَّمَاءْ

الأهــــرام

على أثر زيارة لأهرام سقارة

شَادَ فَأَعْلَى ، وَبَنَى فَوَطَّدَا لَا لِلْعُلَى ، وَلَا لَهُ ، بَلْ لِلْعِدَى
مُسْتَعْبِدٌ أُمَّتَهُ فِي يَوْمِهِ مُسْتَعْبَدٌ بَنِيهِ لِلْعَادِي غَدَا
إِنِّي أَرَى عَدَّ الرِّمَالِ هَهُنَا خَلَائِقاً تَكْثُرُ أَنْ تُعَدَّدَا
صُفْرَ الوُجُوهِ نَادِياً جِبَاهُهُمْ كَالْكَلَإِ اليَابِسِ يَعْلُوهُ النَّدَى [1]
مَحْنِيَّةً ظُهُورُهُمْ ، خُرْسَ الْخُطَى كَالنَّمْلِ دَبَّ مُسْتَكِيناً مُخْلِدَا
مُجْتَمِعِينَ أَبْحُراً ، مُنْفَرِعِينَ أَنْهُراً ، مُنْحَدِرِينَ صُعَّدَا
أَكُلُّ هَذِي الأَنْفُسِ الْهَلْكَى غَدَا تَبْنِي لِفَانٍ جَدَثاً مُخَلَّدَا ؟ [2]

* * *

يَا أَيُّهَا الْمَوْتَى أَلَمْ يُسْمِعْكُمُ صَوْتَ الْمُنَادِي صَادِعًا مُرَدَّدَا ؟
قُومُوا انْظُرُوا السُّوقَةَ فِيمَا حَوْلَكُمْ تَدُوسُ هَامَاتِ الْمُلُوكِ هُمَّدَا
قُومُوا انْظُرُوا الْعَدُوَّ فِي دِيَارِكُمْ يَحْكُمُ فِيهَا مُسْتَبِدًّا أَيِّدَا
قُومُوا انْظُرُوا أَجْسَادَكُمْ مَعْرُوضَةً فِي مَشْهَدٍ لِمَنْ يَرُومُ الْمَشْهَدَا
بَعَثْتُ بِهِ يَسْأَلُكُمْ حِسَابَ مَا قَدَّمْتُمُ مَنْ رَاحَ مِنَّا وَاغْتَدَى
لَمْ يُغْنِكُمْ مِنْهُ الْبِنَاءُ عَالِياً وَالأَرْضُ نَهْباً وَالْمُلُوكُ أَعْبُدَا [3]

---

(١) الكلأ : العشب (٢) جدثاً : قبراً (٣) أعبداً : عبيداً

وَكَانَ يُغْنِيكُمْ جَمِيلُ الذِّكْرِ لَوْ   خَفَضْتُمُ اللَّحْدَ وَشِدْتُمْ بِالْمَدَى
أَخْطَأَ مَنْ تَوَهَّمَ القَبْرَ لَهُ   حِرْزاً يَقِيهِ بِالرَّدَى مِنَ الرَّدَى[1]

وفـــاء

قصة فتاة عوّادة

جرت فى مصر وحضر الناظم ختامها

أَشِيرِى إِلَى عَاصِى الهوَى يَتَطَوَّعِ   وَنَادِى المُنَى تُقْبِلْ عَلَيْكِ وَتُسْرِعِ
أَفَقْراً فَتَاةَ الرُّومِ وَالْحُسْنُ مَغْنَمٌ ؟   وَطُهْراً وَهَذَا العَصْرُ عَصْرُ تَمَتُّعِ ؟
إِلَى كَمْ تَطُوفِينَ الرُّبُوعَ تَسَوُّلاً   تَبِيعِينَ صَوْتَ العُودِ لِلْمُتَسَمِّعِ
لَقَدْ كَانَ عَهْدٌ لِلْفَضِيلَةِ وَانْقَضَى   وَأَبْدَعَ هَذَا العَهْدُ أَمْراً فَأَبْدِعِى
وَلَوْ شِئْتِ قَالَ الْحُبُّ إِمْرَةَ قَادِرٍ   لِمُجْدِبِ هَذَا العَيْشِ أَزْهِرْ وَأَمْرِعِ
وَلِلْفَقْرِ كُنْ صَرْحاً مَشِيداً لِأُنْسِهَا   وَلِلصَّخْرِ كُنْ رَوْضاً وَأَوْرِقْ وَأَفْرِعِ
وَلِلظُّلْمَةِ الْخَابِى بِهَا النَّجْمُ أَطْلِعِى   لَهَا أَنْجُماً إِنْ تَغْرُبِ الزُّهْرُ تَسْطَعِ

***

(١) الردى : الموت

فَتَاةٌ كَمَا تَهْوَى النُّفُوسُ جَمِيلَةٌ   مُنَزَّهَةٌ عَنْ رِيبَةٍ وَتَصَنُّعِ

تُخَالُ مُحَلَّاةً وَمَا ثَمَّ مِنْ حِلًى   سِوَى أَدَبٍ وَفْرٍ وَحُسْنٍ مُمَنَّعِ

هَضِيمَةُ كَشْحٍ مَا بِهَا مِنْ خَلَاعَةٍ   وَيَكْذِبُ مَا فِي مَشْيِهَا مِنْ تَخَلُّعِ

بَيَاضٌ يَغَارُ الْعَاجُ مِنْهُ نَقَاوَةً   وَيَحْجُبُهُ لَوْنُ الْحَيَاءِ كَبُرْقُعِ

وَعَيْنَانِ سَوْدَاوَانِ يَنْهَلُّ مِنْهُمَا   ضِيَاءٌ كَمَسْكُوبِ الرَّحِيقِ الْمُشَعْشَعِ

تَمُدُّ يَدَيْهَا لِلسُّؤَالِ ذَلِيلَةً ،   فَإِنْ سُئِلَتْ مَا يُنْكِرُ النُّبْلُ تَمْنَعِ

فَلِلَّهِ تِلْكَ الْكَفُّ تُبْسَطُ لِلنَّدَى   وَلَوْ طَلَبَتْ مُلْكاً لَفَازَتْ بِأَرْفَعِ

تَوَدُّ قُلُوبُ النَّاسِ لَوْ بُذِلَتْ لَهَا   كَبَعْضِ عَطَاءِ الْمُحْسِنِ الْمُتَبَرِّعِ

***

رَآهَا فَتًى خَالٍ فَمَلَّكَ حُسْنَهَا   قِيَادَ الْهَوَى فِي قَلْبِهِ الْمُتَوَزِّعِ

وَكَانَ ضَعِيفَ الرَّأْيِ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ   رَقِيقَ حَوَاشِي الطَّبْعِ سَهْلَ التَّطَبُّعِ

أَدِيباً ، صَبِيحَ الْوَجْهِ ، بَيْنَ ضُلُوعِهِ   فُؤَادُ جَوَادٍ بِالْمَحَامِدِ مُوزَعِ

غَنِيًّا عَلَى الْبَذْلِ الْكَثِيرِ مُوَطَّأً   لَهُ كَنَفُ الْعَلْيَاءِ فِي كُلِّ مَفْزَعِ

فَغَازَلَهَا يَوْمًا فَعَفَّتْ فَظَنَّهَا   تُشَوِّقُهُ بِالصَّدِّ عَنْهُ لِمَطْمَعِ

وَأَنَّى عَلَى فَقْرٍ تَعِفُّ طَهَارَةً   وَلَا عِفَّةٌ إِلَّا بِرِيٍّ وَمَشْبَعِ

فَسَامَ إِلَيْهَا عِرْضَهَا سَوْمَ مُشْتَرٍ   وَأَغْلَى لَهَا مَهْرَ الشَّبَابِ الْمُضَيَّعِ

عَلَى زَعْمِ أَنَّ الْمَالَ ، وَهْوَ شَفِيعُهُ ،   يَكُونُ لَدَى الْحَسْنَاءِ خَيْرَ مُشَفَّعِ

وَلَكِنْ تَعَالَتْ عَنْ إِجَابَةِ سُؤْلِهِ   وَرَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَالَ رَدَّ تَرَفُّعِ

فَمَا زَادَهَا إِلَّا تَجَـالًا إِبَاؤُهَا وَمَا زَادَهُ إِلَّا صَبَابَةَ مُولَعِ

***

وَأَدْرَكَهَا فِي رَوْضَةٍ فَخَلَا بِهَا بِمَرْأَى رَقِيبٍ لِلْعَفَافِ وَمَسْمَعِ

فَلَمَّا اسْتَبَانَتْ فِي هَوَاهُ نَزَاهَةً أَجَابَتْ إِلَى النَّجْوَى وَلَمْ تَتَوَرَّعِ

وَقَالَتْ لَهُ : إِنِّي فَتَاةٌ عَلِيلَةٌ عَلَى مَوْعِدٍ مِنْ طَارِىءٍ مُتَوَقَّعِ

تَنَاوَبَـنِي جُوعٌ وَبَرْدٌ فَأَقْلَقَا دَعَائِمَ صَدْرِي الْخَائِرِ الْمُتَصَدِّعِ

وَبِي ضَعَةٌ فِي الْحَالِ حَاذِرْ قِصَاصَهَا وَمِثْلُكَ إِنْ يُقْرَنْ بِمِثْـلِي يُوضَعِ

وَإِيَّاكَ حُبًّا دُونَهُ كُلُّ شِقْوَةٍ تُعَانِي بِهِ دَائِي وَتَفْجَعُ مَفْجَعِي

لَكَ الْجَاهُ فَاخْتَرْ كُلَّ نَاضِرَةِ الصِّبَى رَبِيبَةَ مَجْدٍ ذَاتَ قَدْرٍ مُرَفَّعِ

وَكِلْـنِي إِلَى هَمِّي فَإِنِّي غَرِيقَةٌ بِبَحْرٍ مِنَ الآلَامِ وَالذُّلِّ مُتْرَعِ

إِذَا لَحَظَتْ عَيْنِي النَّعِيمَ فَإِنَّهُ لَيَنْفِرُ مِنِّي نَفْرَةَ الْمُتَفَزِّعِ

سُقِيتُ الرَّزَايَا طِفْلَةً ثُمَّ هَذِهِ ثُمَالَةُ تِلْكَ الْكَأْسِ فَلْأَتَجَرَّعِ

فَقَالَ لَهَا : بَلْ يَشْهَدُ اللهُ بَيْنَنَا وَأَسْقَامُ قَلْبِي الْوَالِهِ الْمُتَوَجِّعِ

وَتَشْهَدُ هَذِي الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا وَمَا حَوْلَنَا مِنْ نُورِهَا الْمُتَفَرِّعِ

وَيَشْهَدُ ذَا الرَّوْضُ الأَرِيضُ وَدَوْحُهُ وَمَا فِيهِ مِنْ زَهْرٍ وَعِطْرٍ مُضَوَّعِ

وَهَذِي الظِّلَالُ الْبَاسِطَاتُ أَكُفَّهَا وَهَذِي الشُّعَاعُ الْمُومِئَاتُ بِأَذْرُعِ

وَهَذِي الْمِيَاهُ النَّاظِرَاتُ بِأَعْيُنٍ وَهَذِي الْغُصُونُ الْمُصْغِيَاتُ بِمَسْمَعِ

بِأَنِّيَ لَا أَبْغِي سِوَاكِ حَلِيلَةً وَمَهْمَا تَسُمْنِي صَبْوَتِي فِيكِ أَخْضَعِ

وَأَنِّيَ أَقلِي صِحَّتِي وَشَبِيبَتِي إِذَا لَمْ تَكُونِي فِيهِمَا مُتَمَتَّعِي [1]

لِعَيْنَيْكِ أَرْضَى بِالْحَيَاةِ بَغِيضَةً عَلَيَّ فَإِنْ عُوجِلْتِ بِالْبَيْنِ أَتْبَعِ

فَقَالَتْ لَهُ مَسْرُورَةً وَهْيَ قَدْ جَثَتْ لَدَيْهِ بِذُلِّ الْعَابِدِ الْمُتَخَشِّعِ :

أَفِي حُلُمٍ أَمْ يَقْظَةٍ مَا سَمِعْتُهُ فَإِنَّ سُرُورِي، فَرْطَ مَا زَادَ، مُفْزِعِي

لَعَمْرُكَ مَا قَرَّتْ عُيُونٌ بِمَنْظَرٍ وَلَا طَرِبَتْ نَفْسٌ بِلَحْنٍ مُوَقَّعِ

وَلَا رَوِيَتْ ظَمْأَى الرَّيَاحِينِ بِالنَّدَى فَعَادَتْ كَأَزْهَى مَا تَكُونُ وَأَبْدَعِ

وَلَا آنَسَ الْمَلَّاحُ بُشْرَى مَنَارَةٍ لَهُ بِلِقَا أَهْلٍ وَصَحْبٍ وَمَرْبَعِ

كَمَا طِبْتُ نَفْساً بِالَّذِي أَنْتَ قَائِلٌ وَفَارَقَنِي الْيَأْسُ الَّذِي كَانَ مُوجِعِي

وَمَا أَنَا إِلَّا حُرَّةٌ مُسْتَرَقَّةٌ لِفَضْلِكَ مَهْمَا تَأْمُرِ الْقَلْبَ يَصْنَعِ

وَأَجْزِيكَ عَنْ عُمْرٍ إِلَيَّ أَعَدْتَهُ بِحُبِّي وَإِخْلَاصِي عَلَى الْعُمْرِ أَجْمَعِ

وَقَدْ خَتَمَا هَذِي الْعُهُودَ بِقُبْلَةٍ وَأَكَّدَهَا صِدْقُ الْغَرَامِ بِمَدْمَعِ

***

حَيَاتُكَ مَا سَاءَتْ وَسَرَّتْ كَرَكْبٍ عَلَى سَفَرٍ رَاسٍ قَلِيلًا فَمُقْلِعِ

فَإِمَّا انْقَضَتْ فَالْحَادِثَاتُ جَمِيعُهَا تَزُولُ زَوَالَ الْعَارِضِ الْمُتَقَشِّعِ

أَتَنْظُرُهَا حَسْنَاءَ جَمَّلَهَا الرَّدَى لِيَسْطُوَ عَلَيْهَا سَطْوَةَ الْمُتَمَنِّعِ ؟

عَلَى وَجْهِهَا مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ مَسْحَةٌ تُذِيبُ فُؤَادَ الْعَاشِقِ الْمُتَطَلِّعِ

يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى عَيَاءً بِنَفْسِهِ عَلَى الْأَرْضِ كَالنِّضْوِ الطَّلِيحِ الْمُضَلَّعِ

---

(١) أقلي : أبغض

فَجَعْتَ فُؤَادِي يَا زَمَانُ بِخَطْبِهَا فَلَيْتَكَ مَرْزُوءُ الْفُؤَادِ بِأَفْجَعِ
عَرُوسٌ لِعَامٍ لَمْ يَتِمَّ صَرَعْتَهَا وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَضْرِبْ بِأَمْضَى وَأَقْطَعِ
فَبَاتَتْ عَلَى مَهْدِ الضَّنَى مَا لِجَفْنِهَا هُجُوعٌ وَلَا جَنْبِي يَقَرُّ بِمَهْجَعِ
وَكَانَتْ رَبِيعاً لِي فَأَقْوَتْ مَرَابِعِي مِنَ الزَّهْرِ وَالشَّدْوِ الرَّخِيمِ الْمُرَجَّعِ [1]
أَقُولُ لَهَا وَالدَّاءُ يُنْحِلُ جِسْمَهَا : عَزَاءَكِ لَا بَأْسٌ عَلَيْكِ فَتَجْزَعِي
كَذَبْتُ عَلَى أَنَّ الأَكَاذِيبَ رُبَّمَا أَطَالَتْ حَيَاةً لِلْحَبِيبِ الْمُوَدِّعِ
وَلَكِنْ أَرَاهَا يَنْفُثُ الدَّمَ صَدْرُهَا فَأَشْعُرُ فِي صَدْرِي بِمِثْلِ التَّقَطُّعِ
وَأَحْنُو عَلَيْهَا حَنْيَةَ الأُمِّ مُشْفِقاً وَهَيْهَاتَ تَحْمِيهَا مِنَ الْبَيْنِ أَضْلُعِي
وَأَرْنُو إِلَيْهَا بَاسِماً مُتَكَلِّفاً فَتَفْشِي مِرَاراً سِرَّ خَوْفِي أَدْمُعِي
وَمَا غَرَّهَا مِنِّي افْتِرَارٌ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْيَأْسِ انْكِشَافُ التَّصَنُّعِ
إِذَا افْتَرَّ ثَغْرِي مِنْ خِلَالِ كَآبَتِي عَلَى مَا بِقَلْبِي مِنْ أَسًى وَتَفَجُّعِ
فَقَدْ يَبْسِمُ الْبَرْقُ الْبَعِيدُ وَإِنَّهُ لَتُو ضَرَمٍ مُفْنٍ وَرَعْدٍ مُرَوِّعِ

***

فَبَيْنَا يُنَاجِي نَفْسَهُ وَفُؤَادُهُ كَشِلْوٍ بِأَنْيَابِ الْهُمُومِ مُبَضَّعِ [2]
دَعَتْهُ وَقَالَتْ : يَا حَبِيبِيَ إِنَّهُ دَنَا أَجَلِي فَالْزَمْ عَلَى الْقُرْبِ مَضْجَعِي
مَتَى تَبْتَعِدْ أُوجِسْ حِذَاراً مِنَ الرَّدَى وَلَكِنَّنِي أَسْلُو الرَّدَى إِنْ تَكُنْ مَعِي
أَيُذْكِرُكَ التَّوْدِيعُ أَوَّلَ مُلْتَقًى كَشَفْنَا بِهِ سِتْرَ الْغَرَامِ الْمُقَنَّعِ ؟

(١) أقوت : خلت (٢) كشلو ، الشلو : العضو من أعضاء اللحم

وَحلَفْتَنَا أَنْ لَا يُصَدِّعَ شَمْلَنَا فِرَاقٌ عَلَى رَغْمِ الزَّمَانِ المُصَدِّعِ ؟ (١)

فَعِشْ سَالِماً وَاغْنَمْ شَبَابَكَ مُطْلَقاً مِنَ العَهْدِ وَلْأُجْعَلْ فِدَاكَ بِمَصْرَعِي (٢)

وَمَا كَانَ ذَاكَ العَهْدُ إِلَّا وَدِيعَةً تَلَقَّيْتَهَا مِنْ ذِي وَفَاءٍ سَمَيْذَعِ

وَعِنْدَ النَّوَى تُوفَى الأَمَانَاتُ أَهْلَهَا وَيُنْهَى إِلَى أَرْبَابِهِ كُلُّ مُودَعِ

وَلَـكِنْ إِذَا مَلَّكْتَ قَلْبَكَ فَاحْتَفِظْ بِرَسْمِي وَحَسْبِي فِيهِ أَصْغَرُ مَوْضِعِ

* * *

فَأَصْغَى إِلَيْهَا وَهْوَ يَشْهَدُ نَزْعَهَا وَيَنْزِعُ فِي آلَامِهِ كُلَّ مَنْزِعِ

وَقَالَ: أَبَى اللهُ الخِيَانَةَ فِي الهَوَى فَإِنْ لَمْ أَمُتْ بِالعَهْدِ فَلْأَتَطَوَّعِ

فَيَا بَهْجَةَ البَيْتِ الَّذِي هُوَ بَعْدَهَا كَدَارِسِ رَسْمٍ فَاقِدِ الأُنْسِ بَلْقَعِ

وَيَا زَهْرَةَ الحُبِّ الَّتِي بِذُبُولِهَا ذُبُولُ فُؤَادِي النَّاشِئِ المُتَرَعْرِعِ

لَئِنْ تَنْزِلِي دَارَ الفَنَاءِ وَحِيدَةً فَلَا كَانَ قَلْبِي فِي الهَوَى قَلْبَ أَرْوَعِ (٣)

وَإِنْ عُدْتُ فِيمَنْ شَيَّعُوكِ فَلَا يَكُنْ بِمَوْتِيَ لِي مِنْ صَاحِبٍ وَمُشَيِّعِ

* * *

وَلَمَّا أَجَابَتْ دَاعِيَ البَيْنِ مَوْهِناً أَجَابَ كَمَا شَاءَ الوَفَاءُ وَمَا دُعِي (٤)

أَصَابَتْ سِهَامُ اليَأْسِ مَقْتَلَ قَلْبِهِ فَمَا نُعِيَتْ حَتَّى عَلَى إِثْرِهَا نُعِي

عَلَى أَنَّمَا الدُّنْيَا: اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَتَخْلُفُ دَارَ البَيْنِ دَارُ التَّجَمُّعِ

---

(١) حلفتنا: اليمين التي أقسمناها (٢) العهد: القسم (٣) أروع: شهم
(٤) موهناً: ليلا

للغريق ثأر

توفى المرحوم أحمد عاصم غرقا وهو فى اقتبال الشباب

لَوْ كَانَ مِمَّا شَاءَ رَبُّكَ عَاصِمُ ... لَنَجَا الْغَرِيقُ وَعَاشَ «أَحْمَدُ عَاصِمُ»

سُقِيَ الرَّدَى، حَيْثُ الأُجَاجُ رَحِيقُهُ ... وَالْكَأْسُ بَحْرٌ مَوْجُهُ مُتَلَاطِمُ (1)

وَثَوَى رَهِينَ قَرَارَةٍ مَيَّادَةٍ ... لَا يَسْتَقِرُّ بِهَا الدَّفِينُ النَّائِمُ (2)

يَا رَاحِلًا مَا كَانَ أَسْرَعَ كَرَّةً ... مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا الْحِمَامُ الْهَاجِمُ

لَرَثَى لَكَ الْجَانِي عَلَيْكَ لَوَ انَّهُ ... لِلْبَحْرِ قَلْبٌ ذُو شُعُورٍ رَاحِمُ

أَبْكَى الْعُيُونَ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّهُ ... مِنْ مَائِهِ دَمْعُ الْعُيُونِ السَّاجِمُ

وَلَعَلَّهُ أَرْعَى عَلَيْكَ مِنَ الْبِلَى ... فِي تُرْبَةٍ تَرْبُو وَأَنْفُكَ رَاغِمُ (3)

فَأَقَرَّ جِسْمَكَ حَيْثُ يَغْدُو جَوْهَراً ... تُنْتَامُ فِيهِ الدُّرُّ وَهْيَ كَرَائِمُ

وَسَمَا بِنَفْسِكَ فِي الْعُلَى فَتَأَلَّقَتْ ... مُفْتَرَّةً حَيْثُ النُّجُومُ بَوَاسِمُ

فَكِلَاهُمَا فِي عَالَمَيْنِ تَشَاكَلَا ... شَبَهاً كَمَا شَاءَ الْبَدِيعُ النَّاظِمُ

تِلْكَ النُّجُومُ الطَّافِيَاتُ عَوَالِمٌ ... وَالدُّرُّ فِي الْمَاءِ الْمُحِيطِ عَوَالِمُ

صَغُرَتْ عِظَامُهَا لَدَى تَكْوِينِهَا ... وَصِغَارُهُنَّ عَلَى النِّظَامِ عِظَامُ

أَسَفاً عَلَيْكَ وَنَحْنُ أَوْلَى بِالأَسَى ... أَيْنَ الَّذِي يَشْقَى؟ وَأَيْنَ النَّاعِمُ؟

كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَكَانَ لَكَ الْغِنَى ... وَالْجَاهُ وَالْجِسْمُ الصَّحِيحُ السَّالِمُ

---

(1) الأجاج : الملح (2) ميادة : متحركة (3) أرعى عليك : أبقى عليك ؛ تربو : تزداد

وَلَكَ الصِّبَى وَالزَّهْوُ وَالزَّمَنُ الرِّضَى وَاللَّهْوُ وَالسَّعْدُ الْمُطِيعُ الْخَادِمُ

مِنْ كُلِّ مَا يُعْتَدُّ غُنْماً لِلْفَتَى لَوْ فِي الْحَيَاةِ مَغَارِمٌ وَمَغَانِمُ

فَقَضَيْتَ لَا مَنْ عَاشَ بَعْدَكَ غَانِمٌ رَهْنَ الْعَذَابِ ، وَلَا شَبَابُكَ غَارِمُ

يَتَكَافَأُ الْحِدْثَانُ فِي الدُّنْيَا سِوَى أَنْ نِمْتَ عَنْهُ وَمَنْ تَخَلَّفَ قَائِمُ

وَمَصِيرُنَا وَالدَّهْرُ وَالدُّنْيَا مَعاً قَدَرٌ عَمِيمٌ وَانْحِلَالٌ حَاتِمُ

لَا بَحْرَ نَاجٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ وَلَا أُفُقٌ وَلَا حَدَثٌ وَلَا مُتَقَادِمُ

العقـــاب

واقعة جرت فى مصر لإحدى الأسر الثرية تسلسلت
من عهد إسماعيل حتى انتهت بالفاجعة الموصوفة

سِوَى الْحُبِّ لَا يَشْفِي الْفُؤَادَ الْمُكَلَّمَا وَلَا يَهْنِئُ الْمُضْنَى وَإِنْ كَانَ مُؤْلِمَا[1]

وَمَا زَالَ ذُو الْقَلْبِ الْخَلِيِّ مِنَ الْهَوَى كَظَمْآنَ لَا يُرْوِى لَهُ مَوْرِدٌ ظَمَا

هُوَ الدَّهْرُ كَالتَّيَّارِ يَكْتَسِحُ الْوَرَى بِلَيْلٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ أَعْكَرَ أَهْيَمَا[2]

فَمَا أَجْدَرَ الْقَلْبَيْنِ فِيهِ تَلَاقِيَا عَلَى شِقْوَةٍ أَنْ يَسْلُوَاهَا وَيَنْعَمَا

كَمَا يَتَلَاقَى فِي طَرِيقٍ مَخُوفَةٍ غَرِيبَانِ نَالَتْ شُقَّةُ السَّيْرِ مِنْهُمَا

وَكَمْ عَاشِقٍ يَسْلُو رَزَايَاهُ بِالْهَوَى وَقَدْ يَجْتَلِي وَجْهَ النَّعِيمِ تَوَهُّمَا[3]

(١) المكلم : المجرّح (٢) أهيم : شديد الظلام (٣) رزاياه : مصائبه

كَسَالِكِ وَعْرٍ رَاقَهُ حُسْنُ كَوْكَبٍ   فَأَرْجُلُهُ تَدْمَى وَعَيْنَاهُ فِي السَّمَا
فَإِنْ نَالَهُ فِي الْحُبِّ خَطْبٌ فَإِنَّهُ   لَيَقْضِي خَلِيقاً أَنْ يَمُوتَ فَيَسْلَمَا

* * *

عَفَا اللهُ عَنْ صَبٍّ شَهِيدِ غَرَامِهِ   أَصَابَ جِرَاحاً حَيْثُمَا ظَنَّ مَرْهَمَا
فَتًى كَانَ ذَا جَاهٍ وَعِلْمٍ وَفِطْنَةٍ   كَرِيمَ السَّجَايَا مُسْتَحَبًّا مُكَرَّمَا
وَلَـكِنْ لِـكُلٍّ حَيْثُ جَلَّتْ سُعُودُهُ   شَقَاءٌ يُوَافِيهِ أَجَلَّ وَأَعْظَمَا
سَبَتْ لُبَّهُ «أَسْمَاءُ» مُنْذُ اخْتِلَامِهِ   فَـكَانَ الْهَوَى يَنْمُو بِهِ كُلَّمَا نَمَا
تَعَلَّقَهَا حُورِيَّةً حَضَرِيَّةً   يَكَادُ يَكُونُ النُّورُ مِنْهَا تَبَسُّمَا
تَرَاءَتْ مَعَانِيهَا بِمِرْآةِ قَلْبِـهِ   فَثَبَّتَهَا فِيهَا الْغَرَامُ وَأَحْكَمَا
لَهَا شَعَرٌ كَاللَّيْلِ يَجْـلُو سَوَادَهُ   بَيَاضُ نَهَارٍ يَبْهَرُ الْمُتَوَسِّمَا
وَعَيْنَانِ كَالنَّجْمَيْنِ فِي حَلَكِ الدُّجَى   هُمَا نِعْمَةُ الدُّنْيَا ، وَشِقْوَتُهَا هُمَا
وَأَهْدَابُ أَجْفَانٍ تَخَالُ أَشِعَّةً   مُصَفَّفَةً غَرَّاءَ تُعْكَسُ عَنْهُمَا
وَمُنْفَرِجٌ مِنْ خَالِصِ الْعَاجِ مَارِنٌ   كَأَنَّ الْهَوَى قَدْ بُثَّ فِيهَا تَنَسُّمَا[1]
تُبَالِغُ فِيهِ الْحَاسِدَاتُ وِشَايَةً   وَمَا حُجَّةُ الْوَاشِي إِذَا الْحَقُّ أَفْحَمَا ؟
فَرُبَّ سَوِيٍّ عُدَّ عَيْباً بِمَوْضِعٍ   وَفِي غَيْرِهِ لِلْحُسْنِ كَانَ مُتَمِّمَا
وَرُبَّ غَرِيبٍ فِي الْمَلَامِحِ زَانَهَا   وَكَانَ بِهَا مِنْ مُحْكَمِ الْوَضْعِ أَوْسَمَا[2]
وَثَغْرٌ كَمَا شَفَّتْ عَنِ الرَّاحِ كَأْسُهَا   يُتَوِّجُهَا دُرُّ الْحَبَابِ مُنَظَّمَا

---

(١) ومنفرج من خالص العاج مارن : أوصاف الأنف   (٢) أوسم : أجمل

وَخَصْرٌ إِلَيْهِ يَنْتَهِي رَحْبُ صَدْرِهَا ... وَقَدْ دَقَّ حَتَّى خِيلَ بِالثَّوْبِ مُبْرَمَا
فَإِنْ أَقْبَلَتْ فَالْغُصْنُ أَثْقَلَهُ الْجَنَى ... فَمَالَ قَلِيلًا وَاسْتَوَى مُتَقَوِّمَا

* * *

تَعَلَّقَهَا غِرًّا لَعُوبًا مِنَ الصِّبَى ... فَمَا شَبَّ إِلَّا رَاحَ وَلْهَانَ مُغْرَمَا
وَلَازَمَهَا كَالظِّلِّ غَيْرَ مُفَارِقٍ ... مَشُوقًا عَلَى كَرِّ اللَّيَالِي مُتَيَّمَا
وَكَانَتْ عَلَى الأَيَّامِ تَزْدَادُ بَهْجَةً ... وَيَزْدَادُ إِعْجَابًا بِهَا وَتَهَيُّمَا
وَكَانَ عَلَى جَهْلٍ يَعِيشُ بِحُبِّهَا ... وَبِالأَمَلِ الْمَدْفُونِ فِيهِ تَكَتُّمَا
يُسَرُّ سُرُورَ الطِّفْلِ بِالأُمِّ إِنْ دَنَتْ ... وَيَبْكِي إِذَا بَانَتْ كَطِفْلٍ تَيَتَّمَا
وَلَمْ تُدْنِهِ غَضَّ الشَّبَابِ فَيَشْتَفِي ... وَلَمْ تُقْصِهِ قَبْلَ الشَّبَابِ فَيُفْطَمَا
فَكَانَ بِهَا يَشْكُو إِلَيْهَا عَذَابَهُ ... وَيَرْجُو ذَلِيلًا أَنْ تَرِقَّ وَتَرْحَمَا
وَلَـكِنْ جَفَتْ فَانْدَكَّ مَعْقِلُ صَبْرِهِ ... وَأَعْيَاهُ دَفْعُ الْيَأْسِ عَنْهُ فَسَلَّمَا

* * *

لِأَيِّ الْمُلُوكِ الصِّيدِ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ ... كَبُرْجٍ ؟ وَمَا الأَبْرَاجُ مِنْهُ بِأَفْخَمَا(١)
تَمَنْطَقَ مِنْ أَنْوَارِهِ بِعَقَائِقٍ ... وَقُلِّدَ فَوْقَ الرَّأْسِ دُرًّا وَأَنْجُمَا
نَعَمْ هُوَ دَارٌ لِلْمُلُوكِ عَتِيقَةٌ ... وَلَـكِنْ غَدَتْ لِلْفُحْشِ دَارًا وَبِئْسَمَا
حَبَاهَا أَمِيرٌ غَاشِمٌ لِأَسَافِلٍ ... بِعِرْضٍ تَوَلَّاهُ وَرُدَّ مُثَلَّمَا
كَذَا يَفْعَلُ الطَّاغِي الْمُطَاعُ فَإِنَّهُ ... لِيَفْتِكُ مَحْمُودًا وَيَسْلُبُ مُنْعِمَا

---

(١) صرح ممرد : قصر عال

بِنَاءٍ بِمَالِ النَّاسِ قَامَ جِبَايَةً ... وَلَوْ ذَوَّبُوا تَذْهِيبَهُ لَجَرَى دَمَا
هُنَالِكَ أَنْوَارٌ شَوَاثِمُ لِلدُّجَى[1] ... رِوَامٍ بِهَا مَذْخُورَةً كُلَّ مُرْتَمَى
جَوَاعِلُ أَيَّامِ الَّذِي هُنَّ لَيْلُهُ ... نَهَاراً طَوِيلاً لَا يُرَى مُتَقَسَّمَا
يُعَظِّمْنَهُ عَنْ أَنْ يَمُرَّ زَمَانُهُ ... مُنَاراً كَحُكْمِ اللهِ وَالبَعْضُ مُظْلِمَا
إِذَا خَشِيَ الجَانِي لِقَاءَ ضَمِيرِهِ ... أَدَالَ مِنَ اللَّيْلِ المَصَابِيحَ وَاحْتَمَى
مَصَابِيحُ يَسْتَعْدِي بِهَا مَنْ يُضِيئُهَا ... عَلَى ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ أَوْ تَتَجَرَّمَا
هُنَالِكَ إِطْعَامٌ كَثِيرٌ وَإِنَّمَا ... يَخُصُّ بِهِ مَنْ كَانَ لِلْحَقِّ أَهْضَمَا
وَمَنْ مَاؤُهُ دَمْعٌ وَخَمْرَتُهُ دَمٌ ... وَيَفْتَرِسُ المِسْكِينَ لَحْماً وَأَعْظُمَا
وَلَائِمُ مِنْ كَدْحِ الفَقِيرِ مُعَدَّةٌ ... فَلَا تَهْنِ مَدْعُوًّا وَلَا تَهْنِ مُولِمَا
هُنَالِكَ جُمْهُورٌ تَخَالُ رِجَالَهُمْ ... نِسَاءً مُحَلَّاةً وَنِسْوَتَهُمْ دُمَى[2]
يَمِيلُونَ مِنْ فَرْطِ المَسَرَّةِ نَشْوَةً ... وَيُنْشِدُ كُلٌّ مِنْهُمُ مُتَرَنِّمَا
فَيَا أَيُّهَا العَافِي المُسْلِمُ بِدَارِهِمْ ... رُوَيْدَكَ ، لَا تَغْبِطْ غَنِيًّا مُذَمَّمَا
أَيُغْبَطُ مَنْ جَادَتْ يَدَاهُ بِعِرْضِهِ ... لِمَا أَنَّهُ أَثْرَى بِذَاكَ فَأَكْرَمَا ؟
وَمَنْ يَلْتَمِسْ رِزْقاً وَهَذَا سَبِيلُهُ ... فَأَخْلِقْ بِهِ أَنْ يُسْتَهَانَ وَيُرْجَمَا
هَنِيئاً لَكَ الإِعْسَارُ وَالعِرْضُ سَالِمٌ ... وَكُنْ مَا يَشَاءُ اللهُ جَوْعَانَ مُعْدِمَا
تَرَقَّبْ عِقَابَ اللهِ فِيهِمْ هُنَيْهَةً ... تَجِدْ عِنْدَهُمْ هَذَا تَحَوَّلَ مَأْتَمَا

***

(١) الدجى : الظلمات (٢) دمى : تماثيل.

كُلُوا وَاشْرَبُوا مَا لَذَّ لَكُمْ وَحَلَا لَكُمْ ... وَفُضُّوا زُجَاجَ السَّلْسَبِيلِ الْمُخَتَّمَا
وَطُوفُوا سُكَارَى رَاقِصِينَ وَأَنْشِدُوا ... وَلَا تَسْمَعُوا صَوْتَ الضَّمِيرِ مُؤَثِّمَا
فَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي ... فَسُرُّوا بِهَا مَا تَسْتَطِيعُونَ رَيْثَمَا
وَمَنْ أَمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ غَيْرَ عَالِمٍ ... بِمَا بَعْدَهَا فَلْيَنْهَبِ الصَّفْوَ مَغْنَمَا
وَأَغْوَى عِبَادَ اللهِ « أَسْمَاء » وَابْتُلِي ... لِحَاظَكِ آلَاء وَإِنْ كُنَّ أَسْهُمَا(١)
مُحِبُّوكِ كُثْرٌ وَالأَبَرُّ مُعَاقَبٌ ... وَمَنْ بَرَّ بِالحَسْنَاء عُوقِبَ مُجْرِمَا
يُحِبُّكِ حَتَّى أَنْتِ مَعْنَى حَيَاتِهِ ... إِذَنْ هُوَ أَوْلَى أَنْ يُسَاء وَيُظْلَمَا
وَمَهْمَا يَجِدَّ الوَجْدُ فِيهِ فَبَالِغِي ... بِهَزْلِكِ حَتَّى تَقْتُلِيهِ تَهَكُّمَا

***

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الرَّجَاء مُضَيَّعٌ ... وَأَنَّ مَنَارَ السَّعْدِ بَانَ وَأَعْتَمَا
مَضَى يَتَمَشَّى فِي الحَدِيقَةِ مُغْضَباً ... يَكَادُ الأَسَى فِيهِ يُثِيرُ جَهَنَّمَا
يَرُوحُ وَيَغْدُو خَائِفاً ثُمَّ رَاجِياً ... وَيَبْكِي حَزِيناً آسِفاً مُتَوَجِّمَا
تُشَاكُ بِمَرْأَى ذَلِكَ الرَّوْضِ عَيْنُهُ ... وَيَحْسَبُ فِيهِ سَائِغَ المَاء عَلْقَمَا(٢)
فَيَا لَعِقَابِ الفَرْعِ وَالأَصْلُ قَدْ جَنَى ... لِيَغْدُوَ أَنْكَى مَا يَكُونُ وَأَضْرَمَا
يَقُولُ أَسِيفاً : لَيْتَنِي كُنْتُ مُدْقِعاً ... مِنَ الفَقْرِ لَمْ أَمْلِكْ رِدَاء وَمَطْعَمَا
وَيَا لَيْتَنِي أَقْضِي نَهَارِيَ مُتْعَباً ... وَأَحْسُدُ فِي اللَّيْلِ الأَصِحَّاء نُوَّمَا
وَيَا لَيْتَنِي شَيْخٌ ضَئِيلٌ مُحَدَّبٌ ... أَسِيفٌ عَلَى عَهْدٍ حَبِيبٍ تَقَدَّمَا

(١) آلاء : نعم (٢) تشاك : تجرح بخل وخز الشوك

ذنْ كَانَ هَذَا العَيْشُ كأْسًا مَسُوغَةً … بِصَبْرِي أُحَلِّيهِ وَإِنْ يَكُ عَلْقَمَا
أَيَنْفَعُــنِي جَاهِي وَعِلْمِي وَفِطْنَــتِي ؟ … وَهَلْ عَصَمَتْ قَبْــلِي سِوَايَ فَأَعْصَمَا ؟
وَلَــكِنْ أَرَى أَنَّ الْمَذَاهِبَ ضِقْنَ بِي … وَأَنَّ مَمَاتِي قَدْ غَدَا مُتَحَتِّمًا
وَإِنْ يَرْمِنِي بِالْجُبْنِ قَوْمٌ فَإِنَّــنِي … رَأَيْتُ اتِّقَاءَ الضَّيْمِ بِالْمَوْتِ أَحْزَمَا
إِذَا اشْتَدَّ غَلْيٌ فِي إِنَاءٍ فَمَا الَّذِي … يُعَابُ عَلَيْهِ إِنْ وَهَى وَتَحَطَّمَا ؟
وَإِنْ رَزَحَ الْحَمَّالُ مِنْ وِقْرِ حِمْلِهِ … أَيُلْقِيهِ عَنْهُ أَمْ يُطَاوِعُ لُوَّمَا ؟[1]

* * *

فَلَمَّا انْتَهَى أَوْرَى الزِّنَادَ مُسَدَّداً … إِلَى قَلْبِهِ فَانْحَطَّ يَخْبِطُ بِالدِّمَا
كَأَنَّ بِنَاءً رَاسِخاً فِي مَكَانِهِ … هَوَى بِشِهَابٍ مُحْرِقٍ وَتَهَدَّمَا
كَأَنَّ الْجَمَادَ النَّاضِحَ الدَّمَ لَمْ يَكُنْ … سَمِيعاً بَصِيراً مُدْرِكاً مُتَكَلِّمَا
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ هُنَاكَ وَلَا نُهًى … وَلَمْ يَكُ فَضْلٌ يُسْتَفَادُ مُيَمَّمَا
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ حُبٌّ فَصَدُّ حَبِيبَةٍ … فَيَأْسٌ كَبُرْكَانٍ يَثُورُ تَضَرُّمَا
فَمَوْتُ بَرِيءٍ حَيْثُمَا بَاتَ جَدُّهُ … أَثِيمًا بِأَمْوَالِ الْعِبَادِ مُنَعَّمَا

---

(١) وان رزح الحمّال من وقر حمله : سقط الى الأرض من ثقل حمله

يوميات أديبة

تَكْتُبُ يَوْمِيَّاتِهَا «عَادِلَة» نَاقِدَةً فِي حُكْمِهَا عَادِلَة

تَذْكُرُ مَا يَخْطُرُ فِي بَالِهَا فِي كَلِمٍ مَنْدُودَةٍ حَافِلَة

وَتَصِفُ النَّاسَ عَلَى خِبْرَةٍ حَتَّى تَرَاهُمْ صُوَراً مَاثِلَة

وَتَصِفُ الأَحْوَالَ مَشْهُودَةً كَأَنَّهَا المِرْسَمَةُ النَّاقِلَة

فِي جُمَلٍ مُوجَزَةٍ جَزْلَةٍ وَاضِحَةٍ تُرْسِلُهَا عَاجِلَة

* * *

أَعْجَبَنِي مِنْ نَقْدِهَا قَوْلُهَا فِي غَادَةٍ بَادِنَةٍ جَاهِلَة :

« فُلَانَةٌ حَسْنَاء لَكِنَّهَا عَلَى صِبَاهَا بَضَّةٌ خَامِلَة

إِنْ تَتَكَلَّمْ فَهِيَ مَجْهُودَةٌ أَوْ تَتَحَرَّكْ فَهِيَ مُتَثَاقِلَة

كَوَرْدَةٍ أَكْثِرَ إِرْوَاؤُهَا فَنَشَأَتْ مَائِيَةً ذَابِلَة »

* * *

وَقَوْلُهَا فِي هَرِمٍ جَاعِلٍ هَوَى الْغَوَانِي شُغُلًا شَاغِلَة :

« وَجْهُ الثَّمَانِينَ وَشِعْرُ الصِّبَى أَلشَّيْبُ حِلْيُ الأَنْفُسِ الكَامِلَة

لَمْ يَتَزَوَّجْ وَهْوَ شَأْنُ امْرِئٍ يَحْسَبُ جَهْلًا نِسْوَةَ النَّاسِ لَهْ

فَضَاعَ فِي إِسْرَافِهِ عُمْرُهُ وَلَمْ يَنَلْ إِلَّا الْمُنَى السَّافِلَة

وَمَا دَرَى أَنَّ سُعُودَ الْهَوَى لِفَاضِلٍ زَوْجَتُهُ فَاضِلَة »

* * *

وَقولُهَا خَطْرَةَ فِكْرٍ لَهَا كَأَنهَا عَنْ نَفْسِهَا قَائِلَهْ :
« فُلَانَةٌ حَسْنَاء فِي زَعْمِهِمْ أَدِيبَةٌ آنِسَةٌ عَاقِلَهْ
لَكِنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى ثَرْوَةٍ إِذَنْ فَهَاتِيكَ الْحُلَى بَاطِلَهْ
يَزْدَحِمُ الفِتْيَانُ فِي بَابِهَا وَتَتْبَعُ القَافِلَةَ القَافِلَهْ
كَأَنَّهَا التِّمْثَالُ فِي مُتْحَفٍ تَزُورُهُ لِلرُّؤْيَةِ « السَّابِلَهْ » (1)

فى إهداء باقة أزهار

إلى سيدة افرنجية

هَذِهِ تُحْفَةُ الرِّيَاضِ إِلَى مَنْ فَاحَ فِي الشَّرْقِ طِيبُهَا وَتَأَرَّجْ
هِيَ بَيْنَ الْحِسَانِ زَهْرَةُ أُنْسٍ حُسْنُهَا بِالْحَيَاءِ مِنْهَا مُسَيَّجْ
وَعَجِيبٌ جَمْعُ الْمُهَيْمِنِ فِيهَا عِزَّةَ الوَرْدِ وَاتِّضَاعَ الْبَنَفْسَجْ

---

(1) السابلة : أبناء السبيل

مقتل بزرجمهر

اشتهر كسرى بالعدل وكان بلا نزاع أعدل ما يكون الملك المطلق اليد فى أحكام بلاده . فإن كان ما وصفناه فى هـذه القصيدة إحدى جنايات مثله فى العادلين فما حال الملوك الظالمين؟

سَجَدُوا لِكِسْرَى إِذْ بَدَا إِجْلَالَا ... كَسُجُودِهِمْ لِلشَّمْسِ إِذْ تَتَلَالَا

يَا أُمَّةَ الْفُرْسِ الْعَرِيقَةَ فِي الْعُلَى ... مَاذَا أَحَالَ بِكِ الْأُسُودَ سِخَالَا؟[1]

كُنْتُمْ كِبَاراً فِي الْحُرُوبِ أَعِزَّةً ... وَالْيَوْمَ بِتُّمْ صَاغِرِينَ ضِئَالَا

عُبَّادَ «كِسْرَى» مَانِحِيهِ نُفُوسَكُمْ ... وَرِقَابَكُمْ وَالْعِرْضَ وَالْأَمْوَالَا

تَسْتَقْبِلُونَ نِعَالَهُ بِوُجُوهِكُمْ ... وَتُعَفِّرُونَ أَذِلَّةً أَوْكَالَا[2]

أَلتِّبْرُ «كِسْرَى» وَحْدَهُ فِي فَارِسٍ ... وَيَعُدُّ أُمَّــةَ فَارِسٍ أَرْذَالَا

شَرُّ الْعِيَالِ عَلَيْهِمُ وَأَعَقُّهُمْ ... لَهُمُ وَيَزْعُمُهُمْ عَلَيْهِ عِيَالَا

إِنْ يُؤْتِهِمْ فَضْلًا يَمُنَّ وَإِنْ يَرُمْ ... ثَأْراً يُبِدْهُمْ بِالْعَدُوِّ قِتَالَا

وَإِذَا قَضَى يَوْمًا قَضَاءً عَادِلًا ... ضَرَبَ الْأَنَامُ بِعَدْلِهِ الْأَمْثَالَا

***

يَا يَوْمَ قَتْلِ «بُزُرْجُمُهْرَ» وَقَدْ أَتَوْا ... فِيهِ يُلَبُّونَ النِّــدَاءَ عِجَالَا[3]

مُتَأَلِّبِــينَ لِيَشْهَدُوا مَوْتَ الَّذِي ... أَحْيَى الْبِلَادَ عَدَالَةً وَنَوَالَا

(١) سخالا : أولاد الشاة (٢) أذلة أوكالا : ضعافاً جبناء

(٣) بزرجمهر : ضبطت بهذا الشكل كما ينطق بها الفرس فى لغتهم

يُبْدُونَ بِشْراً وَالنُّفُوسُ كَظِيمَةٌ يُخْفِلْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ إِجْفَالَا
تَجْلُو أَسِرَّتَهُمْ بُرُوقُ مَسَرَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ تَدْمَى بِهِنَّ نِصَالَا
وَإِذَا سَمِعْتَ صِيَاحَهُمْ وَدَوِيَّهُمْ لَمْ تَدْرِهِ فَرَحَا وَلَا إِعْوَالَا

***

وَيَلُوحُ «كِسْرَى» مُشْرِفاً مِنْ قَصْرِهِ شَمْساً تُضِيءُ مَهَابَةً وَجَلَالَا
شَبَحاً «لِأُرْمُوزَ» الْعَظِيمِ مُمَثِّلَا مَلِكاً يَضُمُّ رِدَاؤُهُ رِئْبَالَا[1]
يَزْهُو بِهِ الْعَرْشُ الرَّفِيعُ كَأَنَّهُ بِسَنَى الْجَوَاهِرِ مُشْعَلٌ إِشْعَالَا
وَكَأَنَّ شُرْفَتَهُ مَقَامُ عِبَادَةٍ نُصِبَ التَّكَبُّرُ فِي ذُرَاهُ مِثَالَا
وَكَأَنَّ لُؤْلُؤَةً بِقَائِمِ سَيْفِهِ عَيْنٌ تَعُدُّ عَلَيْهِمُ الْآجَالَا ؟

***

مَا كَانَ «كِسْرَى» إِذْ طَغَى فِي قَوْمِهِ إِلَّا لِمَا خَلَقُوا بِهِ فَعَّالَا[2]
هُمْ حَكَّمُوهُ فَاسْتَبَدَّ تَحَكُّماً وَهُمُ أَرَادُوا أَنْ يَصُولَ، فَصَالَا
وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فِي الْعَالَمِينَ وَلَا يَزَالُ عُضَالَا
لَوْلَا الْجَهَالَةُ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ إِلَّا خَلَائِقَ إِخْوَةً أَمْثَالَا
لَكِنْ خَفَضَ الْأَكْثَرِينَ جَنَاحَهُمْ رَفَعَ الْمُلُوكَ وَسَوَّدَ الْأَبْطَالَا
وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَوْجَ يَسْفُلُ بَعْضُهُ أَلْفَيْتَ تَالِيَهُ طَغَى وَتَعَالَى

---

(١) أرموز : الإله الأكبر للفرس . رئبالا : أسداً (٢) خلقوا به : استحقوه

نَقْصٌ لِفِطْرَةِ كُلِّ حَيٍّ لَازِمٌ   لَا يَرْتَجِي مَعَهُ الْحَكِيمُ كَمَالَا

* * *

وَإِذَا اسْتَوَى «كِسْرَى» وَأَجْلَسَ دُونَهُ   قُوَّادَهُ النُّبَلَاءَ وَالأَقْيَالَا

صَعِدَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْجَمَاعَةِ صَيْحَةٌ   كَادَتْ تُزَلْزِلُ قَصْرَهُ زِلْزَالَا

وَإِذَا الْوَزِيرُ «بُزُرْجُمُهْرُ» يَسُوقُهُ   جَلَّادُهُ مُتَهَادِيًا مُخْتَالَا

وَتَرُوحُ حَوْلَهُمَا الْجُمُوعُ وَتَغْتَدِي   كَالْمَوْجِ وَهْوَ مُدَافَعٌ يَتَتَالَى

سَخِطَ الْمَلِيكُ عَلَيْهِ إِثْرَ نَصِيحَةٍ   فَاقْتَصَّ مِنْهُ غَوَايَةً وَضَلَالَا

«أَبُزُرْجُمُهْرَ» حَكِيمُ فَارِسَ وَالْوَرَى   يَطَأُ السُّجُونَ وَيَحْمِلُ الأَغْلَالَا؟

«كِسْرَى» أَتُبْقِي كُلَّ فَدْمٍ غَاشِمٍ   حَيًّا وَتُرْدِي الْعَادِلَ الْمِفْضَالَا؟[1]

وَتَدُقُّ فِي مَرْأَى الرَّعِيَّةِ عُنْقَهُ   لِيَمُوتَ مَوْتَ أُجْرِمِينَ مُذَالَا؟[2]

أَيْنَ التَّفَرُّدُ مِنْ مَشُورَةِ صَادِقٍ   وَالْحُكْمُ أَعْدَلُ مَا يَكُونُ جِدَالَا؟

إِنْ تَسْتَطِعْ فَاشْرَبْ مِنَ الدَّمِ خَمْرَةً   وَاجْعَلْ جَمَاجِمَ عَابِدِيكَ نِعَالَا

وَاذْبَحْ وَدَمِّرْ وَاسْتَبِحْ أَعْرَاضَهُمْ   وَامْلأْ بِلَادَهُمُ أَسًى وَنَكَالَا

فَلَأَنْتَ «كِسْرَى» مَا تَرَى تَحْرِيمَهُ   كَانَ الْحَرَامَ وَمَا تُحِلُّ حَلَالَا

وَلَئِذْ كَرَنَّ الدَّهْرَ عَدْلَكَ بَاهِرًا   وَلَتُحْمَدَنَّ خَلَائِقًا وَفِعَالَا

لَوْ كَانَ فِي تِلْكَ النِّعَاجِ مُقَاوِمٌ   لَكَ، لَمْ تَجِئْ مَا جِئْتَهُ اسْتِفْحَالَا

لَكِنْ أَرَادَتْ مَا تُرِيدُ مُطِيعَةً   وَتَنَاوَلَتْ مِنْكَ الأَذَى إِفْضَالَا

* * *

(١) غاشم : جاهل ظالم . تردى : تقتل   (٢) مذالا : مهاناً

نَادَاهُمُ الْجَلَّادُ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ «لِبُزُرْجُمْهِر»؟ فَقَالَ كُلٌّ : لا . لَا

وَأَدَارَ «كِسْرَى» فِي الْجَمَاعَةِ طَرْفَهُ فَرَأَى فَتَاةً كَالصَّبَاحِ جَمَالَا

تَسْبِي مَحَاسِنُهَا الْقُلُوبَ وَتَنْثَنِي عَنْهَا عُيُونُ النَّاظِرِينَ كَلَالَا [1]

بِنْتُ الْوَزِيرِ أَتَتْ لِتَشْهَدَ قَتْلَهُ وَتَرَى السَّفَاهَ مِنَ الرَّشَادِ مُدَالَا

تَفْرِي الصُّفُوفَ خَفِيَّةً مَنْظُورَةً فَرْيَ السَّفِينَةِ لِلْحَبَابِ جِبَالَا [2]

بَادٍ مُحَيَّاهَا ، فَأَيْنَ قِنَاعُهَا ؟ وَعَلَامَ شَاءَتْ أَنْ يَزُولَ فَزَالَا ؟

لَا عَارَ عِنْدَهُمُ كَخَلْعِ نِسَائِهِمْ أَسْتَارَهُنَّ ، وَلَوْ فَعَلْنَ ثَكَالَى

* * *

فَأَشَارَ «كِسْرَى» أَنْ يُرَى فِي أَمْرِهَا . فَمَضَى الرَّسُولُ إِلَى الْفَتَاةِ وَقَالَا :

مَوْلَايَ يَعْجَبُ كَيْفَ لَمْ تَتَقَنَّعِي . قَالَتْ لَهُ : أَتَعَجُّبًا وَسُؤَالَا ؟

أُنْظُرْ وَقَدْ قُتِلَ الْحَكِيمُ ، فَهَلْ تَرَى إِلَّا رُسُومًا حَوْلَهُ وَظِلَالَا ؟

فَارْجِعْ إِلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ وَقُلْ لَهُ : مَاتَ النَّصِيحُ وَعِشْتَ أَنْعَمَ بَالَا

وَبَقِيتَ وَحْدَكَ بَعْدَهُ رَجُلًا فَسُدْ وَارْعَ النِّسَاءَ وَدَبِّرِ الْأَطْفَالَا

مَا كَانَتِ الْحَسْنَاءُ تَرْفَعُ سِتْرَهَا لَوْ أَنَّ فِي هَذِي الْجُمُوعِ رِجَالَا

---

(١) كلالا : ضعفاً (٢) الحباب : الموج

الزهـــرة

كوكب المساء أو كوكب الصباح

كان لها عبّادها وهذا وصف حفلة لهم فى أحد هياكلها الكبرى

يَا حُسْنَهَا حِينَ تَجَلَّتْ عَلَى ... عُبَّادِهَا فِي عِزَّةٍ لَا تُرَامْ

بَيْنَ نُجَيْمَاتٍ بَدَتْ حَوْلَهَا ... لَهَا رَفِيفُ القَطَرَاتِ السِّجَامْ

تَسْقِي عُيُونَ النَّاسِ شِبْهَ النَّدَى ... مِنْ نُورِهَا الصَّافِي فَتَشْفِي الأُوَامْ

كَأَنَّمَا الزُّهْرَاءُ مَا بَيْنَهَا ... مَلِيكَةٌ فِي مَوْكِبٍ ذِي نِظَامْ

وَالقَوْمُ جَاثُونَ لَدَى حُسْنِهَا ... سُجُودَ حُبٍّ صَادِقٍ وَاحْتِشَامْ

مُطَهَّرُو الإِيمَانِ مِنْ شُبْهَــةٍ ... مُنَزَّهُو الصَّبْوَةِ عَنْ كُلِّ ذَامْ

لَا كَافِرٌ مِنْهُمْ وَلَا مُلْحِدٌ ... وَلَا جُحُودُ خَافِرٍ لِلذِّمَامْ

مَا أَكْرَمَ الدِّينَ عَلَى أَهْلِهِ ... إِذَا التُّــقَى فِيهِ التُّقَى وَالْهُيَامْ

* * *

وَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَعْتَــلِي ... مِنَصَّةً نُصَّتْ لَهُ مِنْ أَمَامْ

شَاعِرُهُمْ وَهْوَ لِسَانُ الْهُدَى ... بَيْنَهُمُ وَهْوَ عَلَيْهِمْ إِمَامْ

يُسْمِعُهُمْ مِنْ وَحْيِهِ مُنْشِدًا ... شِعْراً لَهُ فِي النَّفْسِ فِعْلُ الْمُدَامْ

فَقَالَ مِنْهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ ... ثَارَ بِهِ الشَّوْقُ وَجَدَّ الْغَرَامْ :

« يَا شَاعِرَ الوَحْيِ وَنُورَ التُّقَى ... أَلَا لِقَاءٌ قَبْلَ يَوْمِ الْحِـمَامْ ؟

قَدْ بَرَّحَ الوَجْدُ بِأَكْبَادِنَا حَتَّى اسْتَطَلْنَا العُمْرَ دُونَ المَرَامْ
نَهْفُو إِلَى الزَّهْرَاءِ شَوْقًا فَإِنْ جِئْتِ، جَفَانَا صَفْوُنَا وَالسَّلَامْ
لَقَدْ تَقَضَّى خَيْرُ أَيَّامِنَا وَنَحْنُ نَرْجُو، وَرِضَاهَا حَرَامْ
إِذَا أَتَى اللَّيْلُ سَهِرْنَا لَهَا بِأَعْيُنٍ مَفْتُونَةٍ لَا تَنَامْ
وَإِنْ أَتَى الصُّبْحُ دَعَوْنَا بِأَنْ يَخْفَى وَشِيكًا وَيَعُودَ الظَّلَامْ
أَلَمْ يَحِنْ وَالعَهْدُ قَدْ طَالَ أَنْ تُنْجِزَ وَعْدَ المُلْهَمِينَ الكِرَامْ؟
فَتَتَرَاءَى بَشَرًا مِثْلَنَا وَتَتَوَلَّى مُلْكَهَا فِي الأَنَامْ» ؟
فَرَفَعَ الشَّاعِرُ أَبْصَارَهُ إِلَى العُلَى ثُمَّ جَثَا ثُمَّ قَامْ
وَاسْتَنْزَلَ الوَحْيَ فَخَطَّتْ لَهُ آيَةَ نُورٍ فَتَوَلَّى الكَلَامْ
وَقَالَ: مَنْ قَرَّبَ مِنْكُمْ لَمَا عِدَّةَ شَهْرَيْنِ وَصَلَّى وَصَامْ
أَبْصَرَهَا إِنْسِيَّةً تَنْجَلِي فِي المَعْبَدِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الخِتَامْ

***

فَانْصَرَفَ القَوْمُ وَبَاتُوا وَهُمْ ـ بِمَا بِهِ الشَّاعِرُ أَوْصَى ـ قِيَامْ
يَرْتَقِبُونَ المَوْعِدَ المُرْتَجَى لِذَلِكَ الأَمْرِ العُجَابِ الجُسَامْ
حَتَّى إِذَا وَقْتُ التَّجَلِّي أَتَى وَضَاقَ بِالأَشْهَادِ رَحْبُ المُقَامْ
وَانْتَشَرَ القَوْمُ صِغَارَ البُنَى بَيْنَ سَوَارِيهِ الطِّوَالِ الضِّخَامْ
وَأَوْشَكَتْ أَثْبَتُ أَرْكَانِهِ تَمِيدُ مِمَّا اشْتَدَّ فِيهِ الزِّحَامْ
دَوَّتْ زَوَايَاهُ بِإِنْشَادِهِمْ وَعَقَدَ التَّبْخِيرُ شِبْهَ الغَمَامْ

وَسُحُبَ النُّورُ كَأَنْ قَدْ عَرَا ... مِنْ غَيْرَةٍ شَمْسَ الأَصِيلِ السَّقَامْ
فَلَاحَ بَرْقٌ خَاطِفٌ بَغْتَةً ... وَانْشَقَّ سِتْرٌ عَنْ مِثَالٍ مُقَامْ
عَنْ غَادَةٍ مَاثِلَةٍ بِالجِسْمِ فِي ... أَبْدَعِ رَسْمٍ لِلْجَمَالِ التَّمَامْ
مَنْحُوتَةٍ فِي الصَّخْرِ لَكِنَّهَا ... تَكَادُ تُحْيِي بَالِيَاتِ الْعِظَامْ
لَا رُوحَ فِيهَا غَيْرَ إِيمَاضَةٍ ... مِنْ جَانِبِ الإِعْجَازِ فِيهَا تُشَامْ
لِحَاظُهَا تَرْمِي سِهَامَ الْهَوَى ... وَوَجْهُهَا يَنْشُرُ آيَ السَّلَامْ
وَصَدْرُهَا أُفْقٌ بَدَا كَوْكَبٌ ... فِيهِ كَأَنَّ النُّورَ مِنْهُ ابْتِسَامْ
تِلْكَ هِيَ الزَّهْرَاءُ لَاحَتْ لَهُمْ ... وَالكَوْكَبُ الْبَادِي عَلَيْهَا وِسَامْ

صفقـــة خاسرة

جواب كتاب فى واقعة أغريت بها فتاة جميلة على عرضها

جَاءَ الْكِتَابُ وَأَصْدِقْ ... بِهِ رَسُولًا أَمِينَا
أَدَّى الْبَلَاغَ وَأَبْدَى ... مِنَ الْحَدِيثِ شُجُونَا
لَكِنْ شَجَانِيَ خَطْبٌ ... وَصَفْتَهُ لِي مُبِينَا
وَصْفًا تَنَاهَيْتَ فِيهِ ... بَرَاعَـــةً وَفُنُونَا
فَيَا لَهُ مِنْ مُصَابٍ ... أَجْرَى الْفُؤَادَ شُؤُونَا!

***

أَتِلْكَ « سَارَا » الَّتِي كَا نَ حُسْنُهَا يَسْبِينَا ؟
وَكَانَ لِلعَقْلِ تَاجٌ يَزِينُ مِنْهَا الْجَبِينَا ؟
وَلِلْحَيَاءِ شُعَاعٌ يَغُضُّ عَنْهَا الْجُفُونَا ؟
وَكَانَ كُلُّ ابْتِسَامٍ مِنْهَا عَطَاءً ثَمِينَا ؟
وَكُلُّ لَفْظٍ كَدُرٍّ يَصِيدُهُ السَّامِعُونَا ؟
مَاتَتْ قَتِيلَ هَوَاهَا لَمْ تَبْلُغِ الْعِشْرِينَا
وَلَمْ تُزَفَّ عَرُوساً مَرْجُوَّةً لِلْبَنِينَا
وَلَمْ تُخَضَّبْ وَلَمْ يَشْدُ حَوْلَهَا الشَّادُونَا
وَلَمْ تَنَلْ مُلْكَ يَوْمٍ بِهِ تَقَرُّ عُيُونَا

***

جَلَّ الْمُصَابُ مُلِمًّا بِمِثْلِهَا أَنْ يَهُونَا
فَكَيْفَ وَهْوَ مُزِيلٌ نُوراً وَمُبْقٍ طِينَا ؟
دَبَّ الْفَسَادُ إِلَيْهَا خَفِيفَ وَطْءٍ كَمِينَا
وَعَالَجَ الرُّوحَ حَتَّى أَبَاحَ عِرْضاً مَصُونَا
فَكَانَ أَفْدَحَ رُزْءاً وَكَانَ شَرًّا مَنُونَا
وَهَوَّنَ الْعُمْرَ خُسْراً وَعَظَّمَ الْعِرْضَ دِينَا
يَا لَيْتَهَا فِي سَبِيلِ الْعَفَافِ مَاتَتْ طَعِينَا
إِذَنْ لَزُفَّتْ ، عَزِيزاً عَلَى الْوَرَى أَنْ تَبِينَا

فِي مَشْهَدٍ يَسْتَدِرُّ الـــصَّفَا عَلَيْهَا عُيُونَا

تَبْكِي الصَّوَاحِبُ فِيهِ وَيَنْـدُبُ الْمُنْشِدُونَا

وَيَرْفَعُ الصَّوْتَ كُلٌّ بِذِكْرِهَا تَأْبِينَا

لَكِنَّهَا اليَوْمَ لَيْسَتْ بِمَيْتَـةٍ تُبْكِينَا

وَلَا مُرَجَّاةَ بَعْـلٍ وَعَيْـلَةٍ صَالِحِينَـا

أَمْسَتْ ضَرِيحاً وَأَمْسَى فِيهَا الْعَفَافُ دَفِينَا

بَاعَتْ جَمَالًا بِمَالٍ وَكَانَ بَيْعاً غَبِينَا

وَالْمَـالُ مَا زَالَ رَبّاً يَسْتَعْبِدُ الْعَالَمِينَا

أَضَلَّهَا وَقَدِيمٌ إِضْلَالُهُ الرَّاشِدِينَا

***

فَانْظُرْ لِمَا هُوَ نَاجٍ مِنْ حُسْنِهَا مُسْتَبِينَا

فَإِنَّمَا هُوَ مَا لَا نَوَدُّهُ أَنْ يَكُونَا

وَرْدٌ تَحَوَّلَ جَمْراً بِمَلْمَسِ الْفَاسِقِينَا

طِيبٌ يُحَلِّبُ سُمّاً فِي أَنْفُسِ النَّاشِقِينَا

نُورٌ يَمُدُّ حِرَاباً فِي أَعْـيُنِ الْمُبْصِرِينَا

مِرْآةُ خُلْقٍ عَفِيفٍ تُمَثِّلُ الْمُجْرِمِينَا

كَأْسٌ تُرِيبُ فَتُظْمِي بِخَمْرِهَا الشَّارِبِينَا

ذِكْرَى أَبِي الْجِمَالِ حَوَى الْفَضَائِلَ حِيناَ
ثُمَّ اغْتَدَى وَهْوَ خَالٍ مِنْهَا لَدَى النَّاظِرِينَا
كَجَنَّةٍ كَانَ فِيهَا أَحِبَّةٌ آهِلُونَا
فَفَارَقُوهَا وَظَلَّتْ تَسْتَوْقِفُ الآسِفِينَا

حنا الصغير

ترجمة قصيدة فرنسوية من ديوان الشاعرة الأديبة الآنسة جان قصيري

لِيَ ابْنُ عَمٍّ بَالِغٌ أَرْبَعًا مِنْ عُمْرِهِ أَوْ دُونَهَا أَشْهُرَا
طَلْقُ الْمُحَيَّا شَعْرُهُ مُذْهَبٌ وَثَغْرُهُ كَنْزٌ حَوَى جَوْهَرَا
يَخْتَالُ كَالْجُنْدِيِّ مُسْتَكْبِرًا وَمَا أَحَبَّ الطِّفْلَ مُسْتَكْبِرَا
قَالَتْ لَهُ الْمُرْضِعُ يَوْمًا وَقَدْ أَحْسَنَ سَيْرًا : حَقَّ أَنْ تُؤْجَرَا
هَيَّا نَزُرْ جَدَّتَكَ الآنَ يَا بُنَيَّ، فَالْبَسْ ثَوْبَكَ الأَفْخَرَا
فَرَاحَ مِثْلَ الظَّبْيِ يَعْدُو إِلَى غُرْفَتِهِ جَذْلَانَ مُسْتَبْشِرَا
وَكَانَ فِي إِحْدَى الْكُوَى طَائِرٌ قَدْ أَوْدَعُوهُ قَفَصًا مُقْفِرَا
رَآهُ فِيهِ صَامِتًا مُوحَشًا كَمَا يَكُونُ الْحُرُّ مُسْتَأْسَرَا
فَفَتَحَ الْبَابَ لَهُ مُسْرِعًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ فَخَيْرًا تَرَى
أَرَاكَ مُشْتَاقًا إِلَى جَدَّةٍ تَزُورُهَا، فَاذْهَبْ وَعُدْ مُبْكِرَا

تهنئة بزفاف

أنشدها الناظم فى حفلة زفاف ابن عمه السيد رشيد أسعد
مطران إلى السيدة اليس ، كريمة المرحوم خليل زهار

دَعْ مَا ظَفِرْتَ بِهِ مِنَ الأَزْهَارِ ... وَخُذِ الْكَرِيمَةَ مِنْ يَدِ الزَّهَّارِ

حَسْنَاء قَدْ عَقَدُوا نَظَائِرَهَا لَهَا ... تَاجاً وَهُنَّ وَلَائِدُ الأَسْحَارُ

يَا أَيُّهَا الإِلْفَانِ قَدْ أَزْمَعْتُمَا ... سَفَراً وَطِيبُ النَّفْسِ فِي الأَسْفَارِ

فَتَوَلَّيَا تَرْعَاكُمَا عَيْنُ الَّذِي ... هُوَ فِي الْوُجُودِ مُصَرِّفُ الأَقْدَارِ

وَتَلَقَّيَا فِي «بَعْلَبَكَّ» مَحَبَّةً ... وَكَرَامَةً مِنْ أُمَّةٍ أَبْرَارِ

إِنِّي لَأَهْوَى «بَعْلَبَكَّ» وَأَهْلَهَا ، ... أَوَلَا وَهُمْ أَهْلِي وَتِلْكَ دِيَارِي ؟

وَأُحِبُّ فِتْيَتَهَا الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ ... سُمَحَاء فِي الإِعْلَانِ وَالإِسْرَارِ

يَسْعَوْنَ بَيْنَ يَدَيْكُمَا وَهُمُ الأُولَى ... يَسْعَى الْكِبَارُ لَهُمْ مِنَ الإِكْبَارِ

وَيُقَابِلُونَكِ يَا عَرُوسَ عَزِيزِهِمْ ... بِعَفَافِ أَطْفَالٍ وَرِفْقِ كِبَارِ

وَيُسَيِّجُونَكِ فِي الْمَسِيرِ كَرَامَةً ... وَتَجِلَّةً لَكِ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ

وَيُكَلِّلُونَكِ بِالنِّصَالِ تَشَابَكَتْ ... كَظُلَّةٍ صُنِعَتْ مِنَ الأَنْوَارِ

هَذِي هِيَ الدَّارُ الَّتِي اسْتَوْطَنْتِهَا ... وَأُولَئِكَ الأَمْجَادُ أَهْلُ الدَّارِ

***

رُدِّي لَهَا عَهْدَ السُّرُورِ وَجَدِّدِي ... عَزْمَ الشَّبَابِ لِعَاثِرِ الآثَارِ

وَتَفَقَّدِي تِلْكَ الْمَعَابِدَ وَاسْأَلِي ... فِيهَا الصَّدَى عَنْ صَامِتِ الأَسْرَارِ
تَرَيِ الأَوَالِهَ وَالْمُلُوكَ وَكُلَّ ذِي ... عِزٍّ وَكُلَّ مُحَنَّكٍ جَبَّارِ[1]
يَتَحَرَّكُونَ عَلَى انْتِقَالِ ظِلاَلِهِمْ ... وَكَأَنَّهُمْ وَثَبُوا مِنَ الأَحْجَارِ
فَإِذَا هُمُ ضَحِكُوا إِلَيْكِ وَأَبْرَقَتْ ... فِيهِمْ أَسَارِيرٌ لِلاِسْتِبْشَارِ
كُونِي لَهُمْ أَمَلاً بِأَنَّ بَنِيكِ لاَ ... يَدَعُونَ كُسْوَتَهُمْ غُبَارَ الْعَارِ
وَإِذَا تَفَقَّدْتِ الدُّمَى وَعَجِبْتِ مِنْ ... تِلْكَ الْمَحَاسِنِ فِتْنَةِ النُّظَّارِ
أَلْفَيْتِهِنَّ لَبِسْنَ مِنْ فَوْقِ الْبِلَى ... حُلَلاً مُذَهَّبَةً مِنَ الأَنْوَارِ

قبــــلة عفاف

زُرْتُ حِمَى الْحَسْنَاءِ وَالشَّمْسُ قَدْ ... تَنَزَّلَتْ عَنْ عَرْشِهَا الْقَائِمِ
وَكَمَدَ النُّورُ فَمِنْ مُذْهَبٍ ... إِلَى لُجَيْنِيٍّ إِلَى عَاتِمِ
وَعَبَسَ الأُفْقُ فَلاَ يُجْتَلَى ... سِوَى نُجَيْمٍ رَاجِفٍ بَاسِمِ
مُشَارِفٍ حِجْلَتَهَا نَاظِرٍ ... لَهَا بِعَيْنِ الْمُغْرَمِ الْهَائِمِ
يَخْفُقُ خَفْقَ الآثِمِ الْمُتَّقِي، ... فَيَا لَهُ مِنْ مُتَّقٍ آثِمِ
رَأَيْتُهُ يَبْدُو بِمِرْآتِهَا ... وَيَنْثَنِي فِي قَلَقٍ دَائِمِ
مُرَاقِباً عَنْ كَثَبٍ رَائِماً ... مَا عَزَّ مَطْلُوباً عَلَى الرَّائِمِ

(١) الأوالة : المعبودات

حَتَّى إِذَا عَنَّ لَهُ شَخْصُهَا ، وَقَدْ بَدَتْ فِي وَشْيِهَا النَّاعِمِ
كَمَلَكٍ بَاهِي السَّنَى يَنْجَلِي فِي فَلَكٍ مِنْ حَوْلِهِ قَاتِمِ
خَالَسَهَا فِي ثَغْرِهَا قُبْلَةً وَكَانَ كَالدُّرَّةِ فِي الْخَاتِمِ

عود من الصعيد

الى حضرة الفاضلة مدام شاسينه قرينة مدير دار الآثار الفرنساوية بمصر . وقد عادت من رحلة لها فى الصعيد تفقدت فيها بعض الآثار القبطية إبان اشتداد الحر فى تلك الأرجاء

أَوْقَدَ الصَّيْفُ فِي الصَّعِيدِ لَظَاهُ فَأَجَفَّ الْحُقُولَ وَالآجَامَا
وَغَدَا النَّاسُ بَيْنَ جَوٍّ كَثِيفٍ مُتَرَدٍّ مِنَ الْغُبَارِ غَمَامَا
وَفَلَاةٍ كَأَنَّمَا الرَّمْلُ فِيهَا شَرَرٌ مُدَّ لَمْعَةً وَاضْطِرَامَا
وَكَأَنَّ الْمِيَاهَ فِي النِّيلِ تَجْرِي بِخُطًى أَبْطَأَتْ وَوَجْهٍ تَعَامَى
شِبْهَ ذَوْبِ الرَّصَاصِ فِي الْكِيرِ يَطْغَى فَإِذَا مَا طَغَى بِرِفْقٍ تَرَامَى
وَعَرَا الأَعْيُنَ الْكَلَالُ ، فَأَنَّى نَظَرَتْ حُمْرَةً رَأَتْ وَقَتَامَا
وَكَأَنَّ النُّعَاسَ فِي عَصَبِ الأَرْضِ تَمَشَّى فَكُلُّ مَا دَبَّ نَامَا
وَكَأَنَّ الدُّمَى الَّتِي صَنَعَتْهَا أُمَّةُ الْقِبْطِ مُتْعَبَاتٌ قِيَامَا
بَلَدٌ طُفْتِهِ جَدِيباً كَئِيباً فَارْتَوَى مِنْكِ نَضْرَةً وَابْتِسَامَا

وفـــاة

الملكة فكتوريا

بَنُوكِ فُرُوعٌ لِلْعُلَى وَأُصُولُ ... وَمُلْكُكِ مَا لِلشَّمْسِ عَنْهُ أُفُولُ

وَسَعْدُكِ فِي الأَمْثَالِ سَارَ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ فِي سُعُودِ المَالِكِينَ مَثِيلُ

وَمَا شَهِدَ الأَقْوَامُ قَبْلَكِ سَيِّداً ... يُطَاعُ ، مُطِيعاً قَوْمَهُ ، وَيَصُولُ

وَلَا آمِراً يَدْعُونَهُ فَهْوَ سَامِعٌ ... وَتَسْتَمِعُ الأَقْدَارُ حِينَ يَقُولُ

فَلَمَّا دَهَاكِ البَيْنُ جَلَّ مُصَابُهُمْ ... فَلَا عَيْنَ إِلَّا بِالحِدَادِ كَحِيلُ

أَيَعْجِزُ هَذَا الأَيْدُ وَالمَجْدُ كُلُّهُ ... فَيَرْجِعُ دُونَ البَيْنِ وَهْوَ كَلِيلُ ؟

وَتَفْدِيكِ جُنْدٌ فِي الحُرُوبِ أَعِزَّةٌ ... وَأَنْتِ بِلَا سَهْمٍ أَصَابَ قَتِيلُ

عَجِبْتُ لَهَا فِي قَيْدِ بَاعٍ تَوَسَّدَتْ ... وَدَوْلَتُهَا فِي الخَافِقَيْنِ تَدُولُ

وَكَانَتْ كَنَجْمٍ ثَابِتٍ فَأَزَالَهَا ... قَضَاءٌ أَرَانَا النَّجْمَ كَيْفَ يَزُولُ

كَأَنَّ جُمُوعَ الخَلْقِ يَوْمَ تَرَحَّلَتْ ... عِيَالٌ عَلَيْهَا نَادِبٌ وَثَكُولُ

كَأَنَّ القُصُورَ الحَافِلَاتِ بِحَشْدِهِمْ ... رُسُومٌ خَلَتْ مِنْ نَابِتٍ وَطُلُولُ

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ حُرَّاسُ نَوْمِهَا ... وَأَنْوَارَهَا شِبْهَ الدُّمُوعِ تَسِيلُ

كَأَنَّ بُزُوغَ الشَّمْسِ بَعْدَ احْتِجَابِهَا ... لِتَنْظُرَ حَالَ الحُسْنِ كَيْفَ تَحُولُ

كَأَنَّ جُنُودَ البَرِّ سَارَتْ بِنَعْشِهَا ... جِبَالُ رِمَالٍ ، تَعْتَلِي وَتَهِيلُ

كَأَنَّ أَسَاطِيلَ الْبِحَارِ وَقَدْ مَشَتْ بِهِ جَزِعَاتٌ وَالْخِضَمُّ مَهُولُ
فَيَا لَعَظِيمِ الْجَاهِ لَمْ يَكُ مُغْنِياً لَدَى الْمَوْتِ مِنْهُ تَالِدٌ وَأَثِيلُ
وَيَا لَطَوِيلِ الْعُمْرِ تُفْنِيهِ لَحْظَةٌ ، وَهَلْ عُمُرٌ رَهْنَ الْفَنَاءِ طَوِيلُ ؟

الوردة والزنبقة

حكاية فتاة أبعد عنها أليف صباها لأن أهله ، وهم أغنياء ، أبوا تزويجه منها وهى فقيرة

كتاب من ليلى إلى عزيز

مَلَامَتُكُمْ عَدْلٌ لَوِ الْحُبُّ يَعْدِلُ وَإِرْشَادُكُمْ عَقْلٌ لَوِ الْقَلْبُ يَعْقِلُ
رَمَانِي الْهَوَى سَهْماً أَصَابَ حُشَاشَتِي ، فَكَيْفَ عَلَى مَا أَشْتَكِي مِنْهُ أُعْذَلُ ؟
ذَرُونِي وَشَأْنِي إِنَّهُ لَوْ نَبَى الْأَسَى مَلَامٌ تُخَفِّفْتُ الَّذِي أَتَحَمَّلُ[1]
كِتَابَ حَبِيبِي أَنْتَ خَيْرُ تَعِلَّةٍ لِقَلْبِي وَقَدْ أَعْيَى الطَّبِيبُ الْمُعَلِّلُ
كَشَفْتَ ظَلَامَ الشَّكِّ عَنْ وَجْهِ حُبِّهِ فَلَاحَ كَبَدْرِ التِّمِّ وَاللَّيْلُ أَلْيَلُ[2]
وَنَبَّهْتَ ظَنِّي لِلْعِدَى وَهْوَ غَافِلٌ عَلَى حِينَ عَيْنِي مِنْ جَوًى لَيْسَ تَغْفُلُ
أَبَاهُ عَنِّي فَابْتَلَوْهُ بِقَاتِلٍ مِنَ الدَّاءِ وَالدَّاءُ الَّذِي بِيَ أَقْتَلُ
فَلَيْسَ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ بِعَائِدِي وَمَا بِيَ أَنْ أَسْعَى إِلَيْهِ فَأَفْعَلُ

(١) ذرونى : دعونى (٢) أليل : مظلم

تَنَاظَرُ دَارَانَا وَيَحْجُبُنَا نَوًى يُعِيدُ حَدِيدَ اللَّحْظِ وَهُوَ مُفَلَّلُ
وَلَوْ أَن بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْراً مُؤَمَّلَا وَلَـكِنْ غَدَوْنَا وَالْحِمَامُ الْمُؤَمَّلُ
شَقِيتُ وَعَمَّتْ شِقْوَتِي مَا يُحِيطُ بِي فَمَا سَلِمَتْ رَوْضٌ وَلَمْ يَنْجُ مَنْزِلُ
وَكُنْتُ أَرَى الأَزْهَارَ أَسْعَدَ حَالَةً فَأَحْسُدُهَا وَالسَّعْدُ بِالزَّهْرِ أَمْثَلُ
فَأَلْفَيْتُ أَنْ لَا حَيَّ إِلَّا مُعَذَّبٌ وَأَشْقَى ذَوِى الآلَامِ مَنْ يَتَعَقَّلُ
مَعَاهِدُ صَفْوِى فِي الصِّبَى بَانَ صَفْوُهَا كَأَنَّ الَّذِى فِي النَّفْسِ لِلدَّارِ يَشْمَلُ
وَرَوْضَةُ إِينَاسِي وَلَهْوِى تَحَوَّلَتْ فَـلَا حُسْنُهَا يُسْلِي وَلَا الشَّدْوُ يَشْغَلُ

* * *

تَفَقَّدْتُهَا وَالْفَجْرُ يَفْتَحُ جَفْنَهُ كَمَا انْتَبَهَ الْوَسْنَانُ وَالْجَفْنُ مُثْقَلُ(١)
فَطُفْتُ عَلَى الأَزْهَارِ فِي أَمْنِ نَوْمِهَا أُنَبِّهُهَا جَذْباً إِلَيَّ فَتَجْفِلُ
أُحَاوِلُ سُلْوَاناً بِتَشْكِيلِ طَاقَةٍ فَأَقْتُلُ مِنْهَا مَا أَشَاءُ وَأُثْكِلُ
وَمَا كُنْتُ مَنْ يَجْنِي عَلَيْهَا خَلَائِقاً ضِعَافاً، وَلَـكِنْ جِنَّةُ الْيَأْسِ تَحْمِلُ(٢)
إِلَى أَنْ بَدَتْ لِي وَرْدَةٌ مُسْتَكِينَةٌ كَأَنَّ دُمُوعَ الْفَجْرِ فِيهَا تَهَلَّلُ
لَهَا طَلْعَةُ الْجَاهِ الْمُؤَثَّلِ وَالصِّبَى وَفِي الْوَجْهِ تَقْطِيبٌ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ(٣)
تَلُوحُ عَلَيْهَا لِلْكَآبَةِ وَالأَسَى مَخَايِلُ دَقَّتْ أَنْ تُرَى فَتُخَيَّلُ
وَيُكْسِبُهَا مَعْنَى الْحَيَاةِ ذُبُولُهَا لَدَى نَاظِرِيهَا فَهْيَ فِي النَّفْسِ أَجْمَلُ
مَلِيكَةُ ذَاكَ الرَّوْضِ جَاوَرَ عَرْشَهَا مِنَ الزَّنْبَقِ الْعَالِي مَلِيكٌ مُكَلَّلُ

(١) الوسنان : النائم (٢) جنة (بكسر الجيم) : جنون (٣) تقطيب : عبوسة

أغرُّ المُحيَّا كالصَّباحِ نقيُّهُ ... لهُ قامةٌ كالرُّمحِ أوْ هيَ أعدلُ

إذا ما استمالتهُ إلى الوردةِ الصَّبا ... فلا ينثني كِبْراً ولا يتحوَّلُ

فبينا يدي تمتدُّ آناً إليهما ... ويمنعني الإشفاقُ آناً فأعدِلُ

ويبدو جبينُ الصُّبحِ وهوَ مُعصَّبٌ ... بتاجٍ كأنَّ التِّبرَ فيهِ مُخضَّلُ(١)

وما تتشظَّى شمسُهُ في اشتعالِها ... تشظِّي قلبي وهوَ بالشَّوقِ مُشعَلُ(٢)

إذا والدي قدْ طوَّقتني يمينُهُ ... وفي وجهِهِ دمعٌ منَ العينِ مُرسَلُ

فقبَّلتُهُ ظمأى كأنَّ بمهجتي ... لظى النَّارِ والشَّيبُ المُقبَّلُ منهلُ

فقالَ وما يدري بموقعِ قولِهِ ... لِما هوَ منْ أمري وأمرِكَ يجهلُ

شفيقاً بحالِ الزَّهرتينِ فؤادُهُ ... شفيعاً بما في وسعِهِ يتوسَّلُ :

« بُنيَّةُ عفواً عنهما فكلاهُما ... شقيٌّ يودُّ الموتَ والموتُ يُمهِلُ

فلا تسبقي سيفَ القضاءِ إليهما ... على أنَّهُ يشفيهما لو يُعجِّلُ

حبيبانِ مرَّا ساعةً ثمَّ عُوقِبا ... طويلاً . كذاكَ الدَّهرُ يسخو ويبخلُ

وإنَّ لهذينِ العشيقينِ حادثاً ... غريباً يوُدِّي أنْ أرى كيفَ يكملُ

فقدْ جاورتْ هذي الوفيَّةُ إلفَها ... إذِ الإلفُ ميَّاسُ المعاطفِ أميلُ

فكانَ إذا مرَّتْ بهِ نسمُ الصَّبا ... يُسِرُّ إليها سرَّ منْ يتغزَّلُ

يُداعبُها جُهدَ الصَّبابةِ والهوى ... ويُعرِضُ عنها لاعباً ثمَّ يُقبِلُ

ويرشفُ كلٌّ منْ جبينِ حبيبِهِ ... دموعَ النَّدى خمراً رحيقاً فيثملُ

---

(١) مخضل : مندى (٢) تتشظى : تشع اتقادا

وَلَـكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثِ الغُصْنُ أَنْ جَفَا ... فَلَمْ تَثْنِ عِطْفَيْهِ جَنُوبٌ وَشَمْأَلُ
فَشَقَّ عَلَيْهَا بَيْنُهُ وَهْوَ جَارُهَا ... وَبَاتَتْ لِفَرْطِ الْحُزْنِ تَذْوِى وَتَنْحَلُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ يَقْضِيَانِ مِنَ الْجَوَى ... وَإِنْ صَحَّ ظَنِّي فَهْىَ تَهْلِكُ أَوَّلُ »

***

فَوَا رَحْمَتَا ! هَذِى حَقِيقَةُ حَالِنَا ... رَآهَا أَبِي فِي الزَّهْرَتَـيْنِ تَمَثَّلُ
بَكَى جَزَعًا لِلزَّهْرَتَـيْنِ وَلَوْ دَرَى ... لَصَانَ لَنَا الدَّمْعَ الَّذِى رَاحَ يَبْذُلُ
هُمَا صُورَتَانَا فِي الْهَوَى وَحَدِيثُنَا ... حَدِيثُهُمَا بَيْنَ الأَزَاهِرِ يُنْقَـلُ
أُقَبِّلُ ذَاكَ الغُصْنَ كُلَّ صَبِيحَةٍ ... كَأَنِّىَ لِلنَّائِى الْحَبِيبِ أُقَبِّلُ
وَأَنْظُرُ أُخْتِي فِي الشَّقَاءِ كَأَنَّـنِي ... أَرَانِي بِمِرْآةٍ أَمُوتُ وَأَذْبُلُ .

تفاحة ونعيم

وَتُفَّاحَةٍ أَعْطَيْتِنِيهَا تَـكَرُّمًا ... فَأَوْلَيْتِـنِي فَضْلًا بِذَاكَ عَظِيمَا
بِهَا أَفْقَدَتْ حَوَّاءُ آدَمَ جَنَّةً ... وَأَكْسَبْتِـنِي تُفَّاحَةً وَنَعِيمَا

الاقـــتران

أنشدت في حفلة زفاف كريمة آل طنبه إلى السرى
الفاضل سليم بسترس بك المحامى عام ١٩٠٢

كَانَ لَيْـلٌ وَآدَمٌ فِي سُبَاتِ   نَامَ عَنْ حِسِّهِ إِلَى مِيقَاتِ
وَالْبَرَايَا فِي هِدْأَةِ الظُّلُمَاتِ   خَاشِعَاتٌ رَجَاءَ أَمْرٍ آتِ
يَتَوَقَّعْنَ آيَةَ الآيَاتِ

وَالرُّبَى فِي مُسُوحِهِنَّ سَوَاجِدْ   مِنْ بَعِيدٍ وَالأُفْقُ جَاثٍ كَعَابِدْ
وَنُجُومُ الثَّرَى سَوَاهٍ سَوَاهِدْ   وَنُجُومُ الْعُلَى رَوَانٍ شَوَاهِدْ
يَتَطَلَّعْنَ مِنْ عَلٍ ذَاهِلَاتِ

نَظَرَ اللهُ آدَمًا فِي الْخُلُودِ   مُوحَشًا لِانْفِرَادِهِ فِي السُّعُودِ
مُسْتَزِيداً وَالنَّقْصُ فِي الْمُسْتَزِيدِ   فَرَأَى أَنْ يُتِمَّهُ فِي الْوُجُودِ
بِعَرُوسٍ شَرِيكَةٍ فِي الْحَيَاةِ

إِلْفُ عُمْرٍ، وَالإِلْفُ لِلإِنْسَانِ   حَاجَةٌ مِنْ لَوَازِمِ النُّقْصَانِ
تِلْكَ فِي الْخَلْقِ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ   سَنَّهَا مُنْذُ بَدْءِ هَذَا الْكِيَانِ
وَبِهَا قَامَ عَالَمُ الْفَانِيَاتِ

مُنْذُ كَانَتْ هَذِي الْخَلِيقَةُ قِدْمًا   نَثَرَاتٍ مِنَ الْهَبَاءِ فَضَمَّا

مَا تَرَاخَى مِنْهَا ، فَأَلَّفَ جِرْمَا ثُمَّ أَحْيَاهُ ، ثُمَّ آتَاهُ جِسْمَا
مِثْلَهُ ، يَكْمُلَانِ ذَاتاً بِذَاتِ

بُسِطَتْ أَنْمُلُ اللَّطِيفِ الْقَدِيرِ فِي الدُّجَى مِنْ أَوْجِ الْعَلَاءِ الْمُنِيرِ
فَأَمَاجَتْ بِالضَّوْءِ بَحْرَ الأَثِيرِ وَأَلَمَّتْ بِآدَمٍ فِي السَّرِيرِ
لِاجْتِرَاحِ الْكُبْرَى مِنَ الْمُعْجِزَاتِ

فَتَحَتْ جَنْبَهُ وَسَلَّتْ بِعَطْفٍ مِنْهُ ضِلْعاً فَجَاءَ تِمْثَالَ لُطْفِ
جَلَّ قَدْراً عَنْ أَصْلِهِ فَاسْتُصْفِيَ مِنْ دَمِ الصَّدْرِ لَا التُّرَابِ الصِّرْفِ
وَسَمَا عَنْ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ

فَبَدَتْ غَضَّةَ الصِّبَى « حَوَّاءُ » وَهِيَ هَيْفَاءُ كَاعِبٌ زَهْرَاءُ
لِيَدِ اللهِ مَظْهَرٌ وَضَّاءُ وَسَنًى بَيِّنٌ بِهَا وَسَنَاءُ
شَفَّ عَنْهُ الْجَمَالُ كَالْمِرْآةِ

تَتَجَلَّى وَاللَّيْلُ يَمْضِي انْدِفَاعَا نَاظِراً خَلْفَهُ إِلَيْهَا ارْتِيَاعَا
وَبَشِيرُ الصَّبَاحِ يُدْلِي الشُّعَاعَا نَاشِراً رَايَاتِ الضِّيَاءِ تِبَاعَا
دَاعِياً لِلسُّرُورِ وَالتَّهْنِئَاتِ

وَتَوَالِي النُّجُومِ تَرْمُقُ آنَا حُسْنَهَا ثُمَّ تُغْمِضُ الأَجْفَانَا
وَنُجُومُ الْجِنَانِ تُبْدِي افْتِتَانَا بِالْجَمَالِ الَّذِي رَأَتْهُ فَكَانَا
آيَةَ لِلْمُبْصِرَاتِ وَالسَّامِعَاتِ

وَتَنَاجَتْ فَوَائِحُ الأَزْهَارِ وَتَنَادَتْ نَوَافِحُ الأَسْحَارِ
وَتَدَاعَتْ صَوَادِحُ الأَطْيَارِ قُلْنَ: هَذِى خُلَاصَةُ الأَسْرَارِ
وَخِتَامُ الْعَجَائِبِ لِلْدُهِشَاتِ

رَبَّنَا مَا سِوَاكَ مِنْ مَعْبُودِ أَىَّ خَلْقٍ نَرَى بِشَكْلٍ جَدِيدِ؟
بِنْتَ شَمْسٍ؟ أَمْ قَدْ بَدَتْ لِلْعَبِيدِ صِفَةٌ مِنْكَ فِي مِثَالٍ فَرِيدِ
لِتَلَقِّى سُجُودِنَا وَالصَّلَاةِ؟

قَالَ صَوْتٌ: هِىَ الْعِنَايَةُ حَلَّتْ فَأَنَارَتْ عَلِيكُمْ وَأَظَلَّتْ
وَهْىَ سُلْطَانَةٌ عَلَيْكُمْ تَوَلَّتْ وَهْىَ فِي يَوْمِهَا عَرُوسٌ تَجَلَّتْ
وَغَداً أُمُّ سَادَةِ الْكَائِنَاتِ

تِلْكَ حَوَّاءُ فِي ابْتِدَاءِ الزَّمَانِ لَمْ يُكَدِّرْ صَفَاءَهَا فِي الْجِنَانِ
مَا سِوَى جَهْلِ سِرِّ هَذَا الْكِيَانِ وَشُعُورٍ بِأَنَّ فِي الْعِرْفَانِ
لَذَّةً فَوْقَ سَائِرِ اللَّذَّاتِ

فَاشْتَرَتْ عِلْمَهَا بِفَقْدِ الدَّوَامِ وَاشْتَرَتْ بِالنَّعِيمِ سِرَّ الْغَرَامِ
وَاسْتَحَبَّتْ عَلَى اعْتِدَالِ الْمُقَامِ عِيشَةً بَيْنَ صِحَّةٍ وَسَقَامِ
فِي التَّصَابِي وَمُلْتَقًى وَشَتَاتِ

فَإِذَا كَانَ فِعْلُهَا ذَاكَ إِثْمَا أَفَلَمْ تَغْدُ ـ حِينَ أَضْحَتْ أُمَّا

بِمَعَانَاتِهَا الْعَذَابَ الْجَمَّا ـ رُوحَ قُدْسٍ مِنَ الْمَلَائِكِ أَسْمَى
مَصْدَراً لِلْإِبْدَاعِ وَالرَّحَمَاتِ ؟

غُبِنَتْ فِي اخْتِيَارِ غَبْناً جَسِيمَا لَكِنِ اعْتَاضَتِ اعْتِيَاضاً كَرِيمَا
أَوَلَمْ تُؤْتِنَا الْهَوَى وَالْعُلُومَا ؟ فَنَعِمْنَا وَزَادَ ذَاكَ النَّعِيمَا
مَا حُفِفْنَا بِهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ ؟

فَلِهَذَا نُحِبُّهَا كَيْفَ كُنَّا إِنْ فَرِحْنَا فِي حَالَةٍ أَوْ حَزِنَّا
أَوْ جَزِعْنَا لِحَادِثٍ أَوْ أَمِنَّا وَهَوَاهَا مِنَ الْأَبَرِّينَ مِنَّا
فِي صَمِيمِ الْقُلُوبِ وَالْمُهَجَاتِ

رثـــاء

للمرحوم فقيد الأمتين بشارة تقلا باشا

سَلِمْتَ لَوَ انَّ السَّهْمَ سَهْمُ مُقَاتِلٍ وَلَكِنَّ مَا أَصْمَاكَ سَهْمُ مُخَاتِلٍ[1]
تَغَافَلَ مِنْكَ الرَّأْيُ طَرْفَةَ مُقْلَةٍ فَخَوَلْتَهَا ، وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِغَافِلِ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَوْتُ الَّذِي بِتَّ حَرْبَهُ مِرَاسَكَ فِي دَفْعِ الرَّزَايَا الْجَلَائِلِ
وَلَكِنَّهَا الْأَعْمَارُ إِنْ هِيَ عُوجِلَتْ فَلَا حَوْلَ فِي رَدِّ الْقَضَاءِ الْمُعَاجِلِ

(١) مخاتل : آخذ على غرة

قَضَاءٌ بِإِفْنَاءِ الْحَيَاةِ مُوَكَّلٌ إِلَى أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ آخِرَ زَائِلِ

فَلَيْسَ بِمُنْجٍ مِنْهُ قَلْبُ مُنَاضِلٍ إِلَى آخِرِ الأَنْفَاسِ أَوْ عَزْمُ بَاسِلِ

وَلَا حِرْصُ أَحْنَى الْوَالِدَاتِ عَلَى ابْنِهَا وَلَا جُهْدُ أَوْفَى بَرَّةٍ فِي الْعَقَائِلِ[1]

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالدَّاءِ فَالطِّبُّ لَمْ يَزَلْ سِلَاحَ الْمَنَايَا فِي يَدَيْ كُلِّ جَاهِلِ

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ طَوِيلٍ وَسَاعَةٍ حَسِبْنَا الْمَدَى فِي سَيْرِهَا الْمُتَثَاقِلِ

نَرَى شُهْبَهُ وَالدَّمْعُ يَغْشَى عُيُونَنَا تَلُوحُ وَتَخْفَى كَالدُّمُوعِ السَّوَائِلِ

وَنَسْمَعُ مِنْهُ فِي السُّكُونِ تَنَهُّداً وَذَاكَ صَدَى أَنْفَاسِنَا فِي الْمَخَايِلِ

وَقَفْنَا بِهِ نَقْضِي وَدَاعَ حَبِيبِنَا حَيَارَى كَأَشْبَاحٍ بَوَاكٍ ثَوَاكِلِ

نُنَادِي الْهُمَامَ الْمُرْتَجَى غَيْرَ سَامِعٍ وَكَانَ مُجِيباً قَبْلَهَا كُلَّ سَائِلِ

نُنَادِي أَبَرَّ الأَصْدِقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ يُخَيِّبُ إِذْ يُدْعَى رَجَاءَ لِآمِلِ

نُنَادِي «أَبَا جِبْرِيلَ» بِاسْمِ وَحِيدِهِ وَقَدْ كَانَ لَا يُعْتَاقُ عَنْهُ بِشَاغِلِ

* * *

فَتَى الْمَجْدِ إِنَّ الْقَوْمَ جَالُوا وَسَاجَلُوا وَأَرْخَى عِنَانَ الرَّأْيِ كُلُّ مُطَاوِلِ

فَأَيْنَ الَّذِي كَانَ الْمُقَدَّمَ فِيهِمُ وَكَانَ وَدِيعَ النَّفْسِ عَفَّ الشَّمَائِلِ؟

وَأَيْنَ الَّذِي صَمْصَامُهُ دُونَ عَزْمِهِ مَضَاءً إِذَا مَا اسْتَلَّهُ فِي الْمَاحِلِ؟

وَأَيْنَ الَّذِي كَانَتْ بَوَادِرُ فِكْرِهِ تَخَطُّفَ بَرْقٍ فِي قُطُوبِ الْمَشَاكِلِ؟

وَأَيْنَ الَّذِي فِي كُلِّ مِصْرٍ يَحُلُّهُ لَهُ الْمَنْزِلُ الْمَرْفُوعُ بَيْنَ الْمَنَازِلِ؟

---

(١) برة : بارة

وَأَيْنَ الذِي مِيعَادُهُ غَيْرُ مُخْلَفٍ وَتَسْبِقُ مِنْهُ القَوْلَ غُرُّ الفَعَائِلِ ؟

***

أَلَا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْفَى مُفَارِقٍ وَفِي ذِمَّةِ العَلْيَاءِ أَكْرَمُ رَاحِلِ

وَذَاكَ الشَّبَابُ الغَضُّ وَالهِمَّةُ الَّتِي تَدُوسُ إِلَى غَايَاتِهَا كُلَّ حَائِلِ

وَتِلْكَ العُيُونُ النَّاطِقَاتُ لِحَاظُهَا بِأَجْلَى بَيَانًا مِنْ مَقَالَةِ قَائِلِ

وَذَاكَ الفُؤَادُ الثَّبْتُ فِي كُلِّ أَزْمَةٍ إِذَا مَرَّتِ الأَحْدَاثُ مَرَّ الزَّلَازِلِ

***

« بِشَارَةُ » جَلَّ الخَطْبُ فِيكَ وَإِنَّهُ لَخَطْبٌ عَمِيمٌ لِلْعُلَى وَالفَضَائِلِ

فَإِنْ تَبْكِ «مِصْرٌ» فَهْيَ تَبْكِي مُصَابَهَا بِأَرْوَعَ مَيْمُونِ النَّقِيبَةِ فَاضِلِ

وَإِنْ تَبْكِ «سُورِيَّا» فَقَدْ كُنْتَ رُكْنَهَا وَكُنْتَ أَبَرَّ ابْنٍ لِأَجْزَعِ ثَاكِلِ

وَإِنْ تَبْكِ أَرْبَابُ الصَّحَائِفِ تَرْحَةً فَقَدْ يَعْرِفُ التَّالُونَ فَضْلَ الأَوَائِلِ

في إحسان محسن

حَبَّبَ الفَقْرَ إِلَيْنَا مِنْكَ إِحْسَانٌ شَرِيفُ

فَاشْتَهَى المُوسِرُ مِنَّا أَنَّهُ عَافٍ يَطُوفُ[1]

---

(١) عاف : فقير

المســـاء

قال الناظم وهو عليل في مكس الاسكندرية

دَاءٌ أَلَمَّ فَخِلْتُ فِيهِ شِفَائِي   مِنْ صَبْوَتِي، فَتَضَاعَفَتْ بُرَحَائِي
يَا لَلضَّعِيفَيْنِ! اسْتَبَدَّا بِي وَمَا   فِي الظُّلْمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضُّعَفَاءِ
قَلْبٌ أَذَابَتْهُ الصَّبَابَةُ وَالْجَوَى   وَغِلَالَةٌ رَثَّتْ مِنَ الأَدْوَاءِ
وَالرُّوحُ بَيْنَهُمَا نَسِيمُ تَنَهُّدٍ   فِي حَالَيِ التَّصْوِيبِ وَالصُّعَدَاءِ
وَالعَقْلُ كَالمِصْبَاحِ يَغْشَى نُورَهُ   كَدَرِي وَيُضْعِفُهُ نُضُوبُ دِمَائِي

***

هَذَا الَّذِي أَبْقَيْتِهِ يَا مُنْيَتِي   مِنْ أَضْلُعِي وَحَشَاشَتِي وَذَكَائِي
عُمْرَيْنِ فِيكِ أَضَعْتُ لَوْ أَنْصَفْتِنِي   لَمْ يَجْدُرَا بِتَأَسُّفِي وَبُكَائِي
عُمْرَ الفَتَى الفَانِي وَعُمْرَ مُخَلَّدٍ   بِبَيَانِهِ لَوْلَاكِ فِي الأَحْيَاءِ
فَغَدَوْتُ لَمْ أَنْعَمْ كَذِي جَهْلٍ وَلَمْ   أَغْنَمْ كَذِي عَقْلٍ ضَمَانَ بَقَاءِ

***

يَا كَوْكَباً مَنْ يَهْتَدِي بِضِيَائِهِ   يَهْدِيهِ طَالِعُ ضِلَّةٍ وَرِيَاءِ
يَا مَوْرِداً يَسْقِي الوُرُودَ سَرَابُهُ   ظَمَأً إِلَى أَنْ يَهْلِكُوا بِظَمَاءِ
يَا زَهْرَةً تُحْيِي رَوَاعِيَ حُسْنِهَا   وَتُمِيتُ نَاشِقَهَا بِلَا إِرْعَاءِ[1]

(١) رواعي: العيون التي ترعى. بلا إرعاء: بلا إبقاء عليه

هَذَا عِتَابُكِ ، غَيْرَ أَنِّيَ مُخْطِئٌ إِبْرَامُ سَعْدٌ فِي هَوَى حَسْنَاء
حَاشَاكِ بَلْ كُتِبَ الشَّقَاءُ عَلَى الْوَرَى وَالْحُبُّ لَمْ يَبْرَحْ أَحَبَّ شَقَاء
نِعْمَ الضَّلَالَةُ حَيْثُ تُؤْنِسُ مُقْلَتِي أَنْوَارُ تِلْكَ الطَّلْعَةِ الزَّهْرَاء
نِعْمَ الشِّفَاءُ إِذَا رَوِيتُ بِرَشْفَةٍ مَكْذُوبَةٍ مِنْ وَهْمِ ذَاكَ الْمَاء
نِعْمَ الْحَيَاةُ إِذَا قَضَيْتُ بِنَشْقَةٍ مِنْ طِيبِ تِلْكَ الرَّوْضَةِ الْغَنَّاء

***

إِنِّي أَقَمْتُ عَلَى التَّعِلَّةِ بِالْمُنَى فِي غُرْبَةٍ قَالُوا : تَكُونُ دَوَائِي
إِنْ يَشْفِ هَذَا الْجِسْمَ طِيبُ هَوَائِهَا أَيُلَطِّفُ النِّيرَانَ طِيبُ هَوَاء ؟
أَوْ يُمْسِكِ الْحَوْبَاءَ حُسْنُ مُقَامِهَا هَلْ مَسْكَةٌ فِي الْبُعْدِ لِلْحَوْبَاء ؟[1]
عَبَثٌ طَوَافِي فِي الْبِلَادِ وَعِلَّةٌ فِي عِلَّةٍ مَنْفَايَ لِاسْتِشْفَاء
مُتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي ، مُتَفَرِّدٌ بِكَآبَتِي ، مُتَفَرِّدٌ بِعَنَائِي
شَاكٍ إِلَى الْبَحْرِ اضْطِرَابَ خَوَاطِرِي فَيُجِيبُنِي بِرِيَاحِهِ الْهَوْجَاء
ثَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ وَلَيْتَ لِي قَلْبًا كَهَذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاء
يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ مَكَارِهِي وَيَفُتُّهَا كَالسُّقْمِ فِي أَعْضَائِي
وَالْبَحْرُ خَفَّاقُ الْجَوَانِبِ ضَائِقٌ كَمَدًا كَصَدْرِي سَاعَةَ الْإِمْسَاء
تَغْشَى الْبَرِيَّةَ كُدْرَةٌ وَكَأَنَّهَا صَعِدَتْ إِلَى عَيْنَيَّ مِنْ أَحْشَائِي
وَالْأُفْقُ مُعْتَكِرٌ قَرِيحٌ جَفْنُهُ يُغْضِي عَلَى الْغَمَرَاتِ وَالْأَقْذَاء

***

(١) يمسك الحوباء : يحفظ الروح

يا لَلغروبِ وَمَا بِهِ مِنْ عِبْرَةٍ لِلمُسْتَهَامِ ! وَعِبْرَةٍ لِلرَّائِي ! !
أَوَلَيْسَ نَزْعًا لِلنَّهَارِ وَصَرْعَةً لِلشَّمْسِ بَيْنَ مَآتِمِ الأَضْوَاءِ ؟
أَوَلَيْسَ طَمْساً لِلْيَقِينِ وَمَبْعَثاً لِلشَّكِّ بَيْنَ غَلائِلِ الظَّلْمَاءِ ؟
أَوَلَيْسَ مَحْواً لِلْوُجُودِ إِلى مَدًى وَإِبَادَةً لِمَعَالِمِ الأَشْيَاءِ ؟
حَتَّى يَكُونَ النُّورُ تَجْدِيداً لَهَا وَيَكُونَ شِبْهَ الْبَعْثِ عَوْدُ ذُكَاءِ (1)

* * *

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالنَّهَارُ مُوَدِّعٌ وَالْقَلْبُ بَيْنَ مَهَابَةٍ وَرَجَاءِ
وَخَوَاطِرِي تَبْدُو تُجَاهَ نَوَاظِرِي كَلْمَى كَدَامِيَةِ السَّحَابِ إِزَائِي (2)
وَالدَّمْعُ مِنْ جَفْنِي يَسِيلُ مُشَعْشَعاً بِسَنَى الشُّعَاعِ الْغَارِبِ الْمُتَرَائِي
وَالشَّمْسُ فِي شَفَقٍ يَسِيلُ نُضَارُهُ فَوْقَ الْعَقِيقِ عَلَى ذُرًى سَوْدَاءِ (3)
مَرَّتْ خِلَالَ غَمَامَتَيْنِ تَحَدُّراً وَتَقَطَّرَتْ كَالدَّمْعَةِ الْحَمْرَاءِ
فَكَأَنَّ آخِرَ دَمْعَةٍ لِلْكَوْنِ قَدْ مُزِجَتْ بِآخِرِ أَدْمُعِي لِرِثَائِي
وَكَأَنَّنِي آنَسْتُ يَوْمِيَ زَائِلًا فَرَأَيْتُ فِي الْمِرْآةِ كَيْفَ مَسَائِي

(1) ذكاء : الشمس (2) كلمى : جريحة (3) ذرى : مرتفعات

باقة مائدة

كان الناظم مريضاً ومصطافاً فى الكس . فلما تماثل للشفاء دعا بعض الأسر المصرية التى كانت هناك لتناول العشاء ليشكر لها بعض الشكر عنايتها به أيام اعتلاله ، وهيأ مائدة مزدانة بالأزهار . فجعل أمام كل سيدة من المدعوات كأساً تبدو منها زهرة فريدة بين نظائرها أقرب الأزهار شبهاً الى صاحبتها ، ووضع وراء الكأس ورقة مقواة ذات صفحتين ــ على إحداها وهى المواجهة للسيدة تعداد الأطعمة كالمألوف وعلى الصفحة الثانية أبيات من الشعر بين بها الناظم معنى وضع كل زهرة أمام صاحبتها

قال فى السيدة المتصدرة وتجاهها وردة :

لَكِ صَدْرُ المَقَامِ فِي كُلِّ نَادٍ   كُلُّ عِقْدٍ ذُو دُرَّةٍ مُخْتَارَهْ
فَخُذِى مَنْصِبَ الإِمَارَةِ فِينَا   إِنَّ لِلْوَرْدِ فِي الجِنَانِ الإِمَارَهْ

وكتب فى صحيفة فتاة أمامها نرجسة :

أَلنَّرْجِسُ الخَافِضُ أَجْفَانَهُ   لَيْسَ بِوَسْنَانَ وَلَا نَائِمِ
لكِنَّ أَلْحَاظَكِ أَخْجَلْنَهُ   فَغَضَّ عَنْهَا مُقْلَةَ الكَاظِمِ

وكتب فى صحيفة فتاة أمامها زنبقة :

زَنْبَقَةَ المَجْلِسِ فُوحِي لَنَا   طِيباً ، فَذَا الطِّيبُ مِنَ العَقْلِ فَاحْ
أَنْتِ ابْتِسَامٌ صِيغَ فِي قَطْرَةٍ   مِنَ النَّدَى فِي قَبَسٍ مِنْ صَبَاحْ

وكتب فى صحيفة بنيّة لأول اقتبال صباها وإزاءها فلّة :

يَا فُلَّةً تَطْلُعُ مِنْ كُمِّهَا كَسَحَرٍ مِنْ أُفُقِ الْبَحْرِ
غَداً تُرِينَا مِنْ جَمَالِ الضُّحَى مَا هُوَ مِلْءُ العَيْنِ وَالفِكْرِ

فنجان قهوة

حديث واقعة جرت فى قصر ملك مستبدّ

هذه القصيدة وتاليتها نظمتا لتنشدا فى مجلس
سيدة نبيلة على إثر محاضرة دعت الى ذلك

أَلبَحْرُ سَاجٍ وَالسَّكِينَةُ سَائِدَهْ وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَالمَدِينَةُ رَاقِدَهْ[1]
غَمَرَ الظَّلَامُ هِضَابَهَا وَجِبَالَهَا وَقِلَاعَهَا وَصُرُوحَهَا ، فَأَزَالَهَا
شِبْهَ المُحِيطِ المُسْتَوِى وَبِقَاعِهِ مَا لَا يُرَى مِنْ شُمِّهِ وَبِقَاعِهِ[2]
لَا نَجْمَ فِي الأُفُقِ المُحَجَّبِ سَافِرُ خَلَلَ السَّحَابِ وَلَا سِرَاجٌ سَاهِرُ
وَإِذَا أَصَاخَ إِلَى الجِهَاتِ مُطِيفُ سَمْعاً فَلَا رِكْزٌ يُحَسُّ خَفِيفُ[3]
إِلَّا خُطَى شَبَحٍ ضَئِيلٍ هَائِمِ كَالوَهْمِ يَسْرِى فِي مُخَيِّلَةِ وَاهِمِ
فِي غَابَةٍ بِجِوَارِ دَارِ المُلْكِ فِي أُفُقِ الجَلَالِ وَمَطْلَعِ النُّورِ الخَفِى

(١) ساج : هادىء (٢) بقاعه (الأولى) : فى أسفله (٣) ركز : صوت

فِي هَضْبَةٍ أَقْعَى عَلَيْهَا ثَعْلَبُ   مُتَدَثِّرٌ بِالأُرْجُوَانِ مُعَصَّبُ[1]

دَامِي الشِّفَاهِ يَمُدُّ شِبْهَ النَّارِ   لِوُلُوغِ مَا فِيهَا مِنَ الآثَارِ[2]

وَيُجِيلُ فِي الآفَاقِ أَخْبَثَ نَاظِرِ   مُتَقَلِّبًا فِيهَا تَقَلُّبَ حَائِرِ

وَيَمِيلُ إِصْغَاءً إِلَى النَّسَمَاتِ   خَوْفًا مِنَ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ

يَخْشَى رَعِيَّتَهُ وَهُمْ يَخْشَوْنَهُ   لَكِنْ يُبِيحُهُمُ وَهُمْ يَرْعَوْنَهُ

وَكَأَنَّمَا العَظْمُ الرَّمِيمُ البَالِي   مِنْ كُلِّ مَنْ أَرْدَاهُ غَيْرَ مُبَالِي

يَسْعَى إِلَيْهِ مِنَ القُبُورِ مُبَكِّتَا   أَبَدًا فَيَلْبَثُ مُصْغِيًا مُتَلَفِّتَا

***

تِلْكَ الخُطَى فِي الهَضْبَةِ الشَّمَّاءِ   كَانَتْ خُطَى إِنْسِيَّةٍ حَسْنَاءِ

بِنْتِ المَلِيكِ المُسْتَبِدِّ العَاتِي   أَلعَابِدِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ

أَلسَّالِبِ المُعْطِي لِأَيْسَرِ مَأْرَبِ   أَلْهَادِمِ البَانِي لِأَدْنَى مُوجِبِ

أَلْغَادِرِ الهَيَّابَةِ الرِّعْدِيدِ   إِلَّا بِقَتْلِ الآمِنِينَ القُودِ[3]

جَمَّتِ السُّرَى إِلَى مَكَانٍ خَالِي   مِنْ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ وَالعُذَّالِ

لِلِقَاءِ جُنْدِيٍّ جَمِيلِ المَنْظَرِ   عَالِي المَكَانَةِ أَرْيَحِيٍّ قَسْوَرِ[4]

رَأْسِ الحُمَاةِ لِصَرْحِ ذَاكَ العَاهِلِ   لَيْلًا، وَحَارِسِ رَأْسِهِ مِنْ غَائِلِ[5]

لَمَحَتْهُ يَوْمًا خِلْسَةً فِي مَوْكِبِ   بِجِوَارِ وَالِدِهَا المَلِيكِ الأَهْيَبِ

---

(١) أقعى : جلس   (٢) يمد شبه النار : كناية عن اللسان

(٣) القود : المتقادين   (٤) قسور : أسد   (٥) العاهل : الملك

تَمْحُو أَشِعَّةُ حُسْنِهِ الْوَهَّاجِ   بِجَمَالِهِنَّ جَلَالَ رَبِّ التَّاجِ
فَأَصَابَهَا سَهْمُ الْغَرَامِ وَأَلَمَّا   حَتَّى لَكَانَ يَهُونُ لَوْ أَجْرَى دَمَا
وَقَضَتْ لَيَالِيَ بَعْدَ ذَلِكَ سَاهِدَهْ   حَيْرَى مُوَلَّهَةً مَلُولًا وَاجِدَهْ
لَا تَسْتَرِيحُ وَلَا تَقَرُّ مِنَ الْجَوَى   وَتَخَالُ دَاءً مَا بِهَا ، وَهْوَ الْهَوَى

***

فَاسْتَوْصَفَتْ ظِئْرًا لَهَا فِي أَمْرِهَا   حَدْبَاءَ أَذْكَى الشَّيْبُ فَاحِمَ شَعْرِهَا[1]
طَوَتِ السِّنُونَ عَلَى الْخَدَائِعِ قَلْبَهَا   وَأَتَرْنَ بِالْعِبَرِ السَّوَاطِعِ لُبَّهَا
فَتَمَثَّلَا فِي وَجْهِهَا الْمُتَجَعِّدِ   لِلنَّاقِدِينَ وَطَرْفِهَا الْمُتَوَقِّدِ
قَالَتْ: بُنَيَّةُ إِنَّ جِسْمَكِ سَالِمُ   وَلَعَلَّ دَاءَكِ أَنَّ قَلْبَكِ هَائِمُ
قَالَتْ: أَظَنُّكِ أَنَّ رُؤْيَةَ رَائِي   تُفْضِي بِصَاحِبِهَا إِلَى الْبُرَحَاءِ؟[2]
قَالَتْ: كَذَاكِ الْحُبُّ بَادِئُ بَدْئِهِ   حَتَّى يَنُوءَ الْمُسْتَهَامُ بِعِبْئِهِ
قَالَتْ: فَكَيْفَ تَرَيْنَ لِي أَنْ أَفْعَلَا؟   قَالَتْ: أَرَى سُلْوَانَهُ بِكِ أَمْثَلَا
قَالَتْ: أُحَاوِلُهُ وَقَلْبِيَ دَامِي ،   فَإِذَا سَلَوْتُ ذَكَرْتُ فِي الْأَحْلَامِ
قَالَتْ: فَيَا أَسَفًا وَلَكِنْ قَدَّرَا   لَكِ يَا ابْنَةَ السُّلْطَانِ رَبُّكِ مَا جَرَى
فَلَئِنْ أَطَعْتِ هَوَاكِ وَهْوَ مُحَكَّمُ   فَسِوَاكِ فِيهِ يَا بُنَيَّةُ مُجْرِمُ
قَالَتْ: فَمَنْ؟ قَالَتْ: مِزَاجُكِ ثَائِرَا   وَقُوَاكِ وَاهِيَةً وَجَهْلُكِ آمِرَا
وَجَمِيعُهَا مِنْ عِيشَةِ التَّقْيِيدِ   وَالسِّجْنِ وَالتَّضْيِيقِ وَالتَّشْدِيدِ

(١) الظئر : المرضع وتكون عند الشرقيين مربية رضيعها تلزمه الى الكبر
(٢) البرحاء : شدة الأذى

فَخُذِي لِنَفْسِكِ مِنْ كِتَابٍ مُؤْنِساً قَالَتْ : أَيَشْفِي غُلَّتِي؟ قَالَتْ: عَسَى

وَأَتَتْ إِلَيْهَا ظِئْرُهَا مُنْذُ الْغَدِ بِكِتَابٍ اخْتَارَتْهُ وَفْقَ الْمَقْصِدِ

جَمَعَ الْغَرِيبَ مَسَائِلًا وَشَوَارِدَا وَحَوَى الْعَجِيبَ رَسَائِلاً وَقَصَائِدَا

فَاسْتَحْسَنَتْ مِنْهُ الأَمِيرَةُ نَادِرَهْ نُظِمَتْ بِشِبْهِ الأَدْمُعِ الْمُتَنَاثِرَهْ

فِي ذِكْرِ قَائِدِ فِرْقَةٍ مَشْهُورِ عَلِقَتْهُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْحُورِ

فَتَعَاهَدَا فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ عَهْداً عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

ثُمَّ انْتَهَى بِهِمَا الْغَرَامُ إِلَى الرَّدَى ظُلْماً فَكَانَا بِالْمَنِيَّةِ أَسْعَدَا

* * *

ذَاكَ الْحَدِيثُ أَضَاءَ ظُلْمَةَ فِكْرِهَا وَأَزَالَ حَيْرَةَ بَالِهَا فِي أَمْرِهَا

فَاسْتَوْثَقَتْ مِنْ ظِئْرِهَا أَنْ تَكْتُمَا مَا أَزْمَعَتْــهُ، وَأَمْطَرَتْهَا أَنْعُمَا

وَأَسَرَّتِ النَّجْوَى إِلَيْهَا أَنَّهَا تَرْجُو عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ عَوْنَهَا

قَالَتْ : فَمَا هُوَ ذَاكِ يَا مَوْلَاتِي؟ قَالَتْ وَقَدْ شَرِقَتْ مِنَ الْعَبَرَاتِ :

هُوَ أَنْ أَرَاهُ تَحْتَ جُنْحِ ظَلَامِ وَلَوَ انَّ فِي ذَاكَ اللِّقَاءِ حِمَامِي

قَالَتْ:وَمَنْ تَعْنِينَ؟ قَالَتْ:أَعْظَمَا حَرَسِ الْمَلِيكِ وَخَيْرَهُمْ مُتَوَسَّمَا

ذَاكَ الْفَتَى الْعَالِي عَلَى الْفِتْيَانِ حَامِي مَنَامَ أَبِي مِنَ الْعُدْوَانِ

قَالَتْ : وَمَنْ لِي أَنْ أَرَاهُ خَالِياً؟ أَوْ أَنْ يُصَدِّقَ دَعْوَتِي فَيُوَافِيَا؟

قَالَتْ : إِذَنْ أُمْضِي إِلَيْهِ كِتَابَا قَالَتْ لَهَا : فَلْتَأْتِيَنَّ عُجَابَا

هَذَا قِيَادُكِ فِي يَدَيْهِ يُوضَعُ بَلْ فَخْرُ آلِكِ بَلْ صِبَاكِ يُضَيَّعُ

أَكَذَا تُرَاسِلُ حُرَّةٌ مَجْهُولَا ؟ سَاءَ الْكِتَابُ ، وَقَدْ يَخُونُ رَسُولَا

قَالَتْ: أَصَبْتِ، وَإِنَّمَا لَمْ تَنْظُرِي ذَاكَ الْحَبِيبَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعْذِرِي

لَوْ شِمْتِ بَارِقَ حُسْنِهِ الْفَتَّانِ لَرَأَيْتِ عَيْنَ الْحُسْنِ فِي إِنْسَانِ

وَرَأَيْتِ أَبْدَعَ صُورَةٍ لِلْخَالِقِ فِي خَلْقِهِ، أَتَكُونُ حَلْيَ مُنَافِقِ ؟

كَلَّا وَأَزْعُمُهُ أَعَزَّ وَأَكْرَمَا أَوْ يَفْسُدَ النُّورُ النَّقِيُّ وَيُتَّهَمَا

***

وَإِذِ اسْتَتَمَّتْ قَوْلَهَا سَكَتَتْ وَقَدْ أَغْضَتْ كَمَا هُوَ شَأْنُ مُهْتَاجٍ تَمَدْ

وَقَضَتْ كَذَاكَ هُنَيْهَةً مُتَفَكِّرَهْ ثُمَّ اسْتَوَتْ مَجْهُودَةً مُتَغَيِّرَهْ

وَرَنَتْ لِمُرْضِعِهَا طَوِيلًا سَاجِيَهْ بِنَوَاظِرٍ لَا رُوحَ فِيهَا سَاهِيَهْ

مَنْهُوكَةً لَوْلَا عَزِيمَةُ رَأْيِهَا لَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهَا مِنْ وَهْيِهَا

وَتَكَادُ تَقْرَأُ آيَةٌ بِجَبِينِهَا مَكْتُوبَةٌ بِالْيَأْسِ بَيْنَ عُيُونِهَا

قَالَتْ : أُمِرْتُ بِأَنْ أَرَاهُ فَاحْمِلِي هَذَا الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، لَا تَتَمَهَّلِي

أَلْمَوْتُ فِي الْحَالَيْنِ غَايَةُ مَسْلَكِي فَلْأَنْعَمَنَّ بِنَظْرَةٍ وَلْأَهْلِكِ

***

وَتَوَاعَدَ الْمُتَعَاشِقَانِ عَلَى اللِّقَا فِي مَأْمَنٍ مِنْ طَارِقٍ أَنْ يَطْرُقَا

حَتَّى إِذَا دَفَقَ الدُّجَى بِسُيُولِهِ مَضَتِ الْأَمِيرَةُ فِي خِلَالِ سُدُولِهِ

تَخْتَالُ فِي أَثْوَابِهَا السَّوْدَاءِ عَنْ قِطْعَةٍ تَمْشِي مِنَ الظَّلْمَاءِ

طَوْراً تَضِلُّ وَتَارَةً تَتَعَثَّرُ وَفُؤَادُهَا مُتَفَزِّعٌ مُتَطَيِّرُ

وَتَكَادُ إِنْ لَمَحَتْ إِشَارَةَ نُورِ تَنْحَلُّ مِثْلَ غَيَاهِبِ الدَّيْجُورِ [1]
لَكِنَّ ذَلِكَ الْخَوْفَ لَمْ يَتَجَرَّدِ مِنْ لَذَّةِ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ
وَرَجَاءِ نُورٍ مُقْبِلٍ وَأَمَانِ وَسَعَادَةٍ يَأْتِينَهَا فِي آنِ
حَتَّى إِذَا جَاءَتْ مَكَانَ الْمَوْعِدِ حَيْرَى النَّوَاظِرِ وَالنُّهَى لَا تَهْتَدِي [2]
سَمِعَتْ خُطًى بِالْقُرْبِ ثُمَّ وَرَى لَهَا بَرْقٌ وَأُغْمِدَ فِي الظَّلَامِ فَهَالَهَا [3]
وَبَدَا لَهَا فِيمَا أَضَاءَ خَيَالُ ذَاكَ الْحَبِيبِ كَأَنَّهُ تِمْثَالُ
فَاشْتَدَّ خَفْقُ فُؤَادِهَا مُتَوَزِّعَا بَيْنَ الْمَهَابَةِ وَالْمُنَى مُتَصَدِّعَا
وَكَأَنَّ ذَاكَ الْبَارِقَ اللَّمَّاعَا سَيْفٌ مَضَى فِيهِ فَطَارَ شَعَاعَا
فَهَوَتْ لِسَاعَتِهَا وَقَرَّتْ نَائِمَهْ وَقَضَتْ لُبَانَتَهَا وَمَاتَتْ نَاعِمَهْ [4]
فَتَحَ الْغَرَامُ لَهَا بِتِلْكَ النَّظْرَةِ بَابَ النَّعِيمِ السَّرْمَدِيِّ فَمَرَّتِ

***

وَرَأَتْ عُيُونُ النَّائِمِ السَّهْرَانِ مَا قَدْ جَرَى فِي هَضْبَةِ الْبُسْتَانِ
فَأَشَارَ أَنْ يُؤْتَى بِذَاكَ الْحَارِسِ مِنْ حَيْثُ كَانَ مِنَ الظَّلَامِ الدَّامِسِ
فَأَتَوْا إِلَيْهِ بِهِ كَظِيمًا شَاحِبَا قَلِقَ النَّوَاظِرِ حَائِرًا لَا هَائِبَا
فَرَنَا إِلَيْهِ كَمَا يُضِيءُ الْكَوْكَبُ إِذْ شُقَّ عَنْهُ مِنْ بَعِيدٍ غَيْهَبُ
وَعَلَى مُحَيَّاهُ ابْتِسَامُ عِتَابِ كَالْكَهْرَمَانِ مُعَفَّرًا بِتُرَابِ
«مَا هَكَذَا يَا أَصْدَقَ الأَعْوَانِ شَأْنُ الشُّجَاعِ مُصَاهِرِ السُّلْطَانِ

(١) الديجور: الظلام (٢) النهى: العقل (٣) ورى: ظهر
(٤) قضت لبانتها: نالت مشتهاها من اللقاء

سَبَقَ الحَمَامُ إلى العَرُوسِ فَنَالَهَا ... وَأَخَذْتَ مِنْهَا ظِلَّهَا وَخَيَالَهَا

لَـكِنْ رَأَيْتُكَ سَامِيَ الأَغْرَاضِ ... كَلِفاً بِصَوْنِ طَهَارَةِ الأَعْرَاضِ

وَجَزَاءُ هَذِي الخَلَّةِ الإِكْرَامُ ... فَاجْلِسْ وَحَادِثْنِي وَلَا اسْتِعْظَامُ »[1]

أَمَّا الفَتَى فَأَقَامَ غَيْرَ مُبَالِي ... مَا كَانَ يَسْمَعُهُ مِنَ الأَقْوَالِ

وَكَأَنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنْ جَلْمَدِ ... نُحِتَتْ مِثَالًا لِلذُّهُولِ المُجْمَدِ

* * *

وَأَشَارَ رَبُّ القَصْرِ نَحْوَ البَابِ ... فَإِذَا فَتًى آتٍ مِنَ الحُجَّابِ

فِي كَفِّهِ فِنْجَانُ تِبْرٍ فَاخِرُ ... قَدْ فَاحَ مِنْهُ نَشْرُ بُنٍّ عَاطِرُ[2]

وَأَتَى عَبُوسَ الوَجْهِ وَالفِنْجَانُ ... ضَحِكُ البَيَاضِ يَثُورُ مِنْهُ دُخَانُ

فَتَحَرَّكَ الجُنْدِيُّ حِينَ تَنَسَّمَا ... ذَاكَ الشَّذَا وَرَأَى الغُلَامَ تَقَدَّمَا[3]

وَتَنَاوَلَ الفِنْجَانَ ثُمَّ تَمَطَّنَا ... لِمَقَالِ سَيِّدِهِ وَأَدْرَكَ مَا عَنَى

فَاخْتَارَ فِي الكُرْسِيِّ جِلْسَةَ مَالِكِ ... لَا جِلْسَةَ العَبْدِ المَرُوعِ الهَالِكِ

مُتَرَشِّفاً فِنْجَانَهُ مُتَمَهِّلَا ... كَتَرَشُّفِ السِّكِّيرِ كَأْساً مِنْ طِلَا

حَتَّى إِذَا اشْتَدَّتْ بِهِ الأَسْقَامُ ... وَتَقَسَّمَتْ أَحْشَاءَهُ الآلَامُ

وَأَكَبَّ مُنْطَوِياً عَلَى أَمْعَائِهِ ... مُتَلَوِّيَ الأَعْضَاءِ مِنْ بُرَحَائِهِ

رَمَزَ المَلِيكُ فَرَنَّ خَلْفَ سِتَارِ ... نَغَمٌ جَرَى بِيَدٍ عَلَى أَوْتَارِ[4]

مَزْجٌ مِنَ الأَحْزَانِ وَالأَفْرَاحِ ... مُرْدٍ كَمَزْجِ السُّمِّ فِي الأَقْدَاحِ[5]

---

(١) الخلة : الصفة (٢) تبر : ذهب (٣) الشذا : الرائحة (٤) رمز : أشار
(٥) مرد : قاتل

العالم الصغير

مرآة العالم الكبير

فنجان قهوة

أَرَأَيْتِ صَوْغَ الدُّرِّ فِي العِقْيَانِ؟ هَذَا حَبَابُ الْبُنِّ فِي الْفِنْجَانِ
فَلَكٌ تُمَثِّلُ شَمْسُهُ وَنُجُومُهُ أَفْلَاكَنَا فِي السَّيْرِ وَالدَّوَرَانِ
«لَيْلَى» أَجِيلِي الطَّرْفَ فِيهِ تَنْظُرِي سِرَّ الْكِيَانِ وَآيَةَ الأَزْمَانِ
تَجِدِي سَمَاوَاتٍ وَسُفْنَ عَوَالِمًا فَتَّانَةَ الإِبْدَاعِ وَالإِتْقَانِ
مَنْثُورَةَ الأَفْرَادِ مَنْظُومَةً جَمْعًا بِمَا لَا تُدْرِكُ الْعَيْنَانِ
سَيَّارَةً بَيْنَ الْجِهَاتِ حَوَائِرًا مُرْتَادَةً فِي الْبَحْثِ كُلَّ مَكَانِ
كُلٌّ يَصِيرُ إِلَى حَبِيبٍ مُرْتَجَى حَتَّى يُدَانِيَهُ فَيَلْتَصِقَانِ
فَيَذُوبَ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي صِنْوِهِ وَكَذَاكَ يَحْيَا بِالْهَوَى الصِّنْوَانِ[1]
جِسْمَانِ يَفْتَدِيَانِ جِسْمًا وَاحِدًا كَتَوَحُّدِ الْحِبَّيْنِ يَقْتَرِنَانِ
رُوحَانِ تَمْتَزِجَانِ حَتَّى تُصْبِحَا شِبْهَ الصَّبَا وَالطِّيبِ يَمْتَزِجَانِ

***

تِلْكَ الْحَيَاةُ عَتِيدُهَا وَمَصِيرُهَا حَتَّى يَكُونَ الْحُبُّ آخِرَ فَانِي[2]
إِذْ تَنْثُرُ الشُّهُبُ الْمُنِيرَةُ مِثْلَمَا تَنْهَلُّ أَدْمُعُ عَاشِقٍ وَلْهَانِ

---

(١) صنوه : مثله (٢) عتيدها : حاضرها

وتَذوبُ في لَهَبِ الشُّمُوسِ هَوَانِيًا ... وَبِهَا الشُّمُوسُ تَذُوبُ وَهْيَ هَوَانِي[1]
وَيَكُونُ يَوْمَئِذٍ شِفَاءُ غَلِيلِهَا ... وَمَتَاعُهَا وَفَنَاؤُهَا فِي آنِ
قَالَتْ : أَذَاكَ مَصِيرُنَا ؟ فَأَجَبْتُهَا : ... أَلسَّعْدُ آخِرُ شِقْوَةِ الإِنْسَانِ
وَهُوَ الحَيَاةُ نَعِيشُهَا فِي لَحْظَةٍ ... مَجْمُوعَةَ الأَفْرَاحِ وَالأَحْزَانِ
عُودِي إِلَى الفِنْجَانِ أَيْنَ شُمُوسُهُ ؟ ... وَالطَّائِفَاتُ بِهَا مِنَ الأَكْوَانِ ؟
عَاشَتْ عَلَى شَوْقٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتْ ... أَوْطَارَهَا مِنْ مُلْتَقًى وَقِرَانِ
زَالَتْ وَمَا أَبْقَى الهَوَى مِنْهَا سِوَى ... عِطْرٍ يَضُوعُ هُنَيْهَةً وَدُخَانِ

الزنبقـــة

طُفْتُ وَالصُّبْحَ طَالِباً فِي الجِنَانِ ... سَلْوَةً مِنْ نَوَاصِبِ الأَشْجَانِ
فَنَفَى حُسْنُهَا الأَسَى عَنْ ضَمِيرِي ... وَجَلَا نَاظِرِي وَسَرَّ جَنَانِي[2]
زَنْبَقٌ نَاصِعُ البَيَاضِ نَقِيٌّ ... تَرْتَوِي مِنْ بَيَاضِهِ العَيْنَانِ
وَجُفُونٌ مِنْ نَرْجِسٍ دَاخَلَتْهَا ... صُفْرَةُ الدَّاءِ فِي مَحَاجِرِ عَانِي
وَوُرُودٌ كَأَنَّهَا مَلِكَاتٌ ... بَرَزَتْ فِي غَلَائِلِ الارْجُوَانِ
وَأَفَانِينُ مِنْ شَقِيقٍ وَمِنْ فُلٍّ ... وَمِنْ مُضْعَفٍ وَمِنْ رَيْحَانِ

---

(١) هواتناً : مهنأة (٢) جنانى : قلبى

كُلُّ ضَرْبٍ شَبِيهُ سِرْبٍ جَمِيعٍ مُفْرَدٍ عَنْ لِدَاتِهِ فِي مَكَانِ[1]
طَالَ فِيهَا تَأَمُّلِي وَكَأَنِّي كُنْتُ مِنْهَا فِي رَوْضِ عِينٍ حِسَانِ

***

فَتَوَخَّيْتُ مُشْبِهاً « لِأَلِيسٍ » بَيْنَهَا فِي صِفَاتِهَا وَالْمَعَانِي[2]
فَإِذَا الْبَاهِرُ النَّقِيُّ مِنَ الزَّ نْبَقِ مِرْآةُ حُسْنِهَا الْفَتَّانِ
رَسْمُهَا فِي سَنَائِهَا وَسَنَاهَا وَصَدًى لِاسْمِهَا أَوِ اسْمٌ ثَانِي[3]
فِيهِ مِنْهَا الْبَهَاءُ وَالْقَامَةُ الْهَيْـ ـفَاءُ وَاللَّوْنُ صُورَةُ الْوِجْدَانِ
وَالْعَبِيرُ الَّذِي يُحَدِّثُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ الْأَخْفَى بِأَذْكَى بَيَانِ
وَالشُّعَاعُ الَّذِي بِهِ يُرِي الْبَغْيَ زُهْراً وَيُرِيهَا آزَاهِراً فِي آنِ
فَهْيَ فِي الرَّوْضِ وَالنُّجُومُ قَوَاصٍ وَهْيَ فِي الْأَوْجِ وَالنُّجُومُ دَوَانِي
تَتَرَاءَى السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ كُلٌّ فِي سِوَاهَا وَتَلْتَقِي الْجَنَّتَانِ

***

إِنَّمَا النَّرْجِسُ ابْتِسَامَةُ فَجْرٍ أَلْطَفَتْ نَسْجَهَا يَدُ الرَّحْمَنِ
قَامَ فِي حُلَّةِ الْبَيَاضِ فَكَانَتْ ثَوْبَ رُوحٍ لَا ثَوْبَ جِسْمٍ فَانِي
وَاسْتَزَادَ الْحُلَى سِوَاهَا فَجَاءَتْ حَيْثُ زَادَتْ عَلَائِمَ النُّقْصَانِ

---

(١) لداته : أشباهه (٢) أليس : اسم آنسة فرنسوية (٣) ذلك ان اسم الزنبقة فى الفرنسوية « ليس » والصدى يضيع الحرف الأول من اسم « أليس » فما يبقى يكون اسم الزنبقة . ولو بقى الاسم على أصله لصح أن يسمى الزنبق به لما اتصفت به تلك الفتاة من المحاسن

هَكَذَا سِرُّ كُلِّ حَيٍّ نَرَاهُ خَلَلَ الشَّكْلِ بَادِياً لِلْعِيَانِ
فَتَرَى أَنْفُسَ الْحِسَانِ حِسَاناً حَيْثُمَا هُنَّ عَنْ حُلِيٍّ غَوَانِي
وَنَرَى أَنْفُسَ الْأَزَاهِرِ غُرًّا إِذْ نَرَاهَا عَفِيفَةَ الْأَلْوَانِ

الى أب ثاكل

فجع الجواد الوجيه السيد جرجس براهمشا فى بكر
أولاده لجيمة كبرت عليه فعزّاه الناظم على الضريح بقوله

إِنْ تَسْتَطِعْ أَنْقِذْ فَتَاكْ بِجَمِيعِ مَا مَلَكَتْ يَدَاكْ
أَنْشِقْهُ رُوحَكَ وَاسْقِهِ مَا قَطَّرَتْهُ مُقْلَتَاكْ
وَاجْعَلْ ضُلُوعَكَ دِفْئَهُ وَغِذَاءَهُ بَاقِي قُوَاكْ
وَاخْبَؤُهُ خَبْءَ الْعَيْنِ فِي الْـجَفْنَيْنِ مَا شَاءَتْ مُنَاكْ
وَاسْهَرْ عَلَيْهِ وَلَا تُحَا ذِرْ فِي أَذَاهُ مِنْ أَذَاكْ
وَأَقِمْ لَهُ صَرْحاً بِقِيـهِ مُشَيَّداً حَتَّى السِّمَاكْ
وَادْعُ الْأُسَاةَ وَنُطْ بِمَا يَصِفُونَ مِنْ حِيَلٍ رَجَاكْ(1)
وَابْذُلْ حَيَاتَكَ فِي فِدَا هُ وَلَا تَضَنَّ بِمُقْلَتَاكْ

(1) الأساة : الأطباء

فَإِذَا وجَدْتَ الأَمْرَ مقْـــضِيًّا ، أَسَرَّكَ أَمْ شَجَاكْ

وعَلِمْتَ أَنَّ اللهَ يَبْـــلُو خَالِقيــهِ كَمَا بَلاَكْ

وَوَثِقْتَ أَنَّ عَظِيمَ حُزْ نِكَ إِنَّمَا يُدْمِي حَشَاكْ

سَلِّمْ إِلى تِلْكَ الجَـلَا لَةِ فَهْيَ مِنْ عَالٍ تَرَاكْ

واسْجُدْ وقُلْ : يَا رَبِّ إِنَّ رِضَاىَ مَا فِيهِ رِضَاكْ

مَا الأَرْضُ دَارُ لِلْمَـلَا كِ فَلَا يُقِيمُ بِهَا المَلَاكْ

فَاجْعَلْ شَقَائِى نِعْمَةً لِابْنِى وَسَعْداً فِى حِمَاكْ

هَذَا هُوَ السَّنَنُ القَوِيــمُ فَكِلْ أَسَاكَ إِلَى تُقَاكْ

* * *

وَإِلَيْكَ يَا مَنْ صَارَ مِنْ أَسْرِ الحَيَاةِ إِلى الفَـكَاكْ

كَلِمَاتِ بَاكٍ أَنْ تَبِيــنَ وَلَمْ يَزَلْ غَضًّا صِبَاكْ

مَا أَمْهَلَتْكَ يَدُ المَنِيَّــةِ رَيْثَمَا يُجْـنَى جَنَاكْ

مَا أَمْهَلَتْ حَتَّى نَرَا كَ كَمَا وَدِدْنَا أَنْ نَرَاكْ

مُتَقَدِّمًا بَيْنَ الرِّجَا لِ مُحَاكِيًا فِيهِمْ أَبَاكْ

غُرًّا فِعَالُكَ ، عَالِيًا مَسْعَاكَ ، مَرْجُوًّا نَدَاكْ

لَـكِنْ رَآكَ اللهُ أَجْــدَرَ بِالسَّعَادَةِ فَاصْطَفَاكْ

فَادْخُــلْ إِلى جَنَّاتِهِ وَاهْنَأْ وَيُرْحَمُ وَالِدَاكْ

رثـــاء

لخادم الله

التجرد عن ثروته وسرور شبابه للتقطع للارشاد
والخير المرحوم المبرور الراهب فلابيانوس مطران

فَهِمْتَ مَعْنَى الْعُمْرِ فَهْمَ الأَرِيبْ   وَعِشْتَ فِي دُنْيَاكَ عَيْشَ اللَّبِيبْ
جُبِلْتَ مِنْهَا ثُمَّ أَنْكَرْتَهَا   وَكُنْتَ فِيهَا آهِلًا كَالغَرِيبْ
وَكُنْتَ فِيهَا سَاعِياً كَالَّذِي   يَجُوزُ وَعْراً لِلِقَاءِ الحَبِيبْ
فَاعْتَضْتَ مِنْ وَفْرٍ بِفَقْرٍ وَمِنْ   وَادٍ خَصِيبٍ بِعَرَاءٍ جَدِيبْ
واعْتَضْتَ بِالمِسْحِ وَأَطْمَارِهِ   مِنْ كُلِّ ثَوْبٍ ذِي بَهَاءٍ قَشِيبْ
وَاعْتَضْتَ مِنْ مَلْهًى وَمِنْ لَذَّةٍ   بِمَعْبَدِ اللهِ وَمَنْفَى القُلُوبْ

* * *

فِي الدَّيْرِ تُلْفَى عَاكِفاً ضَارِعًا   مُهَجِّداً إِلْفَ الضَّنَى وَالشُّحُوبْ
وَقَدْ تُرَى بَيْنَ الْوَرَى مِثْلَمَا   يُسْعِفُ غَرْقَى البَحْرِ حُرٌّ نَجِيبْ
تَمُدُّ أَسْبَابَ الْهُدَى نَحْوَهُمْ   مَدَّ مَنَارٍ نُورَهُ لِلرَّقِيبْ
لَوْ رَابَهُمْ زُهْرُ الدَّيَاجِي فَمَا   فِي نُورِ ذَاكَ الْغَوْثِ مِنْ مُسْتَرِيبْ

* * *

فَيَا صَفِيَّ اللهِ يَهْنِيكَ أَنْ   قَدْ فُزْتَ مِنْهُ بِاللِّقَاءِ القَرِيبْ

وَسِرْتَ لَمْ تُخْلِفْ أَسًى مُظْلِماً ... كَمَا يُرَى لَيْلُ القُنُوطِ العَصِيبْ
بَلْ شَفَقاً لأْلَاؤُهُ نَاصِعٌ ... يُرَى خِلَالَ الدَّمْعِ شِبْهَ المَشُوبْ[1]
أَبَيْتَ نَوْحَ اليَأْسِ يَا شَادِياً ... عَلَّمَ شَدْوَ الأَمَلِ العَنْدَلِيبْ[2]
وَأَنْتَ يَا حَادِيَ رَكْبِ الرَّدَى ... بِنَغَمِ البِشْرِ أَبَيْتَ النَّحِيبْ[3]
فَلَا مُنَادَاةٌ وَلَا صَيْحَةٌ ... وَلَا بُكَاءٌ هَهُنَا أَوْ وَجِيبْ
هَذَا قَرَارٌ لِلْبِلَى صَامِتٌ ... صُمَّ بِهِ السَّمْعُ وَعَىَّ الخَطِيبْ
حَقِيرَةٌ فِي الأَرْضِ لَكِنَّهَا ... بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ عَالٍ رَحِيبْ
مَبِيتُ خُلْدٍ لِفَتًى صَالِحٍ ... سَمْحٍ نَقِيِّ النَّفْسِ حُرٍّ أَدِيبْ
عَاجَلَهُ البَيْنُ فَوَلَّى وَلَمْ ... يَزِنْهُ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ المَشِيبْ
عَاشَ نَهَاراً لَمْ يَكَدْ يَنْقَضِي ... صَبَاحُهُ حَتَّى تَلَاهُ الغُيُوبْ
صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ مِنْ عُمْرِهِ ... ثُمَّ عَلَى الإِثْرِ صَلَاةَ الغُرُوبْ

---

(١) المشوب : الممتزج (٢) العندليب : طائر غرد يدعى الهزار

(٣) ركب الردى : الجنازات . كان رحمه الله يقدمها منشداً فلما توفى فى غربته لم يصحبه أحد يعول عليه وينتحب

الطفلة البويرية

نظمت فى أول الحرب بين بريطانيا والبور

«أدْمَاه» فَتَاَنَةٌ لَعُوبٌ   خَفِيفَــةٌ مَا لَهَا قَرَارْ
كُلُّ مَــكَانٍ تَــكُونُ فِيهِ   يُقْلِقُــهُ وَثْبُهَا مِرَارْ
كَأَنَّهَا طَائِرٌ حَبِيسٌ   فِي قَفَصٍ يَبْتَغِي الفِرَارْ
لَطَافَةٌ فِي بَدِيعِ حُسْنٍ   وَرِقَّةٌ فِي مِزَاجِ نَارْ
صَغِيرَةٌ أَمْرُهَا كَبِيرٌ   وَهَكَذَا الشَّأْنُ فِي الصِّغَارْ
حَارَ بِهَا فِكْرُ وَالِدَيْهَا   وَالفِكْرُ فِي مِثْلِهَا يَحَارْ

***

وَلَيْــلَةٍ بَاتَهَا أَبُوهَا   مُسَهَّداً فَاقِدَ اصْطِبَارْ
رَأَتْهُ فِيهَا كَثِيرَ غَمٍّ   يَبْدُو عَلَى وَجْهِهِ اصْفِرَارْ
يَجْثُو عَلَى مَهْدِهَا وَيَبْكِي   بِأَدْمُعٍ ذُرَّفٍ حِرَارْ
وَيَنْثَنِي حَائِراً جَزُوعاً   يَمْضِي وَيَأْتِي بِلَا اخْتِيَارْ
وَأَبْصَرَتْ أُمَّهَا عَبُوساً   يَشُوبُ آمَاقَهَا احْمِرَارْ
تَجْلُو سِلَاحاً يَثُورُ مِنْهُ   آناً وَمِنْ لَحْظِهَا شَرَارْ
مَا ذَاكَ شَأْنُ الحِسَانِ لَكِنْ   فِي الشَّرِّ مَا يَدْفَعُ الخِيَارْ
مَا أَيْسَتْ بِالَّذِي أَعَدَّتْ   مِنْ عُدَدِ القَتْلِ وَالدَّمَارْ

بَلِ الاثِمُ الَّذِي دَعَاهَا   قَسْراً فَلَبَّتْ عَلَى اضْطِرَارْ

* * *

لَمْ يَشْغَلِ الخطْبُ فِكْرَ «أَدْمَا»   وَسْنَى وَلَمْ يَعْرُهَا الحِذَارْ [1]

فَهَوَّمَتْ قَلْبُهَا خَلِيٌّ   وَفِي المُحَيَّا مِنْهَا افْـتِرَارْ [2]

كَأَنَّ أَنْفَاسَهَا دُعَاءٌ   تَقُولُهُ الرُّوحُ فِي سِرَارْ

مَا ذَنْبُ هَذِي الفَتَاةِ تَغْدُو   سَبِيَّةَ الظُّلْمِ الشَّرَارْ ؟

أَمِنْ سَرِيرِ الصِّغَارِ تُلْقَى   إِلَى سَرِيرٍ مِنَ الصَّغَارْ ؟ [3]

* * *

تَنَبَّهَتْ بَاكِراً وَكَانَتْ   مِنْ قَبْلُ لَمْ تَأْلَفِ ابْتِكَارْ

مَرَّ بِهَا الهَمُّ وَهُوَ عَادٍ   يَنْتَهِبُ البَرَّ وَالبِحَارْ

كَطَائِرٍ رَاقَهُ غَـدِيرٌ   فَرَفَّهُ جَانِحاً وَطَارْ

وَاسْتَمَعَتْ فِي الغَدَاةِ قِيلاً   إِنَّ أَبَاهَا لِلْحَرْبِ سَارْ

وَإِنَّ قَوْماً جَاؤُوا لِيُفْنُوا   أُمَّتَهَا بُغْيَـةَ النُّضَارْ

لَا يَرْحَمُونَ الصِّغَارَ مِنْهُمْ   وَلَا يَرِقُّونَ لِلْـكِبَارْ

وَلَا يُرَاعُونَ حَقَّ حُرٍّ   وَلَا يَصُونُونَ عَهْدَ جَارْ

وَإِنَّ كُلَّ « البُوَيْرِ » خَفُّوا   لِيَدْفَعُوهُمْ عَنِ الدَّمَارْ

---

(١) وسنى : نائمة   (٢) هومت : غفلت   (٣) الصّغار (الثانية) : الذل

وَإِنَّ أَنْصَارَهُمْ قَلِيلٌ وَإِنَّ أَعْدَاءَهُمْ كُثَارْ

مَضَوْا وَلَا رَاحِلٌ يُرَجَّى عَوْداً لِأَهْلٍ لَهُ وَدَارْ

فَرَاعَهَا الأَمْرُ وَاسْتَقَرَّتْ حَزِينَةً ذَلِكَ النَّهَارْ

حَتَّى إِذَا مَا لِلْمَسَاءِ أَمْسَى وَانْسَدَلَ اللَّيْلُ كَالسِّتَارْ

جَثَتْ عَلَى مَهْدِهَا بِمَا لَمْ تَعْهَدْ عَلَيْهِ مِنَ الوَقَارْ

شِبْهَ مَلَاكٍ أَغَرَّ بَاكٍ عَلَيْهِ سِيمَاءُ الِانْكِسَارْ

تَدْعُو وَمَا لُقِّنَتْ وَلَكِنْ عَلَّمَهَا الحُزْنُ الِابْتِكَارْ :

« يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا مَنْ يَحْمِي ضَعِيفاً بِهِ اسْتَجَارْ

أَنْصُرْ أَبِي وَانْتَقِمْ لِقَوْمِي وَلَا تُبِحْ هَذِهِ الدِّيَارْ »

***

كَذَاكَ هُمْ كُلُّهُمْ جُنُودٌ لِصَدِّ عَادٍ أَوْ أَخْذِ ثَارْ

لَا يَفْرَقُ الْمُقْتَنِي حُسَامًا عَنِ الَّتِي تَقْتَنِي السِّوَارْ

كَبِيرُهُمْ قَائِدٌ بَنِيهِ إِلَى رَدًى أَوْ إِلَى انْتِصَارْ

وَطِفْلُهُمْ ضَارِعٌ إِلَى مَنْ إِذَا بَرِيءٌ دَعَا أَجَارْ

اشتباه الضياء

قيلت في فتاة حسن وأدب بعد ترويحة نفس على شاطىء النيل في ضوء القمر ، وكانت الفتاة قد تباعدت عن رفاقها دقيقة وهي لابسة ملبساً أبيض . فلما نظر الرفاق اليها من بعـد كانت تلوح وتخفى كالطيف لتلاعب النور في موقفها بين مصبّ النور ومنعكسه من النيل

مِزَاجٌ رَقِيقٌ وَجِسْمٌ نَحِيفْ ... وَقَلْبٌ رَفِيقٌ وَظِلٌّ خَفِيفْ

وَلَفْظٌ لَعُوبٌ وَلَحْظٌ وَثُوبٌ ... وَعَقْلٌ رَصِينٌ وَرَأْيٌ حَصِيفْ

كَذَاكِ خُلِقْتِ فَكُنْتِ كَمَا ... يَشَاءُ الصَّبِيُّ وَالضَّمِيرُ العَفِيفْ

وَلَمْ تَرْتَضِي الْحُسْنَ إِلَّا الصَّحِيـ ... ـحَ وَلَا الطَّبْعَ إِلَّا الأَنِيسَ الأَنِيفْ

وَلَيْـلَةِ بَدْرٍ صَفَا جَوُّهَا ... وَبَاحَ بِسِرِّ السُّكُونِ الحَفِيفْ[1]

وَأَلْقَتْ بِسَمْعِ ظِلَالُ الرِّيَا ... ضِ لِنَجْوَى قُلُوبٍ بِهِنَّ تُطِيفْ

وَصَبَّ عَلَى النِّيلِ شِبْهَ السُّيُو ... لِ مُنِيرُ الدُّجَى مِنْ سَنَاهُ الضَّعِيفْ

فَمَوَّجْنَـهُ ثُمَّ ضَاحَكْنَهُ ... وَجَارَيْنَهُ فِي دِعَابٍ لَطِيفْ

رَأَيْتُكِ خَلَّابَةَ لِلعُقُو ... لِ فِي مُتَجَلَّى سَنِيٍّ مُنِيفْ

مُنًى وَمَعَانٍ أَبَى الْحُسْنُ أَنْ ... تُرَى فِي مِثَالِ التُّرَابِ الكَثِيفْ

فَخَيَّلَهَا البَدْرُ رُوحًا بَدَتْ ... عَلَى البُعْدِ فِي حُلَّةٍ مِنْ شُفُوفْ[2]

---

(١) الحفيف : صوت الشجر (٢) شفوف : الثوب الرقيق

تَلُوحُ وَتَخْـفَى كَأَنَّ الأَشِعَّـــةَ آنًا مَرَاهِ وَآنًا سُجُوفْ[1]
فَيُلْـقِى شُعَاعٌ عَلَيْهَا نَصِيفاً وَيَنْزِعُ آخَرُ عَنْهَا النَّصِيفْ[2]

إهـــداء ديوان

أهدى الناظم الى فتاة عقل وحسن وأدب نسخة من ديوان الشاعر الفرنسوى ألفريد دى موسه وكتب على الصحيفة الأولى موجز ترجمة الرجل بهذه الأبيات

عَاشَ هَذَا الفَـتَى مُحِبًّا شَقِيًّا وَقَضَى نَحْبَـهُ مُحِبًّا شَقِيًّا
وَبَكَى دَمْعَ عَيْنَيْهِ فِي سُطُورٍ جَعَلَتْهُ عَلَى المَدَى مَبْكِيًّا
مُنْشِدٌ لِلْغَرَامِ لَمْ يَشْدُ إِلَّا كَانَ إِنْشَادُهُ نُوَاحاً شَجِيًّا
شَاعِرٌ كَانَ عُمْرُهُ بَيْتَ تَشْبِيـــبٍ وَكَانَ الأَنِينُ فِيهِ الرَّوِيَّا[3]
فَاقْرَئِى شَرْحَ حَالِهِ وَاعْجَبِى مِنْ ذَلِكَ القَلْبِ كَيْفَ بَاتَ خَلِيًّا[4]
إِنَّ فِي نَظْمِهِ لَحْنًا لَطِيفاً بَاقِيًا مِنْهُ فِي السُّطُورِ خَفِيًّا
فَاذْرِفِي دَمْعَةً عَلَيْهِ تُعِيدِى وَرَقَ الطِّرْسِ بِالحَيَاةِ نَدِيًّا
وَتُثِيرِى مِنْ رُوحِهِ نَسَمَاتٍ وَتُفِيحِى مِنْهَا عَبِيراً ذَكِيًّا

---

(١) مراه : جمع مرآة . سجوف : حرير (٢) النصيف : البرقع
(٣) تشبيب : غزل (٤) خليا : خال القلب من العشق

تهنئة بزفاف

الوجيه الهمام عمر سلطان بك

إلى سايلة بيت المجـــد كريمة المرحوم حسين باشا الدرمللى .
وكانت حفلة هـذا الزفاف أعظم ما رأته مصر من عهد اسماعيل

تَجْرِى عَلَى آمَالِكَ الأَقْدَارُ ... فَكَأَنَّهُنَّ مُنَاكَ وَالأَوْطَارُ

وَمَنِ اصْطَفَتْهُ عِنَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ ... تَأْتِى الأُمُورُ لَهُ كَمَا يَخْتَارُ

يَا ابْنَ الأَعَزِّينَ الأَكَارِمِ مَحْتِداً ... لَكَ مِنْ طَرِيفِكَ لِلنِّجَارِ نِجَارُ[1]

شِيَمٌ مُطَهَّرَةٌ وَعِلْمٌ رَاسِخٌ ... وَنُهًى وَجَاهٌ وَاسِعٌ وَفَخَارُ

وَمَكَارِمٌ تُحْيِى الْمَكَارِمَ فِى الْمَلَا ... كَالْبَحْرِ مِنْهُ الصَّيِّبُ الْمِدْرَارُ[2]

يَسْتَنْبِتُ الْبَلَدَ الْمَوَاتَ فَيَجْتَلِى ... حُسْنٌ يَرُوقُ وَتُجْتَنَى أَثْمَارُ

وَبِنَاءُ مَجْدٍ مَثَّلَتْهُ لِلْوَرَى ... هَذِى الْقِبَابُ الشُّمُّ وَالأَسْوَارُ

وَمَآثِرٌ سَطَعَتْ كَبَعْضِ شُعَاعِهَا ... هَذِى الشُّمُوسُ وَهَذِهِ الأَقْمَارُ

وَخَلَائِقٌ جَمُلَتْ وَلَا كَجَمَالِهَا ... هَذِى الرِّيَاضُ وَهَذِهِ الأَزْهَارُ

لِلّهِ يَوْمُ زِفَافِكَ الأَسْنَى فَقَدْ ... حَسَدَتْ عَلَيْهِ عَصْرَكَ الأَعْصَارُ

أَشْهَدْتَ فِيهِ «مِصْرَ» آيَةَ بَهْجَةٍ ... أَبَداً يُرَدِّدُ ذِكْرَهَا السُّمَّارُ

مِنْ عَهْدِ «إِسْمَاعِيلَ» لَمْ تَرَ مِثْلَهَا ... «مِصْرٌ» وَلَمْ تَسْمَعْ بِهَا الأَمْصَارُ

(١) النجار : الأصل (٢) الصيب : السحاب

جُمِعَتْ بِهَا التُّحَفُ الجِيَادُ قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا وَالعَهْدُ وَالتَّذْكَارُ
وَتَنَافَسَ الشَّرَفَانِ حَيْثُ تَجَاوَرَتْ فِيهَا عُيُونُ العَصْرِ وَالآثَارُ
وَاسْتُكْمِلَتْ فِيهَا الطَّرَائِفُ كُلُّهَا فَكَأَنَّهَا الدُّنْيَا حَوَتْهَا دَارُ
يَهْنِيكَ يَا عُمَرُ ابْنَ سُلْطَانِ النَّدَى لَيْلٌ غَدَا بِالصَّفْوِ وَهْوَ نَهَارُ
زُفَّتْ بِهِ لَكَ مِنْ سَمَاءِ عَفَافِهَا شَمْسٌ تُنَكَّسُ دُونَهَا الأَبْصَارُ
مِنْ بَيْتِ مَجْدٍ فَارَقَتْهُ فَضَمَّهَا بَيْتٌ كَفِيلَةٌ مَجْدِهِ الأَدْهَارُ

رسالة مفاكهة

أرسلت الى الصديق العزيز أسعد نقولا وكان قد ذهب مع أسرته الكريمة للاصطياف فى لبنان

إِلَى صَدِيقِيَ العَزِيزِ الحَاضِرِ فِي قَلْبِيَ، الغَائِبِ عَنْ نَوَاظِرِي
أَلسَّارِحِ المَارِحِ فِي «لُبْنَانِ» بَيْنَ رِيَاضِ الأُنْسِ وَالجِنَانِ
أَلشَّارِبِ المَاءَ القَرَاحَ الصَّافِي أَلنَّاشِقِ النَّسَائِمَ الشَّوَافِي
أَلآكِلِ الفَوَاكِهَ الأَطَايِبِ أَلحَاضِرِ اللَّذَّاتِ وَالمَلاعِبِ
حَقُّكَ أَنْ تَنْسَى الأُولَى فِي «مِصْرِ» يَبْتَرِدُونَ بِلَهِيبِ الحَرِّ
وَيَنْشَقُونَ نَسَمَ الزُّكَامِ وَيَشْرَبُونَ مُثْلَجَ الضِّرَامِ

وَيَأْكُلُونَ مِنْ جَلِيبِ الفَاكِهَهْ كُلُّ عَجُوزٍ مُبْتَلَاةٍ تَافِهَهْ

وَيَأْنَسُونَ اللَّيْلَ بِالبَعُوضِ ، لَا عَاشَ مِنْ مُؤَانِسٍ بَغِيضِ

وَمَا لَهُمْ سَلْوَى سِوَى تَذْكَارِ مُنَعَّمٍ نَسِيَهُمْ فِي النَّارِ

* * *

لَكِنَّنَا بِمَا نُعَانِي مِنْ نَصَبْ وَمَا نُقَاسِي مِنْ سُهَادٍ وَوَصَبْ

نَرْجُو لَكَ النَّعِيمَ وَالصَّفَاءْ وَحَسْبُنَا مِنْ دَهْرِنَا هَنَاءْ

وَغَايَةُ المَأْمُولِ وَالمُلْتَمَسِ مِنْكَ السَّمَاحُ بِكِتَابٍ كَيِّسِ

يُنْبِئُنَا عَنْكَ وَعَنْ « مُورِيسِ » مَا نَشْتَهِي مِنْ نَبَإٍ نَفِيسِ[1]

«مُورِيسُ» ذَلِكَ الحَبِيبُ المُفْتَدَى ذَاكَ الهِلَالُ المُسْتَتِمُّ لِلنَّدَى

ذَاكَ الفَتَى المَحْضُونُ لِلسَّعَادَهْ أَلْمُرْتَجَى لِلمَجْدِ وَالسِّيَادَهْ

أَلمَلَكُ المُصَوَّرُ الإِنْسِيُّ أَلبَشَرُ المُكَمَّلُ السَّوِيُّ

أَلذَهَبِيُّ الشَّعَرِ المَعْقُودِ كَأَنَّ لِثْمَهُ جَنَى العُنْقُودِ

أَلمُزْهِرُ الخَدَّيْنِ يُحْسَبَانِ مِنَ البَهَاءِ شَطْرَتَيْ رُمَّانِ

أَلمُشْرِقُ الجَبِينِ فَوْقَ حَدَقِ مِثْلَ النُّجُومِ بِالسَّنَى وَالقَلَقِ

أَلآكِلُ الشَّارِبُ مِنْ غَيْرِ مَلَلْ أَلضَّاحِكُ اللَّاهِي وَلَوْ دَالَتْ دُوَلْ

أَلمُدْرِكُ الدُّنْيَا كَمَا تَكُونُ وَخَيْرُهَا اللَّعِبُ وَالجُنُونُ

* * *

---

(١) موريس : نجل المكتوب اليه

وَأَنْتَ أَيْضاً مُخْبِرِي عَنْ «شَرْلِ» غَرْسِ الْعَلَاءِ وَرَجَاءِ النُّبْلِ[1]
أَرَاهُ يَنْمُو زَاكِياً مُبَشِّرَا بِأَنْ يَكُونَ كَأَخِيهِ مَخْبَرَا
لَكِنَّهُ مِنْ دُونِهِ جَمَالَا كَمَا يُرِيدُ الفِكْرُ أَنْ أَخَالَا
هَلْ بَدَأَ الْخُطْبَةَ فِي دُنْيَاهُ يَقُولُ : يَا بَابَا ، وَيَا أُمَّاهُ ؟
أَمْ لَمْ يَزَلْ فِي صَمْتِهِ الْقَدِيمِ صَمْتَ الأَرِيبِ العَاقِلِ الحَكِيمِ ؟
وَهَلْ تُرَى يَخْرِقُ حُرْمَةَ الأَدَبْ رَشًّا عَلَى أَبِيهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبْ ؟
وَهَلْ يَمُدُّ يَدَهُ لِلشَّارِبِ وَيَنْتِفُ الشَّعْرَ بِلَا مُحَاسِبِ؟
وَهَلْ يُغَنِّي أَغَّهُ فَكُلَّمَا أَنْشَدَ عَلَّمَ الطُّيُورَ النَّغَمَا ؟
وَجَمَعَ الأَمْلَاكَ حَوْلَ الْمَهْدِ يُسْمِعُهَا شَدْوَ الْمُنَى وَالسَّعْدِ ؟

***

وَقُلْ لَنَا مَا شِئْتَهُ وَأَطِلِ عَنْ رَبَّةِ الخِدْرِ الْمَصُونِ «إِمِلِي»
عَنْ خَيْرِ زَوْجٍ ذَاتِ قَلْبٍ صَالِحِ وَخَيْرِ أُمٍّ ذَاتِ عَقْلٍ رَاجِحِ

***

وَاقْرَأْ سَلَامِي لِأَخِي «بَاسِيلِ» وَاشْفَعْهُ بَعْدَ الإِذْنِ بِالتَّقْبِيلِ
وَقُلْ لَهُ : أَوْحَشْتَنَا كَثِيرَا وَأَوْحَشَ الأَرْبُعَ وَ«القُصُورَا»
فَلْيَشْرَبِ الصِّحَّةَ شُرْبَ الْمَاءِ وَلْيَنْشَقِ السُّرُورَ فِي الْهَوَاءِ
وَلْيَأْتِنَا بِسَلِّ مَاءٍ سَلْسَلِ وَ«طَرْدِ خَيْشٍ» مِنْ هَوَاءٍ مُمْتَلِي

***

(١) شرل : اسم النجل الثانى

وَهَهُنَا جَمِيعُنَا دَاعُونَا بِعَوْدِكُمْ حَالّاً لَنَا آمِينَا
وَمِنِّيَ التَّسْلِيمُ وَالتَّقْبِيلُ يَا مَنْ فِدَاهُ : خِلُّهُ «خَلِيلُ»

***

الحاوي

هَذَا كِتَابِي لَيْسَ نَثْراً مُرْسَلَا وَلَيْسَ شِعْراً ، فَهْوَ شَيْءٌ لَا وَلَا
سَطَّرْتُهُ كَقَوْلِهِمْ عَلَى عَجَلْ فَلَا تُؤَاخِذْنِي عَلَى هَذَا الخَلَلْ

حرب غير عادلة

ولا متعادلة

بين أمة كبيرة وأمة صغيرة

— ١ —

فِيمَ اخْتِبَاسُكَ لِلْقَلَمْ وَالأَرْضُ قَدْ خُضِبَتْ بِدَمْ؟
سَدِّدْ قَوِيمَ سِنَانِهِ فِي صَدْرِ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ
نَبِّهْ بِهِ أُمَمَ الزَّوَا لِ فَعَلَّهُ يُحْيِي الرِّمَمْ
أَلْيَوْمُ يَوْمُ القِسْطِ قَدْ قَامَ الأُولَى ظُلِمُوا فَقُمْ
بَيْنَ الَّذِينَ يُقَاتِلُو نَ وَبَيْنَنَا قُرْبَى النِّقَمْ

مَنْ يَسْتَبِحْهُ عَدُوُّنَا فَلَهُ بِنَا صِلَةُ الرَّحِمْ
لَا أَمْنَ لِلْبَلَدِ الأَمِيـــنِ وَفِي غَدٍ قَدْ يُهْتَضَمْ

***

قُلْ يَا فَتَى الشُّعَرَاءِ قُلْ : لَبَّتْكَ أُمْ عَصَتِ الهِمَمْ
أُدْعُ الْمَخَامِيرَ الشَّبَا عَ إِلَى الحَفِيظَةِ وَالنَّدَمْ
كُلٌّ يَقُومُ بِمَا عَلَيْـــهِ وَمَنْ تَثَاقَلَ فَلْيَنَمْ
نِمْنَا عَلَى جَهْلٍ وَقَدْ عَاشَ الكِرَامُ وَنَحْنُ لَمْ
فَإِذَا انْقَضَتْ آجَالُنَا فَمِنَ الرُّقَادِ إِلَى العَدَمْ
وَإِذَا بُعِثْنَا بَعْدَهَا فَكَأَنَّهَا رُؤْيَا حُلُمْ

— ٢ —

لِمَنِ الخِيَامُ ؟ فَمَا عَلَى جَبَلٍ لِنَسْرٍ مُعْتَصَمْ
شَرُفَتْ عَلَيْهَا خَيْمَةٌ وَتَفَرَّدَتْ بَيْنَ الخِيَمْ
بَادٍ بِهَا عَلَمٌ عَلَى عَلَمٍ أَقَامَ بِهِ عَلَمْ (١)
شَيْخٌ مِنَ الصَّوَّانِ مَنْ يَمْسَسْهُ يَقْتَدِحِ الضَّرَمْ
مُتَعَوِّدٌ قَهْرَ العِدَى كَالنُّورِ فِي كَشْفِ الظُّلَمْ
لَانَتْ عَرِيكَتُهُ لِطُو لِ مِرَاسِهِ وَقَسَا الأَدَمْ (٢)

(١) علم : راية . علم (الثانية) : جبل . علم (الثالثة) : رجل عظيم
(٢) الأدم : ظاهر الجسم

تَتَثَلَّمُ الآفَاتُ مِنْــهُ بِصَارِمٍ لَا يَنْثَلِمْ
وَيَرِقُّ مَشْحُوذاً بِهَا فَإِذَا أصَابَ فَقَدْ قَصَمْ
بِمُبَارَكٍ فِي مَعْشَرٍ كَالجَيْشِ مِنْ نَسْلٍ كَرَمْ
جَيْشٌ وَلَـكِنْ لِلمُرُوءَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالشَّمَمْ
مَقْسُومَةٌ أخْلَاقُهُ فِيهِمْ ، وَنِعْمَ المُقْتَسَمْ

* * *

هَذَا الرَّئِيسُ وَمِثْلُهُ فِي النَّاسِ يَعْظُمُ مَنْ عَظُمْ
وَمِنَ المُـلُوكِ أعِزَّةٌ لَا يَصْلُحُونَ لَهُ حَشَمْ
لَمْ يَكْبُرُوا بِسِوَى الغِنَى وَالـكِبْرِيَاءِ عَنِ الخَدَمْ
قَدْ قَامَ يَرْتَقِبُ العِدَى كَـالزَّادِ يَرْقُبُهُ النَّهِمْ
وَتَحُفُّ أُمَّتُهُ بِهِ كَصِغَارِ لَيْثٍ فِي الأُجُمْ [(1)]
هِيَ أُمَّةٌ مُسْتَحْدَثٌ تَارِيخُهَا بَيْنَ الأُمَمْ
مَا شَيَّدُوا مِنْ هَيْكَلٍ ضَخْمٍ وَلَا رَفَعُوا هَرَمْ
قَلُّوا وَلَـكِنْ أدْرَكُوا بِالبَأْسِ شَأْواً لَمْ يُرَمْ
ذَادُوا عَنِ اسْتِقْلَالِهِمْ وَدِيَارِهِمْ ذَوْدَ البُهَمْ [(2)]
أرْزَاقُهُمْ حِـلٌّ لِطَا لِبِهَا وَمَوْطِنُهُمْ حَرَمْ
شُمٌّ رَوَاسِيهِمْ وَأَنْــفُسُهُمْ وَمَعْطَسُهُمْ أشَمّْ

* * *

(١) الأجم : مأوى الأسد (٢) البهم : الأبطال

يَا يَوْمَ غَارَةِ ذِى الغُرُو رِ وَقَدْ دَهَاهُمْ مِنْ أَمَمْ.[1]

ذِئْبٌ تَوَهَّمَهُمْ نِيَاً مَا فِي الحَظِيرَةِ كَالنَّعَمْ

وَإِذَا بِهِ فِي أَسْرِهِمْ شَاةٌ وَشِيمَتُهُ غَنَمْ

لِصٌّ تَوَهَّمَ مَغْنَماً وَإِذَا العُقُوبَةُ مَا غَنِمْ

صَادُوا المُسِيءَ وَرَهْطَهُ صَيْدَ البَوَاسِقِ وَالرَّخَمْ

وَجَزَوْهُ بِالذُّلِّ العَظِيـــمِ ، كَذَاكَ يُجْزَى مَنْ لَؤُمْ

ثُمَّ ارْتَأَوْا أَنْ يَقْتُلُو هُ بِصَفْحِهِمْ عَمَّا اجْتَرَمْ

نِعْمَ المُرُوءَةُ لَوْ جَنَتْ غَيْرَ الإِسَاءَةِ وَالنَّدَمْ

— ٣ —

مَنْ هَذِهِ الزَّلَّاءُ قَدْ أَخْنَى بِهَا طُولُ العَقَمْ؟

فِي السُّحْبِ هَامَتُهَا وَمَوْ طِئُ رِجْلِهَا فَوْقَ العَلَمْ

بَرَزَتْ لَهُمْ مِنْ خِدْرِهَا مَهْتُوكَةً لَمْ تَلْتَثِمْ

عِزْرِيلُ أَوْلَدَهَا وَمِنْ سُفَّاحِهَا القَوْمُ الغُشُمْ

تَرْنُو لِمَنْ غَشِيَ الوَغَى وَلَهَا بِأَكْلِهِمْ وَحَمْ[2]

تُورِى نَوَاظِرُهَا اللَّظَى وَتَسِيلُ مِنْ فَمِهَا الحُمَمْ

وَلَهَا ذَوَائِبُ مُرْسَلَا تٌ لِلْكَرَائِهِ وَالزِّيَمْ.[3]

(١) ذى الغرور : كناية عن اسم مرتكب الغارة (٢) الوغى : غبار الحرب

(٣) الزيم : الغارات

شِبْهُ الْعَثَانِينِ الْجَوَا رِفِ فِي الْعَصِيبِ الْمُدْلَهِمْ:[1]
أَنَّى تَمُرُّ فَنَابِعٌ يَصْدَى وَرَاسٍ يَنْهَدِمْ.[2]
بِئْسَتْ رَسُولُ الشَّرِّ تِلْـــكَ وَبِئْسَ وَالِدَةُ الْغُمَمْ.[3]
تِلْكُمْ هِيَ الْحَرْبُ الزَّبُو نُ، وَذَلِكُمْ هَتْكُ الْحُرَمْ

— ٤ —

وَيْلَ الْقَوِيِّ الْيَوْمَ مِنْ ذَاكَ الضَّعِيفِ وَقَدْ هَجَمْ
أَتَرَى نُكُوصَ الْمُعْتَدِي مَلَأَ الْفَلَا عِمّاً ضَخَمْ ؟
مُتَقَهْقِراً وَهُوَ الَّذِي فِي بَأْسِهِ لَا يُتَّهَمْ ؟
وَوُثُوبَ أَبْنَاءِ الدِّيَا رِ بِهِ إِلَى حَيْثُ انْهَزَمْ ؟
كَالطَّيْرِ إِسْفَافاً وَكَالْـــحَيَّاتِ زَحْفاً فِي الْأَكَمْ
كَالذِّئْبِ لَمْحاً فِي الدُّجَى كَالْحُوتِ خَوْضاً فِي الْعَرِمْ
يَمْشِي الْجَيْشُ كَوَاحِدٍ فِي السَّيْرِ نَحْوَ الْمُلْتَحَمْ
بَأْسٌ بِلَا يَأْسٍ وَحَزْ مٌ فِي الزِّيَالِ بِلَا لَمَمْ[4]
لَا خَوْفَ تَهْلُكَةٍ وَلَا عَنْ ضَعْفِ نَفْسٍ أَوْ سَأَمْ
لَـكِنْ لِعِزَّةِ مَنْ يَكُو نُ بَدِيلَ أَيِّهِمُ ارْتَطَمْ[5]

---

(١) العثانين : جمع عثنون وهو ما يتدلى من السحاب شبه الخرطوم يغيّر كل ما يمر به ـ العصيب : اليوم الشديد (٢) يصدى : يعطش أى ينضب . راس : راسخ متين
(٣) الغمم : جمع غمة وهى الكربة (٤) لمم : جنون (٥) ارتطم : هلك

وَلْيَثْبُتُوا وَيُجَدِّدُوا نَجَدَاتِهِمْ مِنْهُمْ بُهَمْ[1]

* * *

هَذَا لِقَاءٌ بُوغِتُوا فِيهِ بِنَارٍ تَحْتَدِمْ
أُنْظُرْ إِلَى هَطْلِ الْجِمَا رِ كَأَنَّهُ وَكْفُ الدِّيَمْ[2]
وَإِلَى الْقَنَابِلِ تَشْتَقِي مُهَجَ الْجُيُوشِ وَتَلْتَهِمْ
عَمْيَاءُ تُبْصِرُ فِي الْوَغَى سُبُلَ الْعَدُوِّ فَتَخْتَرِمْ
مَضْمُومَةُ الْفَكَّيْنِ حَتَّى تَلْتَقِي مَا تَلْتَقِمْ
تَنْقَضُّ وَهْيَ عَوَابِسٌ حَتَّى تُمِيتَ فَتَبْتَسِمْ
أُنْظُرْ جُمُوعَ نِسَائِهِمْ مِيساً كَبَانَاتِ الْعَلَمْ
غِيدٌ يُغَازِلُهَا الرَّصَا صُ وَهَلْ لَهُ أَنْ يَحْتَشِمْ؟
أُنْظُرْ إِلَى الأَطْفَالِ تَحْـ ـذِفُ وَهْيَ تَلْعَبُ بِالرُّجُمْ
وَإِلَى الشُّيُوخِ تَخَضَّبَتْ بِدِمَائِهَا مِنْهَا اللِّمَمْ
أُنْظُرْ إِلَى صَرْعَاهُمُ كُلٌّ كَصَرْحٍ مُنْهَدِمْ
أُنْظُرْ إِلَى فُرْسَانِهِمْ ثَارُوا كَأَرْيَاحٍ هُجُمْ
وَإِلَى الْمُشَاةِ كَأَنَّهُمْ سُورٌ يَسِيرُ عَلَى قَدَمْ
وَالذَّاهِبِـ ـينَ الآيِبِـ ـينَ بِمَا بَدَا وَبِمَا رُسِمْ
وَالقَائِمِـ ـينَ الجَاثِمِـ ـينَ وَمَنْ يَكُرُّ وَمَنْ يَهِمْ

(١) البهم : جمع بهمة وهو الشجاع الذى يستبهم مأتاه على أقرانه (٢) الديم : رش السحب

وَالهــابِطِينَ إِلى الثَّرَى وَالصَّاعِدِينَ إِلَى القِمَمْ

***

وَاسْمَعْ صَهِيــلَ خُيُولِهِمْ مُتَحَفِّزَاتٍ لِلقُحَمْ

وَزَمَاجِرَ الخُرْسِ الضَّوَا رِى مِنْ مُعِدَّاتِ الأُزُمْ[1]

وَالرَّاعِدَاتِ كَأَنَّهَا صَعَقَاتُ مُوسَى فِي القِدَمْ

وَزَئِيرَ آسَادِ الحَدِيــدِ وَزَجْرَ فِتْيَتِهَا الهُضُمْ

وَاسْمَعْ صَدَى الأَطْوَادِ تُو شِكُ أَنْ تُصَدَّعَ أَوْ تُصِمْ

وَاسْمَعْ أَنِينَ الأَرْضِ وَا جِفَةً أَسًى مِمَّا تَجِمْ[2]

***

غَلَبَ القَلِيلُ عَلَى الكَثِيــرِ وَعَفَّ عَنْهُ فَمَا انْتَقَمْ

لَكِنَّهُ مَهْمَا يَفُــزْ بَدْءاً يَسُؤْهُ المُخْتَتَمْ

طُفْ فِي قُرَاهُ فَمَا تَرَى مِنْ يَأْسِ كُلِّ أَبٍ وَأُمْ

وَمِنَ الجِيَاعِ المَاثِلِيــنَ عَلَى الوُجُوهِ مِنَ الأَلَمْ

وَمِنَ الحَبَالَى المُجْهَضَا تِ مِنَ التَّضَوُّرِ وَالسَّقَمْ

وَمِنَ اليَتَامَى فِي اللُّهُو دِ عَلَى المَجَاعَةِ تَنْفَطِمْ

وَمِنَ الكَوَارِثِ بَيْنَهُمْ تَسْتَنُّ كَالوَبْلِ الرَّذِمْ[3]

وَطُفِ المَنَاجِمَ ، كَمْ أَسًى مِنْهَا وَكَمْ خَطْبٍ نَجَمْ ؟

---

(١) الأزم : الأزمات (٢) تجم : تتألم (٣) الرذم : المطر المتزير

مَغْفُورَةٌ ، الأَفْوَاهِ طَا وِيَةُ الحَشَى بَعْدَ البَشَمْ.[1]
يَا لَيْتَهَا غُفُلٌ ، فَكَمْ نِعَمٍ تَلَتْ تِلْكَ النِّعَمْ؟

***

سُخْطاً عَلَى الظُّلَّامِ أَقْــــدَرَ مَا نَكُونُ عَلَى الكَلِمْ
وَلْنَبْكِ مَنْ مَاتُوا وَمَا مِنْهُمْ جَبَانٌ مُنْهَزِمْ
وَلْنَرْثِ لِلضُّعَفَاءِ يُفْــــنِيهِمْ قَوِيٌّ مُغْتَشِمْ.[2]
خَطْبٌ رَآهُ المُنصِفُو نَ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ صَنَمْ
رَأَوُا الذِّئَابَ فَحَاوَلُوا أَنْ يَدْرَأُوهَا بِالحِكَمْ
أَيْنَ القُضَاةُ إِلَيْهِ أَرْ بَابُ المَمَالِكِ تَخْتَصِمْ ؟
أَيْنَ الحَقِيقَةُ ؟ أَيْنَ إِنْــــصَافُ البَرِيءِ إِذَا ظُلِمْ؟
مَنْ لِلضَّعِيفِ إِذَا شَكَا؟ وَعَلَى القَوِيِّ إِذَا أَثِمْ ؟
يَا مَنْ يُدَاجُونَ ارْجِعُوا قَدْ خَابَ مَنْ بِكُمُ اعْتَصَمْ
لَا تَشْغَلُوا أَذْهَانَكُمْ بِحُقُوقِ شَعْبٍ تُهْتَضَمْ
حَلَفُوا إِذَا لَمْ يَظْفَرُوا لَا عَاشَ مِنْهُمْ مَنْ سَلِمْ
فَدَعُوهُمُ يَحْيَوْنَ أَوْ يَفْنَوْنَ بَرًّا بِالقَسَمْ
وَخُذُوا الضَّمِيرَ فَكَفِّنُو هُ بِالكَرِيمِ مِنَ الشِّيَمْ
وَاسْتَوْدِعُوهُ تُرَابَهُ مَيْتاً وَقُولُوا : لَا رُحِمْ

(1) البشم : الشبع الزائد (2) مغتشم : ظالم

فتاة الجبل الاسود

فى حادثة جرت قبيل استقلال ذلك الجبل

طَغَتْ أُمَّةُ الجَبَلِ الأَسْوَدِ ... عَلَى حُكْمِ فَاتِحِهَا الأَيِّدِ (١)

وَهَبَّتْ مُنِيخَاتُ أَطْوَادِهَا ... نَوَاشِزَ كَالإِبِلِ الشُّرَّدِ (٢)

وَأَبْلَى النِّسَاءُ بَلَاءَ الرِّجَا ... لِ لَدَى كُلِّ مُعْتَرَكٍ أَرْبَدِ (٣)

نِسَاءٌ لِدَانُ القُدُودِ لَهَا ... خُدُودٌ كَزَهْرِ الرِّيَاضِ النَّدِى

تَنَظَّمَ مِنْ حُسْنِهَا جَنَّةٌ ... عَلَى ذَلِكَ الجَبَلِ الأَجْرَدِ

* * *

وَيَوْمٍ كَأَنَّ شُعَاعَ الصَّبَا ... حِ كَسَاهُ مَطَارِفَ مِنْ عَسْجَدِ (٤)

تَفَرَّقَتِ التُّرْكُ فِيهِ عَصَا ... ئِبَ كُلُّ فَرِيقٍ عَلَى مَرْصَدِ

يَسُدُّونَ كُلَّ شِعَابِ الجِبَا ... لِ عَلَى النَّازِلِينَ أَوِ الصُّعَّدِ

أُسُودٌ تُرَاقِبُ أَمْثَالَهَا ... وَلَا يَلْتَقُونَ عَلَى مَوْعِدِ

وَكَانَ عِدَاهُمْ عَلَى بُؤْسِهِمْ ... وَطُولِ جِهَادِهِمُ المُجْهِدِ

يُوَافُونَهُمْ بَغَتَاتِ اللُّصُو ... صِ وَيَرْمُونَ بِالنَّارِ وَالجَلْمَدِ (٥)

وَيَفْتَرِقُونَ تُجَاهَ الصُّفُو ... فِ وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى المُفْرَدِ

---

(١) الأيد : القدير (٢) أطوادها : جبالها . نواشز : ذاهبة كل مذهب
(٣) أربد : أغبر (٤) عسجد : ذهب (٥) الجلمد : الصخر

وَيَمْتَنِعُونَ بِكُلِّ خَفِيٍّ عَصِيٍّ عَلَى أَمْهَرِ الرُّوَّدِ
وَأَيٌّ رَأَى شَارِداً يَقْتَنِصُـــهُ وَأَيٌّ رَأَى وَارِداً يَصْطَدِ
وَيَلْتَقِمُونَ جَنَاحَ الْخَمِيـــسِ إِذَا الْعَوْنُ أَعْيَى عَلَى الْمُنْجِدِ [1]
مَنَامُهُمُ جَاثِمِينَ وُقُو فاً وَلَا يَهْجَعُونَ عَلَى مَرْقَدِ
وَمَا مِنْهُمُ لِلْعِدَى مُرْشِدٌ سِوَى غَادِرٍ سَاءَ مِنْ مُرْشِدِ
إِذَا لَمْ يَقُدْهُمْ إِلَى مَهْلِكٍ أَضَلَّ بِحِيلَتِهِ الْمُهْتَـدِى
وَيَعْتَسِفُ التُّرْكُ فِي كُلِّ صَوْ بِ فَهَذَا يَرُوحُ وَذَا يَغْتَدِى

***

وَمَا التُّرْكُ إِلَّا شُيُوخُ الْحُرُو بِ وَمُرْتَضِعُوهَا مِنَ الْمَوْلِدِ
إِذَا أَلْقَحُوهَا الْعُقَّاءَ فَلَا نِتَاجَ سِوَى الْفَخْرِ وَالسُّؤْدُدِ
سَوَاءٌ عَلَى الْمَجْدِ أَيًّا تَكُنْ عَوَاقِبُ إِقْدَامِهِمْ تُمْجَدِ
وَلَكِنَّ قَوْمًا يَذُودُونَ عَنْ حَقِيقَتِهِمْ مِنْ يَدِ الْمُعْتَدِى [2]
وَتَعْصِمُهُمْ شَاهِقَاتُ الْجِبَا لِ وَكُلُّ مَضِيقٍ بِهَا مُوصَدِ [3]
وَيَدْفَعُهُمْ حُبُّ أَوْطَانِهِمْ وَيَجْمَعُهُمْ شَرَفُ الْمَقْصِدِ
لَوِ الْمَوْتُ مَدَّ إِلَيْهِمْ يَداً لَرَدُّوهُ عَنْهُمْ كَلِيلَ الْيَـدِ

***

وَكَانَ مِنَ التُّرْكِ جَمْعُ الْقَلِيـــلِ عَلَى رَأْسِ مُنْحَدَرٍ أَصْلَدِ

(١) الخميس : الجيش (٢) حقيقتهم : وطنهم (٣) موصد : مغلق

كَثِيرِ الثُّلُومِ كَأَنَّ الفَتَى ... إِذَا زَلَّ يَهْوِي عَلَى مِبْرَدِ
وَقَدْ نَصَبُوا فَوْقَهُ مِدْفَعاً ... يَهُزُّ الرَّوَاسِخَ إِنْ يَرْعَدِ
وَحَفُّوا كَأَشْبَالِ لَيْثٍ بِهِ ... وَهُمْ فِي دِعَابٍ وَهُمْ فِي دَدِ
فَفَاجَأَهُمْ هَابِطٌ كَالقَضَا ... ءِ فِي شَكْلِ غَضٍّ الصِّبَى أَمْرَدِ
فَتًى كَالصَّبَاحِ بِإِشْرَاقِهِ ... لَهُ لَفْتَةُ الرَّشَإِ الأَغْيَدِ
يَدُلُّ سَنَاهُ وَسِيمَاؤُهُ ... عَلَى شَرَفِ الجَاهِ وَالمَحْتِدِ
تَرُدُّ سَوَاطِعُ أَنْوَارِهِ ... سَلِيمَ النَّوَاظِرِ كَالأَرْمَدِ
أَقَبُّ التَّرَائِبِ غَضُّ الرَّوَا ... دِفِ يَخْتَالُ عَنْ غُصُنٍ أَمْيَدِ [1]
لَهِيبُ الحُرُوبِ عَلَى وَجْنَتَيْـ ... ـهِ وَالنَّقْعُ فِي شَعْرِهِ الأَسْوَدِ [2]
وَفِي مَحْجَرَيْهِ بَرِيقُ السُّيُو ... فِ وَظِلُّ المَنِيَّةِ فِي الأَثْمُدِ
فَأَكْبَرَ كُلُّهُمُ أَنَّهُ ... رَآهُ تَجَلَّى وَلَمْ يَسْجُدِ
وَظَنُّوهُ مُسْتَنْفَراً هَارِباً ... أَتَاهُمْ بِذِلَّةِ مُسْتَنْجِدِ
وَلَمْ يَحْسَبُوا أَنَّ ذَا جُرْأَةٍ ... يُهَاجِمُ جَمْعاً بِلَا مُسْعِدِ
تَبَيَّنَ هُلْكاً فَلَمْ يَخْشَهُ ... وَأَقْدَمَ إِقْدَامَ مُسْتَأْسِدِ
فَأَفْرَغَ نَارَ سُدَاسِيِّهِ ... عَلَى القَوْمِ أَيّاً تُصِبْ تَقْصِدِ [3]
وَضَارَبَ بِالسَّيْفِ يُمْنَى وَيُسْـ ... ـرَى فَأَيْنَ يُصِبْ مَغْمَداً يُغْمِدِ
سَقَى الصَّخْرَ مِنْ دَمِهِمْ فَارْتَوَى ... وَلَمْ يَشْفِ مِنْهُ الفُؤَادَ الصَّدِي [4]

(١) الترائب : متقدم الصدر (٢) النقع : دخان الحرب (٣) تقصد : تقتل
(٤) الصدى : الظمآن

فَمَا لَبِثُوا أَنْ أَحَاطُوا بِهِ فَدَانَ لِكَثْرَتِهِمْ عَنْ يَدِ
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ الْخِيَانَةِ فِيهِ لَكَانَ الأَلَدُّ لَهُ يَفْتَدِي
فَلَمَّا احْتَوَاهُ مَقَرُّ الأَمِيرِ مَقُوداً وَمَا هُوَ بِالْقَيِّدِ
أَشَارَ، وَمَا كَادَ يَرْنُو إِلَيْهِ، بِأَنْ يَقْتُلُوهُ غَدَاةَ الْغَدِ[1]
فَأَقْصَى الْفَتَى عَنْهُ حُرَّاسَهُ وَشَقَّ عَنِ الصَّدْرِ مَا يَرْتَدِي
وَأَبْرَزَ نَهْدَيْ فَتَاةٍ كَعَا بٍ بِطَرْفٍ حَيِيٍّ وَوَجْهٍ نَدِي
كَحُقَّيْ لُجَيْنٍ بِقُفْلَيْ عَقِيـ ـقٍ وَكَنْزَيْنِ فِي رَصَدٍ مُرْصَدِ
فَكَبَّرَ مِمَّا رَآهُ الأَمِيرُ وَهَلَّلَ أَشْهَادُ ذَاكَ النَّدِي
وَرَاعَهُمُ ذَانِكَ التَّوْأَمَا نِ وَطَوَّقَاهُمَا مِنْ دَمِ الأَكْبُدِ
وَوَثْبُهُمَا عِنْدَمَا أُطْلِقَا بِعَزْمٍ إِلَى ظَاهِرِ الْمَجْسَدِ[2]
كَوَثْبِ صِغَارِ الْمَهَا الظَّامِئَا تِ نَفَرْنَ خِفَافاً إِلَى مَوْرِدِ

* * *

وَأَرْخَتْ ضَفَائِرَهَا فَارْتَمَتْ إِلَى مَنْكِبَيْهَا مِنَ الْمَعْقِدِ
تُحِيطُ دُجَاهَا بِشَمْسٍ عَرَا هَا سَقَامٌ فَحَالَتْ إِلَى فَرْقَدِ
وَقَالَتْ: أَمُهْجَةُ أُنْثَى تَفِي بِثَارَاتِ صَرْعَاكُمُ الْهُمَّدِ؟
تَفَانَوْا فَمَا خَاسَ فِي وَقْعَةٍ فَتًى مِنْ مَسُودٍ وَلَا سَيِّدِ
يَرَى الْعِزَّ فِي نَصْرِ سُلْطَانِهِ وَإِلَّا فَفِي مَوْتِ مُسْتَشْهِدِ

---
(١) غداة: صباح (٢) المجسد: سترة الصدر

وَمِنْ خُلُقِ التُّرْكِ أَنْ يُورِدُوا سُيُوفَهُمُ مُهَجَ الْخُرَّدِ[1]
فَدُونَكُمُ قِتْلَةً حُلِّلَتْ تَدِي مِنْ دِمَائِكُمُ مَا تَدِي[2]

***

فَأَصْغَى الأَمِيرُ إِلَى قَوْلِهَا وَلَمْ يُسْتَفَزَّ وَلَمْ يَحْقِدِ
وَأَعْظَمَ نَفْسَ الفَتَاةِ وَبَأْ سَأَ بِهَا فِي الصَّنَادِيدِ لَمْ يَعْهَدِ
وَحُسْنًا بِمُشْرِكَةٍ دَاعِيًا إِلَى الشِّرْكِ مَنْ يَرَهُ يَعْبُدِ
أَبَى عِزَّةً قَتْلَ أُنْثَى تَذُو دُ ذِيَادَ الْمُدَافِعِ لَا الْمُعْتَدِي
فَقَالَ : انْقُلُوهَا إِلَى مَأْمَنٍ وَأَوْصُوا بِهَا نُطُسَ العُوَّدِ
لِتَعْلَمَ أَنَّا بِأَخْلَاقِنَا نُنَزَّهُ عَنْ تُهَمِ الْحُسَّدِ
فَإِذْ أُخْرِجَتْ قَالَ لِلْمَاكِثِيـ ـنَ وَهُمْ فِي ذُهُولِهِمُ الْمُجْمَدِ :
لَهَا اللهُ فِي الغِيدِ مِنْ غَادَةٍ ! وَفِي الصِّيدِ مِنْ بَطَلٍ أَصْيَدِ !
أَنُهْلِكُ شَعْبًا غَزَتْ دَارَهُ ثِقَالُ الْجُيُوشِ فَلَمْ يَخْلُدِ !
خَلِيقٌ بِنَا أَنْ نَرُدَّ القِلَى وِدَادًا وَمَنْ يَصْطَنِعْ يُوَدَدِ
فَمَا بَلَدٌ تَفْتَدِيهِ النِّسَا ءُ كَهَذَا الفِدَاءِ بِمُسْتَعْبَدِ

(١) الخرد : النساء (٢) تدى : تكون دية أى عوضاً

حكاية عاشقين

من سنة ١٨٩٧ إلى غاية سنة ١٩٠٣

تتبع الناظم وقائعها وكان فيها ترجمان ضمير العاشق ولسان فؤاده

تنبيه — قد أُفرد لهذه الحكاية مكان خاصّ بها من هذا الديوان ليمكن تفهُّم حوادثها من الاشارات الشعرية واستقراء وقائعها غير مبعثرة بين متفرقات كثيرة لا صلة لها بها . ولهذا اجتزئ بتاريخ عامّ لها كما هو وارد تحت العنوان عن إثبات كل منظومة بتاريخها . وقد أبدل الناظم اسم العاشق بضمير المتكلم وسمّى المعشوقة أسماء متعددة لتخفى حقيقتها وتنصرف عنها الظنون

حكاية عاشقين

الفصل الأول

سعادة الحب

أول المعرفة

اجتماع فى حديقة . لسعة نحلة

أَفْتَدِى مَنْ لَسَعَتْهَا   نَحْلَةٌ تَطْلُبُ وِرْدَا
ظَنَّتِ الوَجْنَةَ وَرْداً   فَأَتَتْ تَرْشُفُ شَهْدَا

شكوى الحسناء

من ألم اللسعة

مَرَّ[1] لَهَا الحُسْنُ عَلَى كَوْنِهِ   حُلْواً وَقَدْ أَغْرَى بِهَا النَّحْلَا
لَعَلَّهَا كَفَّارَةٌ قُدِّمَتْ   عَمَّنْ سَيَقْضُونَ بِهَا قَتْلَى

(١) مرّ : ضدّ حلا

صعدة منطار

حضرها العاشقان

وَدِدْتُ لَوَ أنَّ مُنطَاداً خَفِيفاً ... تَحَمَّلَنَا إلى أَوْجِ العَلَاءِ

وَأَطْلَقَنَا فَرُحْنَا فِي عِنَاقٍ ... طِوَالَ الدَّهْرِ فِي عُرْضِ الفَضَاءِ

كَفَرْخَيْ طَائِرٍ رُفِعَا فَطَارَا ... لِأَوَّلِ مَرَّةٍ خَلَلَ الهَوَاءِ

بِأَجْنِحَةٍ ضِعَافٍ شَدَّدَتْهَا ... مُمَالَأَةُ الصَّبَابَةِ وَالرَّجَاءِ[1]

فَهَامَا فِي العَمِيقِ مِنَ المَهَاوِي ... وَعَامَا فِي السَّحِيقِ مِنَ الخَلَاءِ

وَذَاقَا لِلهَوَى سُكْراً عَجِيباً ... طِلَاهُ مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالضِّيَاءِ[2]

لَدُنْ شَمْسُ النَّهَارِ تَسِيلُ حُبّاً ... وَتَسْقِي الطَّيْرَ فِي كَأْسِ السَّمَاءِ

جواب سؤال

فى أى اللبسين أفضل للنساء ، أهو الأبيض أم الأسود ؟

إِذَا مَا تَرَدَّيْتِ البَيَاضَ لِتَنْجَلِي ... فَكَالشَّمْسِ يَجْلُوهَا الصَّبَاحُ لِتَسْطَعَا

وَإِنْ تُؤْثِرِي سُودَ المَطَارِفِ مَلْبَساً ... فَكَالبَدْرِ يَخْتَارُ اللَّيَالِيَ مَطْلَعَا

---

(١) ممالأة : مساعدة (٢) طلاه : خمره

شغف وظمأ

ضجيعُ مَهْدٍ لَظَى الْحُمَّى يُسَاوِرُنِي … صَرِيعُ وَجْدٍ كَوَقْدِ النَّارِ مُشْتَعِلِ
رَأَيْتُ حُلْماً كَأَنِّي قَدْ ثَوَيْتُ عَلَى … قُرْبٍ مِنَ النِّيلِ فِي يَوْمٍ أَغَرَّ جَلِي
وَقَدْ صَفَا صِفْوَةَ الْمِرْآةِ مُنْبَسِطاً … سَوِيَّ وَجْهٍ كَأَنَّ الْمَاءَ لَمْ يَسِلِ
وَشَفَّ حَتَّى بَدَا لِي رَسْمُ فَاتِنَتِي … كَمَا يُمَثِّلُهُ فِكْرِي تَخَيَّلَ لِي
فَثُرْتُ لِلْمَاءِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ ظَمَإٍ … أَرْجُو شِفَاءَهُمَا مِنْهُ بِمُنْتَهَلِ
فَلَمْ أُقَدِّمْ إِلَى بِلَّوْرِهِ شَفَتِي … حَتَّى تَكَسَّرَ مُنْحَلًّا . . . إِلَى قُبَلِ

شكوى

إِلَى كَمْ جَوْبِيَ الْعُمْرَا ؟ … كَنِضْوٍ جَائِبٍ قَفْرَا[1]
يَرَى آلاً عَلَى ظَمَإٍ … فَيَظْمَأُ مَرَّةً أُخْرَى[2]
وَيَخْبِطُ فِي الدُّجَى وَلَهُ … ضَمِيرٌ يَجْتَلِي بَدْرَا
وَلِي حِبٌّ هُوَ الدُّنْيَا … لِرُوحِي وَالْمُنَى طُرًّا[3]
قَرِيبُ الدَّارِ مُبْتَعِدٌ … وَكَمْ قُرْبٍ حَكَى هَجْرَا

(١) كنضو ، النضو : الذى بلغ منه عناء السفر (٢) آلا : سراباً
(٣) حب : حبيب

كَذَاكَ الآلِ مُلْتَمِعاً وَذَاكَ البَدْرِ مُفْتَرَّا
فَيَا آمَالُ مَا بِكِ أَنْ تَنَالِي الأَنْجُمَ الزُّهْرَا
وَيَا قَلْبِي كَفَاكَ صَدًى وَرَوْدُ الآلِ مُفْتَرًّا[1]
بَلَغْنَا اليَأْسَ مَرْحَلَةً وَنَبْلُغُ بَعْدَهَا القَبْرَا

أعتاب[2]

قِيلَ غَضْبَى فَهَلْ أُجَازَى وَغَيْرِي مِثْلَمَا تَعْلَمِينَ صَدَّ وَأَذْنَبْ
هَكَذَا الطِّفْلُ إِنْ أَثَارَ بِذَنْبٍ أُمَّهُ، رَاحَ قَبْلَهَا وَهْوَ مُغْضَبْ
فَلْيَكُنْ مَا اقْتَرَفْتِهِ أَنْتِ ذَنْبِي فَاغْفِرِي مَا جَرَى وَلَا مُتَعَتَّبْ
إِنَّنِي كَاتِبٌ إِلَيْكِ وَوُدِّي أَنَّ شَوْقِي بِالشَّوْقِ لَا الحِبْرِ يُكْتَبْ
قَلَمِي بِالرَّجَاءِ يَنْدَى وَدَمْعِي رَاسِمٌ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ كَوْكَبْ

---

(١) صدى : عطشاً (٢) أعتاب : استرضاء

قَوَامُكِ لا يُعَادِلُهُ قَوَامُ وَمِنْ أَوْصَافِكِ الْحُسْنُ التَّمَامُ
وَفِي عَيْنَيْكِ سِحْرٌ بَابِلِيٌّ فَلَا يُدْرَى ، أَمَاءٌ أَمْ ضِرَامُ ؟
وَفِي الأَهْدَابِ ضَعْفٌ وَانْكِسَارٌ فَكَيْفَ تُمِيتُنَا مِنْهَا السِّهَامُ ؟
وَفِيكِ عُبُوسَةٌ تَحْلُو لَدَيْنَا فَكَيْفَ إِذَا جَلَاكِ لَنَا ابْتِسَامُ ؟
وَفِيكِ لِكُلِّ عَيْنٍ كُلُّ مَعْنًى تُبَاحُ لَهُ النُّفُوسُ وَلَا يُرَامُ
مَحَاسِنُ دُونَهَا ثَارَاتُ قَوْمٍ فَمَا لِفَتًى سِوَى النَّظَرِ اغْتِنَامُ
كَتَمْتُ هَوَاكِ دَهْراً لَا لِخَوْفٍ وَمَا أَنَا مَنْ يُرَوِّعُهُ الْحِمَامُ
وَلَكِنِّي حَرَصْتُ عَلَيْكِ مِنْهُمْ وَلَوْ أَوْدَى بِمُهْجَتِيَ الْغَرَامُ
وَكَمْ عَاتَبْتُ فِيهِ النَّفْسَ لَوْمَا فَإِنْ عُوتِبْتُ رَاعَنِيَ الْمَلَامُ
كَجُرْحٍ قَدْ أَلَظَّهُ بِلَمْسِي وَإِنْ هُوَ مَسَّهُ غَيْرِي أَضَامُ
ظَلِلْتُ عَلَيْهِ أُخْفِيهِ وَأَشْقَى إِلَى أَنْ بَاتَ وَهْوَ بِنَا سَقَامُ
فَمَا أَنْسَى تَلَاقِينَا هَجِيعاً بِلَا وَعْدٍ كَمَا شَاءَ الْهُيَامُ
كَأَنَّا شُعْلَتَانِ إِذِ اعْتَنَقْنَا عَلَى ظَمَإٍ فَلَمْ يُرْوَ الأُوَامُ[1]
وَمَا إِنْ تَنْطَفِي نَارٌ بِنَارٍ فَيَشْفِينَا التَّعَانُقُ وَاللِّزَامُ[2]
رَعَاهُ اللهُ لَيْلاً فِيهِ ذُقْنَا نَعِيمَ الشَّهْدِ وَالرُّقَبَاءُ نَامُوا
فَكَانَ مِنَ الظَّلَامِ لَنَا ضِيَاءٌ وَكَانَ مِنَ الضِّيَاءِ لَنَا ظَلَامُ

---

(١) الأوام : الظمأ (٢) اللزام : الملازمة

حَمَلَتْ مِظَلَّاتٍ لَنَا الشَّجَرُ ... وَأَعَدَّ مُخْتَبأً لَنَا الخَمَرُ[1]
وَدَعَا النَّسِيمُ العَاشِقِينَ إلى ... رَوْضٍ يَقَرُّ بِحُسْنِهِ النَّظَرُ
فِيهِ العِمَادُ الخُضْرُ يَنْظِمُهَا ... فَنٌّ بَدِيعُ الوَحْيِ مُبْتَكَرُ
بِإِزَائِهَا عَمَدٌ مُذَهَّبَةٌ ... مِنْ حَيْثُ نُورُ الشَّمْسِ يَنْحَدِرُ
مُتَنَاسِقٌ مَا بَيْنَهَا حِجَراً ... نِعْمَ السِّيَاجُ وَنِعْمَتِ الحِجَرُ[2]
تَجْرِي سَوَاقِيهِ فَعَابِسَةٌ ... فِيهَا الظِّلَالُ وَيَضْحَكُ الحَجَرُ
وَكَأَنَّمَا نَسَمَاتُهُ كَلِمٌ ... وَكَأَنَّمَا نَفَحَاتُهُ فِكَرُ
وَكَأَنَّ «هِنْداً» فِي تَخَطُّرِهَا ... سُلْطَانَةٌ رُفِعَتْ لَهَا سُرُرُ

***

حَوَّاءُ هَذِي جَنَّةٌ أُنُفٌ ... أَنَا آدَمٌ فِيهَا وَذَا الثَّمَرُ[3]
فَرَنَتْ إِلَى غُصْنٍ بِهِ عَلِقَتْ ... تُفَّاحَةٌ يَشْتَاقُهَا البَصَرُ
قَالَتْ : أَلَا أَرْقَى فَأَقْطِفَهَا ؟ ... فَأَجَبْتُ إِنَّ العَبْدَ يَأْتَمِرُ
وَأَنَلْتُهَا كَتِفِي لِأَرْفَعَهَا ... فَسَمَتْ لِتَجْنِيَهَا وَلَا حَذَرُ
ثُمَّ اقْتَسَمْنَاهَا كَمَا اقْتَسَمَتْ ... قِدَماً عَلَى مَا قَدَّرَ القَدَرُ
فَتَحَوَّلَ الجَهْلُ العَهِيدُ بِنَا ... عِلْماً وَبَانَ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ[4]

(١) الخمر : ما يظلل من الشجر (٢) حجراً : غرفاً (٣) أنف : بكر
(٤) العهيد : القديم

وَإِذَا بِنَا مُتَدَارِيَانِ وَمَا غَيْرَ الهَوَى سِتْرٌ فَنَسْتَتِرُ

***

ذَنْبٌ أَتَيْنَاهُ مُشَاطَرَةً وَالذَّنْبُ شَفْعٌ وَهْوَ مُنْشَطِرُ

لَا بَأْسَ مِنْ فَقْدِ النَّعِيمِ بِهِ وَقَدِاسْتَعَاضَتْ بِالهَوَى البَشَرُ

حَوَّاءُ ! فِتْنَتُكِ النَّعِيمُ لَنَا لَا المَاءُ وَالأَطْيَارُ وَالزَّهَرُ

حَوَّاءُ ! مَا أَغْوَيْتِ آدَمَ بَلْ أَحْيَيْتِهِ وَالصَّبْوَةُ العُمُرُ

مَنْ لَمْ يُحِبَّ فَمَا الصَّفَاءُ لَهُ صَفْوٌ وَمَا كَدَرٌ بِهِ كَدَرُ

يَنْجَابُ عَنْ وَجْهِ الحَيَاةِ كَمَا تَنْجَابُ عَنْ مِرْآتِهَا الصُّوَرُ

اعتزاز

لَكِ الأَمْرُ إِنْ أَنْصَفْتِنِي فَكَفَى غُنْمَا وَإِنْ تَظْلِمِي فَالحُبُّ شَاءَ وَلَا إِثْمَا

وَلَكِنَّنِي أَخْشَى ارْتِيَابَكِ فِي الهَوَى فَإِنِّي إِذَنْ مِنْ دُونِهِ أُوثِرُ الظُّلْمَا

أَبِيتُ طِوَالَ اللَّيْلِ وَالدَّاءُ مُسْهِدِي أُعَنِّفُ نَفْسِي وَهْيَ لَمْ تَقْتَرِفْ جُرْمَا

عَلَى ذِكْرِ عَهْدٍ كَانَ لِي مِنْكِ مَوْعِدٌ بِتَجْدِيدِهِ لَوْ لَمْ تَحُلْ دُونَهُ الحُمَّى

عَدَتْ فَعَدَتْ دُونَ المَزَارِ وَلَمْ أَكُنْ بِمُتَأَخِّرٍ لَوْ أَنَّ لِي مَعَهَا عَزْمَا

فَفِي الجِسْمِ نَارٌ يَلْذَعُ القَلْبَ وَقْدُهَا وَفِي القَلْبِ نَارٌ مِثْلُهَا تَلْذَعُ الجِسْمَا

وَيَنهَضُ بِي حَتَّى إِذَا الشَّوْقُ هَاجَهُ ... وَيَقْعُدُ بِالجِسْمِ الكَلَالُ إِذَا هَمَّا

***

وَلَيْلٍ بِهِ طُفْنَا الجَزِيرَةَ كُلَّهَا ... تَذَكَّرْتُهُ لَا تَدْمَعُ العَيْنُ بَلْ تَدْمَى

كَأَنَّ غُبَاراً أَحْدَثَتْهُ جِيَادُنَا ... كَمَا الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ مِنْ كَدَرٍ سُقْمَا

كَأَنَّ الدُّجَى سَوَّرَتْنَا بِسُرَادِقٍ ... وَسَمَّرْتَهُ بِالشُّهْبِ حَبْساً لِمَنْ ضَمَّا

نَسِيرُ بِقُرْبِ النِّيلِ وَهْوَ مُخَضَّبٌ ... عَلَى أَنَّهُ كَالنَّصْلِ فِي كَبِدِ الظَّلْمَا

وَيَرْنُو إِلَيْنَا مِنْ بَعِيدٍ بِعَيْنِهِ ... سِرَاجُ رَقِيبٍ ثُمَّ يُغْمِضُهَا لَوْمَا

وَتُبْدِي لَنَا الأَغْصَانُ شِبْهَ تَحِيَّةٍ ... وَتَسْتَقْبِلُ الأَرْوَاحُ أَوْجُهَنَا لَثْمَا

كَأَنَّ لَنَا الدُّنْيَا وَمَا فِي سَمَائِهَا ... وَمَا دُونَهَا مُلْكاً وَأَنَّ لَنَا الحُكْمَا

***

وَلَكِنَّهُ عَهْدٌ مَضَى أَسْتَعِيدُهُ ... لَدَى يَقْظَتِي ذِكْراً وَفِي رَقْدَتِي حُلْمَا

وَأَسْأَلُ فِي البُحْرَانِ طَيْفَكِ زَوْرَةً ... تُخَفِّفُ عَنِّي ذَلِكَ الأَلَمَ الجَمَّا

فَلَا حُسْنَ إِلَّا حُسْنُهُ إِذْ ضَمَمْتُهُ ... وَلَا صِحَّةٌ إِلَّا سَقَامِي وَقَدْ ضَمَّا

إِذَنْ رُمْتُ أَنْ لَا أَبْرَحَ الدَّهْرَ ذَاهِلًا ... لِأَشْفِيَ مِنْهُ وَجْدَ قَلْبِي وَلَوْ وَهْمَا

أُحِبُّكِ حَتَّى لَا سُرُورَ وَلَا مُنًى ... وَلَا شَمْسَ إِلَّا أَنْ أَرَاكِ وَلَا نَجْمَا

أُحِبُّكِ حَتَّى يُنْكِرَ الحُبُّ رُسْلَهُ ... جَمِيلًا وَقَيْساً وَالأُولَى اسْتُشْهِدُوا قِدَمَا

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي المَوْتِ سَلْوَى أَخَافُهَا ... لَأَحْبَبْتُ حَتَّى المَوْتَ فِيكِ وَلَوْ ذَمَّا

أشعة رنتجن

جلستُ إلى «هندَ» ذاتَ مساءٍ   وآنسَنا القمرُ الساهرُ

فحدّثتُها عن ضياءٍ عجيبٍ   يُسَرُّ برؤيتهِ الزائرُ

لهُ زرقةُ الماءِ[1] لكنّهُ   شرارٌ منَ النارِ مُطّايرُ

كمُنتشرٍ من غبارِ الزمُــرُّدِ يحملهُ لهبٌ ثائرُ

كأنَّ بهِ للعيونِ عيوناً   فكلُّ خفيٍّ بهِ ظاهرُ

يُرينا الجسومَ أضالعَ جفّتْ   وزايلها حسنُها الناضرُ

هياكلُ مُحكَمةٌ شادها   لطيفٌ لِمَا شاءهُ قادرُ

يُرفرفُ فيها الفؤادُ كما   يُرفرفُ في القفصِ الطائرُ

فقالتْ وقد رابها ما وصفتُ   وأورى اللظى طرفُها الفاترُ:

أتبدو خبايا القلوبِ بهِ   شواخصَ ينظرُها الناظرُ؟

فيا حبّذا هوَ نوراً يُريكَ   مثالَكَ في القلبِ يا جائرُ

فقلتُ: أُعيذُ وفاءكِ ممّـــا يريبُ فإنّي إذنْ غادرُ

بهذا الضياءِ يُرى كلُّ جِرمٍ   عنِ العينِ يسترُهُ ساترُ

ولكنّهُ لا يُرينا الضميرَ   ولا ما يجولُ بهِ الخاطرُ

فثابتْ إلى دعوتي عن رضىً   كما يأنسُ الرشأُ النافرُ[2]

---

(١) ويكون بخضرة النبت   (٢) ثابت: رجعت

فَجِئْنَا مَكَاناً كَثِيفَ الدُّجَى ... يُنِيرُ سِرَاجٌ بِهِ سَاهِرُ
يَفِيضُ ضِيَاءً وَمِنْ حَوْلِهِ ... ظَلَامٌ مُحِيطٌ بِهِ غَامِرُ
عَلَى كُتُبٍ وَيُرَى قَاصِياً ... كَمَا يَنْظُرُ الكَوْكَبُ السَّافِرُ
فَدَانَيْتُهُ وَلِهِنْدٍ فُؤَادٌ ... خَفُوقٌ وَفِكْرٌ بِهِ حَائِرُ
فَلَمَّا رَأَتْنِي أَضَالِعَ سُوداً ... يُحِيطُ سَدِيمٌ بِهَا بَاهِرُ[1]
كَمَا لَوْ بَدَتْ فِي زُجَاجٍ مُضَاءٍ ... تَخَاطِيطُ نَكَّرَهَا سَاحِرُ
أَبَتْ أَنْ أَرَاهَا وَقَدْ زَالَ عَنْهَا ... جَمَالُ مَلَامِحِهَا الزَّاهِرُ
وَقَالَتْ عَصَيْتُكَ فِيمَا أَمَرْتَ ... وَبِالرُّوحِ أَمْرُكَ وَالآمِرُ
أَضَنُّ بِحُسْنِيَ وَهْوَ شَفِيعِي ... لَدَيْكَ وَعَلَّكَ لِي عَاذِرُ
فَيَا «هِنْدُ» إِنْ زَالَ مِنْكِ الجَمَالُ ... فَحَسْبُ الفَتَى قَلْبُكِ الطَّاهِرُ
وَإِنْ بَانَ حُسْنُكِ عَنْ نَاظِرِي ... فَإِنَّ الفُؤَادَ لَهُ نَاظِرُ[2]

مغاضبة

بَيْنِي وَبَيْنَكِ يَا «سَلْمَى» مُغَاضَبَةٌ ... أَنْتِ الَّتِي عَلَّمَتْنِي الحُزْنَ وَالأَرَقَا
وَأَنْتِ عَلَّمْتِ جَفْنَيَّ الفِرَاقَ فَمَا ... تَلَاقَيَا طَرْفَةً إِلَّا لِيَفْتَرِقَا
وَأَنْتِ أَوْقَدْتِ فِي جَنْبِي الغَرَامَ فَمَا ... رَقَدْتُ إِلَّا حَسِبْتُ المَهْدَ مُحْتَرِقَا

(١) سديم : شبه الغمام أبيض لامع (٢) بان : خفي

«سَلْمَى» انظُرِي الرَّوضَةَ الغنَّاء سَاكِنَةً عَلَى نَعيمٍ وَقَلْبِي ذَاكِياً قَلِقاَ
مَنْ عَلَّمَ الزَّهْرَ أَنْ يَفْتَرَّ لِي كَذِباً وَبَاكِيَ السُّحْبِ أَنْ يَنْدَى وَمَا صَدَقَا؟
وَنَاَّحَ الطَّيْرِ إِيلاَمِي بِمَنْطِقِهِ كَأَنَّهُ شَارِحٌ حَالِي بِمَا نَطَقَا ؟
وَمَائِسَ الغُصْنِ إِغْرَاقِي بِعِطْفَتِهِ فَإِنْ دَنَوْتُ تَسَامَى نَافِراً فَرِقَا ؟
هَذِي ذُنُوبُكِ يَا «سَلْمَى» جَعَلْتِ بِهَا بَعْدَ الصَّفَاءِ حَيَاتِي مَوْرِداً رَنِقَا[1]
قَالَتْ : أَلَيْسَ غَرِيمَ الشَّرِّ جَالِبُهُ ؟ فَإِنْ تُعَاتِبْ فَعَاتِبْ قَلْبَكَ النَّزِقَا
فَقُلْتُ : لَا تَظْلِمِي هَذَا الْمُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ الهَوَى نِعْمَةً لَكِنْ أَصَابَ شَقَا
هَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى قَلْبٍ رَأَى شَرَكاً مِنْ غَزَلِ عَيْنَيْكِ أَنْ أَغْرَاهُ فَاعْتَلَقَا؟[2]
فَلَيْتَنِي مِتُّ لَا عَيْنِي إِلَيْكِ رَنَتْ وَلَا فُؤَادِي كَمَا شَاءَ الهَوَى خَفَقَا
قَالَتْ : كَأَنَّكَ بَعْدَ الحُبِّ تُبْغِضُنِي ؟ فَقُلْتُ : أَعْذَرَ قَالٍ شَدَّ مَا وَمِقَا[3]
سَلْمَى ! أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الضِّرَامَ إِذَا مَا شَبَّ فِي جَوْفِ طَوْدٍ رَاسِخٍ صُعِقَا ؟
إِنِّي لَأُبْغِضُ رُوحِي عِنْدَكِ احْتُبِسَتْ وَدَمْعَ عَيْنِيَ إِثْرَ الرُّوحِ مُنْطَلِقَا
وَأُبْغِضُ العُمْرَ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ وَفَجْرَهُ قَاتِلَ الآمَالِ وَالشَّفَقَا
وَأُبْغِضُ النَّاسَ لَا مُسْتَثْنِياً أَحَداً . . . .
. . . . إِلَّا الَّتِي لَمْ تَدَعْ مِنْ مُهْجَتِي رَمَقَا
حُبًّا لِحُسْنِكِ يَا «سَلْمَى» وَإِنْ هُوَ لَمْ يَسْتَبْقِ مِنِّيَ إِلَّا الرَّسْمَ وَالحَرَقَا

---

(١) رنقاً : كدراً (٢) جناح : ذنب (٣) أعذر قال : أي بلغ العذر من أبغض بعد شدة الحب

قَالَتْ وَقَدْ سَالَ دَمْعٌ مِنْ مَحَاجِرِهَا أَسًى عَلَيَّ وَدَمْعِي بِالسُّرُورِ رَقَا
وَكَاشَفَتْنِي بِمَا تُخْفِي ضَمَائِرُهَا وَهَكَذَا الزَّهْرُ إِنْ نَدَّيْتَهُ عَبِقَا:
فَدَتْكَ نَفْسِيَ مَشْغُوفًا شُغِفْتُ بِهِ فَمُرْ مُطَاعًا وَلَا رَأْيَ لِمَنْ عَشِقَا
فَلَمْ أُجِبْ، وَعَدَتْ فِي الرَّوْضِ نَافِحَةٌ مَالَتْ بِغُصْنَيْنِ بَعْدَ الصَّدِّ فَاعْتَنَقَا

تذكار

قيلت بعد سفر الحبيبة واجدة على محبها لوشايات سمعتها فيه

أَيَا دَارَ مَنْ أَهْوَى فَدَيْتُكِ دَارَا غَدَتْ بَعْدَنَا لِلْعَاشِقِينَ مَزَارَا
تُذَكِّرُنِي أَيَّامَ أُنْسِي بِقُرْبِهَا قَدِيمًا وَلَيْلَاتٍ مَضَيْنَ قِصَارَا
وَسَاعَاتِ لَهْوٍ كُنَّ لِلْعُمْرِ زِينَةً كَمَا زَانَ فِي الكَأْسِ الحَبَابُ عُقَارَا [1]
وَسَاعَاتِ شَجْوٍ تَسْتَفِيضُ دُمُوعُهَا بِهَا فَأَرَى دُرًّا نُثِرْنَ كِبَارَا
وَكُنْتُ إِذَا بَاكَيْتُهَا مِنْ صَبَابَتِي يُكَفْكِفُ دَمْعَيْنَا العِنَاقُ مِرَارَا
كَأَنَّ الَّذِي فِي مُهْجَتَيْنَا مِنَ الأَسَى غَمَامٌ تَسَامَى لِلْجُفُونِ فَثَارَا

***

أَحَقًّا تَوَلَّى ذَلِكَ العَهْدُ وَانْقَضَى كَمَا لَاحَ بَرْقٌ فِي الدُّجَى وَتَوَارَى؟
وَأَنَّ شَبَابِي وَهْوَ فِي بَدْءِ عَهْدِهِ عَلَيَّ كَثَوْبٍ أَرْتَدِيهِ مُعَارَا؟

---

(١) عقاراً : خمراً

وَأَنَّى كَبَعْضِ النَّبْتِ يُحْسَبُ نَاضِراً ... وَقَدْ جَفَّتِ الأَعْوَادُ فِيهِ أُوَارَا ؟[1]

أَحِبَّايَ إِنِّي مُذْ أَقَمْتُ مِنَ الهَوَى ... شَقِيٌّ فَكُونُوا الدَّهْرَ فِيهِ سُكَارَى

صِلُوا فِيهِ بِالشُّهْبِ الجُفُونَ تَسَهُّداً ... إِلَى أَنْ تَبِيتَ الشُّهْبُ وَهْيَ حَيَارَى

أَفِيضُوا إِلَيْهِ جَارِيَاتِ دُمُوعِكُمْ ... كَمَا رَاحَ فِي البَحْرِ السَّحَابُ تُمَارَا[2]

رِدُوا السُّمَّ فِيهِ مَوْرِداً تَهْنَأُوا بِهِ ... وَإِنْ هُوَ أَصْلَى وَارِدِيهِ جِمَارَا[3]

تَمَلَّوْا مِنَ الأَسْقَامِ وَالذُّلِّ وَالأَسَى ... نَعِيماً ، وَخُوضُوا المُفْنِيَاتِ غِمَارَا

أَذِيبُوا القُلُوبَ الدَّامِيَاتِ تَصَبُّباً ... وَلَاشُوا النُّفُوسَ البَاكِيَاتِ شَرَارَا

* * *

كَذَلِكَ قَدْ أَحْبَبْتُكِ الحُبَّ كُلَّهُ ... وَآخِرُ حَظِّي مِنْكِ كَانَ نِفَارَا

فَيَا وَرْدَتِي مَاذَا أَحَالَكِ جَمْرَةً ؟ ... وَيَا جَنَّتِي مَاذَا أَصَارَكِ نَارَا ؟

جَزَى اللهُ إِخْوَاناً وَشَوْا بِيَ عِنْدَهَا ... فَكَانُوا لِسَعْدِي حِينَ تَمَّ عِثَارَا

يُسِرُّونَ لِي شَرّاً وَيُبْدُونَ رَأْفَةً ، ... أَكَانُوا إِذَنْ يَبْغُونَ عِنْدِيَ ثَارَا ؟

يَسُومُونَنِي خَسْفاً وَكُنْتُ بِمُهْجَتِي ... أَكُفُّ أَذَى عَنْهُمْ وَأَدْرَأُ عَارَا

يُعَاطُونَنِي كَأْساً كَأَنَّ بِهَا دَمِي ... أَرَاهُ عَلَى المُسْتَهْزِئِينَ مُدَارَا

فَإِنْ أَبْكِ مِنْ جُرْحِي تَبَاكَوْا كَأَنَّهُمْ ... هُمُ لَمْ يُدِيرُوا فِي الفُؤَادِ شِفَارَا

عَلَى أَنَّنِي أُغْضِي وَحَسْبِي سَمَاحَةً ... وَحَسْبُ المُدَاجِي ذِلَّةً وَصَغَارَا

فَصَفْحاً لَكُمْ عَمَّا اقْتَرَفْتُمْ أَحِبَّتِي ... وَتَدْرُونَ أَنِّي مَا صَفَحْتُ حِذَارَا

---

(١) أوارا : عطشاً (٢) ثماراً : متسكباً (٣) ردوا : اشربوا

تَوَهَّمْتُكُمْ حِيناً كِباراً بِنُبْلِكُمْ فَأَلْفَيْتُكُمْ كَالْمُجْرِمِينَ صِغَارَا
وَلَمْ يُغْنِ مَالٌ مِنْ مَهَانَةِ سَعْيِكُمْ أَتَشْرُونَ خُلْقاً بِالنُّضَارِ نُضَارَا ؟
إِذَا الْمَالُ حَلَّ صَدْرَ أَحْمَقَ خَامِلٍ فَصَارَ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ مُشَارَا
وَأَصْلَحَ تَشْوِيهَ الْقَبِيحَةِ فَاغْتَدَتْ تُبَارِى بِهِ حَسْنَاءَ لَيْسَ تُبَارَى
فَلَا كَانَ إِلَّا الْفَقْرُ حَظُّ أُولِي النُّهَى وَلَا خَلَعَتْ عَنْهَا الْحِسَانُ سِتَارَا [1]

* * *

ظَلَمْتُكِ مَا طَاوَعْتِهِمْ وَأَنَا الَّذِى تَبَاعَدْتُ عَنْ رُوحِى رِضًى وَخِيَارَا
هَجَرْتُكِ لَا كُرْهَ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا بِذَاكَ قَضَى دَهْرِى عَلَيَّ وَجَارَا
وَيَاحَبَّذَا لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مُعْجِزًا تَمِيءُ لَهُ الْأَوْطَارُ كَيْفَ أَشَارَا [2]
فَأَجْعَلَ هَذَا الْعُمْرَ سَعْداً وَنِعْمَةً لَنَا وَشَبَاباً دَائِماً وَفَخَارَا
وَأُبْدِلَ نُورَ الشَّمْسِ مَا شَاءَتِ الْمُنَى عَقِيقاً وَتِبْراً سَاكِباً وَنُضَارَا
وَأَنْظِمَ مِنْ زُهْرِ الدُّجَى لَكِ خَاتِماً وَتَاجاً وَعِقْداً فَاخِراً وَسِوَارَا
وَأَصْنَعَ نَوْطًا بَاهِراً مِنْ هِلَالِهَا وَأَنْسِجَ مِنْ غَزْلِ الضِّيَاءِ دِثَارَا
وَلَكِنَّهَا الْآمَالُ سِلْعَةُ خَاسِرٍ وَقَدْ أَصْبَحَتْ سُوقُ الْوِدَادِ بَوَارَا

* * *

فَيَا مُنْيَةً لِلْقَلْبِ كُنْتُ بِقُرْبِهَا أَرَى كُلَّ عُسْرٍ فِي الزَّمَانِ يَسَارَا
وَيَا جَنَّةَ النُّعْمَى لِشَادٍ تَشُوقُهُ عَلَى الدَّهْرِ مَا شَاقَ الرَّبِيعُ هَزَارَا

---

(١) أولى النهى : أرباب العقول (٢) الأوطار : المآرب

بِرُوحِيَ أَفْدِي وَرْدَةً قَدْ حَفِظْتُهَا لِذِكْرَاكِ أَسْقِيهَا الدُّمُوعَ حِرَارَا
أُقَبِّلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشَوُّقاً لِمَنْ نَسَجَتْهَا لِلْغَرَامِ شِعَارَا
وَأُحْيِي بِهَا آثَارَ حُبِّكِ شَاكِياً وَأَسْمَعُ نَجْوَاهَا دُجًى وَنَهَارَا

القسم

للاستعطاف والاستعادة من السفر

بِاللهِ بَارِئِ حُسْنِكِ المَعْبُودِ بِهَوَاكِ إِنَّ هَوَاكِ رُوحُ وُجُودِي
بِالفَرْقَدَيْنِ البَاهِرَيْنِ تَلَازَمَا تَحْتَ الجَبِينِ لِشِقْوَةٍ وَسُعُودِ
بِالحَاجِبَيْنِ العَاكِفَيْنِ عَلَيْهِمَا لِصِيَانَةٍ وَلِكَفِّ عَيْنِ مَرِيدِ
بِالوَجْنَتَيْنِ كَجَنَّةٍ أَزْهَارُهَا بِيضٌ إِذَا هِيَ قَانِئَاتُ وُرُودِ[1]
تُسْقَى الجِنَانُ مِنَ السَّحَابِ وَهَذِهِ تُسْقَى بِمِثْلِ سُلَافَةِ العُنْقُودِ
بِالمَبْسِمِ العَذْبِ المُذَوَّبِ شَهْدُهُ فِي نُورِ كُلِّ تَبَسُّمٍ مَشْهُودِ
بِقَوَامِكِ اللَّدْنِ الَّذِي فِي أَوْجِهِ سَطَعَ الجَمَالُ لِقِبْلَةٍ وَسُجُودِ[2]
بِالشَّعْرِ يَغْشَى غَيْهَبٌ مِنْ تِبْرِهِ مَلَكاً يَهُمُّ بِمُرْتَقًى وَصُعُودِ
أَقْسَمْتُ مَا أَشْرَكْتُ فِيكِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِي الهَوَى دِينٌ سِوَى التَّوْحِيدِ

---

(١) قانئات : ذات احمرار باهر (٢) اللدن : اللين

يَا عِلَّةَ الْحُبِّ الصَّحِيحِ وَصِحَّةَ الْـــقَلْبِ العَلِيلِ وَأَجْرَ كُلِّ شَهِيدِ

يَا وَرْدَةً يَرْتَاحُ جَانِيهَا وَإِنْ دَمِيَتْ يَدَاهُ بِشَوْكِهَا الْمَدُودِ

كَذَبَ الوُشَاةُ بِمَا ادَّعَوهُ وَإِنَّنِي أَوْفَى الأَنَامِ بِذِمَّتِي وَعُهُودِي

لَا تُمْكِنِيهِمْ مِنْ سَعَادَتِنَا الَّتِي كَانَتْ قَذًى فِي عَيْنِ كُلِّ حَسُودِ

عُودِي إِلَى الصَّفْوِ القَدِيمِ فَإِنَّمَا هُوَ بِالوَدُودِ أَبَرُّ وَالمَوْدُودِ

عُودِي نَفِرُّ كَجَانِيَيْنِ إِلَى الرُّبَى مُسْتَعْصِمَيْنِ بِرَايَةِ الأُمْلُودِ[1]

عُودِي تُرَجِّحْنَا الأَرَائِكُ غَضَّةً إِذْ نَعْقِدُ الأَغْصَانَ عَقْدَ مُهُودِ

طِفْلَانِ خَفَّفَنَا زَوَالُ هُمُومِنَا وَتَهُزُّنَا الأَطْيَارُ بِالتَّغْرِيدِ

عُودِي فَنَقْتَطِفَ الازَاهِرَ نَضْرَةً غَرَّاءَ حَلَّاهَا النَّدَى بِعُقُودِ

عُودِي نَطِرْ كَفَرَاشَتَيْنِ تَنَقَّلَا ثَمِلَيْنِ يُرْقِصُنَا الصَّبَا بِنَشِيدِ

عُودِي فَنَنْتَهِبَ الزَّمَانَ تَضَاحُكاً وَتَبَاكِياً بِالذِّكْرِ وَالتَّجْدِيدِ

مُتَعَانِقَيْنِ إِذَا انْتَبَهْنَا رَابَنَا ظِلَّانِ مُعْتَنِقَانِ غَيْرَ بَعِيدِ

عُودِي فَنَجْتَنِبَ المَجَامِعَ رَغْبَةً عَنْ كَاذِبٍ مِنْ أُنْسِهَا مَفْقُودِ

وَنُطَالِبَ الخَلَوَاتِ بِالأُنْسِ الَّذِي فِيهِ شِفَاءُ الخَاطِرِ المَكْدُودِ

فَلَئِنْ يَكُنْ هَذَا الجَفَاءُ تَحَوُّلًا فَهُوَ التَّحَوُّلُ مِنْ طِبَاعِ الغِيدِ

أَوْ إِنْ يَكُنْ تِيهاً فَلَا نَقْضِ الصِّبَى بَيْنَ التِقَاءِ سَاعَةً وَصُدُودِ

---

(١) الربى : المتنزهات المرتفعة . الأملود : الغصن

عتاب

الشاعر والطائر

يَا أَيُّهَا الطَّائِرُ الْمُغَنِّى بِلَا نَثِيرٍ وَلَا نَظِيمِ
مَنْ لِي بِشَدْوٍ طَلِيقٍ فَنٍّ كَشَدْوِكَ الْمُطْرِبِ الرَّخِيمِ

فَأَنْتَ تَشْدُو بِلَا بَيَان وَمَا تَشَاءُ الْمُنَى تُجِيدُ
وَنَحْنُ بِاللَّفْظِ وَالْمَعَانِي نَعْجِزُ عَنْ بَعْضِ مَا نُرِيدُ

أَعِرْ جَنَاحَيْكَ يَا رَفِيقُ أَطِرْ وَامْرَحْ خَلِيَّ بَالْ
مِنْ سَاكِبِ النُّورِ لِي رَحِيقُ وَفُسْحَةِ الْجَوِّ لِي مَجَالْ

أُشْرِقْ وَأُغْرِبْ بِلَا مَرَامِ فَلَا مَكَانٌ وَلَا زَمَانْ
وَلَا هُيَامَ إِلَّا هُيَامِي بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْجِنَانْ

لِيَشْكُ مَا شَاءَ كُلُّ شَاكِي مِمَّا دَهَاهُ مِنَ الْأُمُورْ
وَمَا عَلَيْنَا مِنْ حُزْنِ بَاكِي إِذَا خَلَصْنَا إِلَى السُّرُورْ

هَجْراً لِهَذِى الدِّيَارِ سَاءَتْ وَضَاقَ قَلْبِي بِرُحْبِهَا
مَا بِيَ وَجْدٌ إِذَا تَنَاءَتْ وَلَا ائْتِنَاسِي بِقُرْبِهَا

وَلْنَبْتَعِدْ عَنْ نِضَالِ زَيْدٍ وَنَوْحِ عَمْرٍو وَكَيْدِ خَالِدْ

وَلنَـكْسِرِ اليَوْمَ كُلَّ قَيْدٍ تَرْسُفُ فِيهِ مِنْ حُبٍّ نَاهِدْ

***

يَا أَيُّهَا الطَّائِرُ الْمُغَنِّي بِلَا تَنَـبُّرٍ وَلَا نَظِيمِ
مَنْ لِي بِشَدْوٍ طَلِيقٍ فَنٍّ كَشَدْوِكَ الْمُطْرِبِ الرَّخِيمِ

***

فَإِنَّ لِي يَا أَلِيفُ هَمًّا أَفِرُّ مِنْـهُ مُـبَرِّحَا
كَتَمْتُهُ خَوْفَ أَنْ يَلُمَّا بِهِ عَــذُولٌ فَيَفْرَحَا

لَوْ كَانَ قَوْلِي بِلَا بَيَانِ كَقَوْلِكَ الْمُعْجِبِ الْمُبِينْ
لَبَاحَ قَلْـبِي عَلَى لِسَانِي بِحُبِّـهِ السَّاكِنِ الدَّفِينْ

لَـكِنَّ سُـكْنَى القُرَى بُيُوتَا صُفِفْنَ عَنْ كُلِّ جَانِبْ
عَوَّدَتِ النَّاسَ أَنْ تَمُوتَا حَشْراً بِضِيقِ الْمَذَاهِبْ

سَاءَتْ خِلَالٌ وَسَاءَ خُلْقٌ وَبُدِّلَتْ أَحْرُفُ الـكَلِمِ
فَالصِّدْقُ كِذْبٌ وَالـكِذْبُ صِدْقُ وَالـكَيْدُ فِي وَجْهِ مُبْتَسِمِ

فَإِنْ تَجِدْ سَمْحَةَ الجَبِينِ صَافِيَـةَ الْمُقْلَةِ الْمُنِيرَهْ
لَمْ تَرَ فِي حُسْنِهَا الْمُبِينِ إِلَّا الَّذِي لَيْسَ فِي السرِيرَهْ

وَلَمْ تَـكُنْ خُرَّدُ الخِيَامِ نَوَاكِتَ العَهْدِ نَـكْثَ مَيْنِ[1]

---

(١) خرد : نساء البادية . نواكث : مخلفات العهد

مَنْ أَدْخَلَ الإِفْكَ فِي الغَرَامِ   وَهْوَ خُفُوقٌ فِي مُهْجَتَيْنِ[1]

وَبِي هَوًى فِي حَشًى سَقِيمٍ   يَلَذُّهُ وَهْوَ يَقْتُلُهْ
كَالنُّورِ يَفْتَرُّ لِلنَّسِيمِ   مِنْ حَوْلِهِ وَهْوَ يُشْعِلُهْ

أَحْبَبْتُ حَسْنَاءَ ذَاتَ دَلٍّ   تَهْوَى الْمُنَى فِي جَمَالِهَا
لَوْ أَبْصَرَ الرَّاهِبُ الْمُصَلِّي   طَلْعَتَهَا عَادَ وَالِهَا

رَأَتْ غَرَامِي فَعَاهَدَتْنِي   عَلَى الهَوَى الطَّاهِرِ الْمُبَاحِ
ثُمَّ جَفَتْنِي وَبَاعَدَتْنِي   بِغَيْرِ إِثْمٍ وَلَا جُنَاحِ

فَأَعْتَمَتْ بَعْدَهَا حَيَاتِي   مِنْ ذَلِكَ الطَّالِعِ السَّعِيدِ
وَصِرْتُ أَمْشِي إِلَى مَمَاتِي   فِي ظُلْمَةِ اليَائِسِ الطَّرِيدِ

أُعَلِّلُ القَلْبَ بِالأَنَاةِ   وَمَا لِقَلْبِيَ عَنْهَا اصْطِبَارُ
يَا لَغَرِيقٍ بِلَا نَجَاةٍ   فِي البُعْدِ يَبْدُو لَهُ مَنَارُ

***

فِدًى لَكَ النَّفْسُ يَا حَبِيبِي   إِلَى مَرَامِي مِنَ الصُّعُودْ
أَرَاكَ أَنْشَأْتَ تَعْتَلِي بِي   فِي دَارَةٍ كُلُّهَا سُعُودْ

***

(١) الإفك : الكذب

يَا أَيُّهَا الطَّائِرُ الْمُغَنِّي بِلَا نَشِيدٍ وَلَا نَظِيمِ
مَنْ لِي بِشَدْوٍ طَلِيقٍ فَنِّ كَشَدْوِكَ الْمُطْرِبِ الرَّخِيمِ

***

طِرْ بِي وَأَنْتَ الأَخُ الرَّفِيقُ إِلَى مَقَرٍّ مِنَ الأَنَامْ
لَا غَدْرَ فِيهِ وَلَا عُقُوقُ وَلَا رِيَاءٌ وَلَا خِصَامْ

مَا أَجْمَلَ الْكَوْنَ مِنْ قَصِيٍّ وَأَبْدَعَ الأَرْضَ مِنْ عَلِ
لِمَارِبٍ فَازَ بِالرُّقِيِّ تَنْحَطُّ عَنْهُ وَيَعْتَلِي

أَعْجِبْ بِمَرْأَى هَذِي الْجِبَالِ مُنْخَفِضَاتٍ إِلَى الْمِهَادِ[1]
حَتَّى غَدَتْ وَهْيَ كَالطُّلَالِ مِنَ انْحِلَالٍ وَمِنْ سَوَادِ

أَعْجِبْ بِمَرْأَى هَذِي الْمَبَانِي عَفَتْ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ دِيَارْ
وَكَيْفَ صَارَتْ خُضْرُ الْجِنَانِ مِنِ ازْدِهَاءٍ إِلَى بَوَارْ

مَا أَبْهَجَ النُّورَ فِي عُيُونِي مَا أَطْيَبَ النَّفْسَ فِي الْخَلَاءْ
شَفَانِيَ اللهُ مِنْ جُنُونِي وَالْبُعْدُ عَنْ خَلْقِهِ شِفَاءْ

هَذَا نَهَارٌ مَضَى وَلَيْـــلُ سَاهَرَتْ فِي جُنْحِهِ النُّجُومْ
يَعُومُ فِي جَوِّهِ سُهَيْلُ وَالطَّيْرُ فِي جَوِّهَا تَعُومْ

هُنَا هُنَا عَالَمُ النَّعِيمِ نَعَمْ وَلَكِنَّ بِي وَجِيباً[2]

---

(١) المهاد : الأرض المنخفضة (٢) وجيباً : حزناً

مَا لِلأَسَى الْقُعدِ الْمُقِيمِ عَاوَدَنِي عَوْدَهُ الْمُذِيبَا !

لَوْ أَنَّ حِبِّي فِيهِ بِقُرْبِي لَتَمَّ حَقًّا لِيَ الصَّفَاءُ
لَكِنَّهُ غَائِبٌ وَقَلْبِي بَاكٍ مِنَ الْهَجْرِ وَالْجَفَاءُ
لِتَعْلُ أَوْ تَنْخَفِضْ جِبَالٌ وَلْيَلْبَسِ النَّسْرَ مَنْكِبِي[1]
وَلْيَتَّسِعْ أَوْ يَضِقْ مَجَالٌ لِلنَّفْسِ فِي كُلِّ مَذْهَبِ
وَلْتَصْلُحِ الطَّيْرُ وَالنُّجُومُ وَلْتَفْسُدِ النَّاسُ مَا تَشَاءُ
مَا لِأَخِي مُهْجَةٍ نَعِيمٌ بِلَا حَبِيبٍ وَلَوْ أَسَاءُ

روعة نبأ

زار العاشق صديق له من رفاق صباه كان قد انقطع عنه زمناً طويلا . وأخبره ان تلك الحبيبة الغائبة مصابة بمرض عضال فقال فى ذلك :

أَلِيفَ الصِّبَى إِنْ خَانَنِي بَارِحُ الصِّبَى فَقَدْ كُنْتَ لِي أَبْقَى وَأَوْفَى وَأَصْحَبَا
هَنِيئاً لِقَلْبِي عَوْدُكَ الْيَوْمَ ، إِنَّمَا يُخَيَّلُ لِي أَنِّي أَرَاكَ مُقَطِّبَا[2]
فَهَلْ أَنْتَ تَشْكُو حَالَةً لِي بِهَا يَدٌ فَأَشْكِيَ مَا اسْطَعْتُ الصَّفِيَّ الْمُحَبَّبَا ؟
فَقَالَ : لِغَيْرِي لَا لِنَفْسِي تَأَلُّمِي وَعَلِّي بِوُدِّي بَالِغٌ مِنْكَ مَأْرَبَا

(١) النسر : اسم نجم (٢) مقطباً : عابساً

وَأَوْمَضَ بَرْقٌ كَالِحٌ مِنْ عُيُونِهِ أَسَالَ نَدًى فِي إِثْرِهِ مُتَصَبِّبَا
فَشَقَّ عَلَيَّ الخِدْنِ يَبْكِي، وَهَلْ بَكَى فَتًى لِسِوَى حُبٍّ تَصَبَّاهُ فَاصْطَبَى؟[1]
وَهَاجَ أَسَاهُ بِي أَسًى لِمُفَارِقٍ تَحَجَّبَ عَنِّي النُّورُ حِينَ تَحَجَّبَا
فَبَاكَيْتُهُ مِمَّا شَجَانِيَ أَنْ أَرَى صَدِيقِيَ مِثْلِي مُسْتَهَامًا مُعَذَّبَا

* * *

وَلَمَّا تَنَاهَيْنَا إِلَى الرُّشْدِ بَعْدَ أَنْ تَسَاقَى فُؤَادَانَا المَدَامِعَ سُكَّبَا
أَهَابَ فَأَوْرَى كَالزِّنَادِ صَبَابَتِي بِمَا خِلْتُهُ أَذْكَى الفَضَاءَ وَأَلْهَبَا[2]
وَإِنْ هُوَ إِلَّا قَوْلُهُ مُتَهَدِّجًا لَقَدْ سَاءَنِي مِنْ دَارِ «مَارِيَةٍ» نَبَا[3]
فَقُلْتُ أَبِنْ عَلَّ المُنَبِّئَ كَاذِبٌ وَإِلَّا أَعِنْ أَطْوِ البِلَادَ تَوَثُّبَا
فَمَاجَنِي حَتَّى إِذَا مَا أَقَرَّنِي شَجَانِي بِأَنْكَى ثُمَّ رَاعَ بِأَنْكَبَا
وَقَالَ: عُضَالٌ مَا بِهَا، فَوَدِدْتُ لَوْ رَكِبْتُ إِلَيْهَا وَامِضَ البَرْقِ مُقْرَبَا
وَآلَيْتُ إِلَّا مَا حَثَثْتُ لِدَارِهَا جَنَاحَيْ شِرَاعٍ أَوْ بُخَارًا مُؤَهَّبَا
فَبَادَرَنِي بِالنُّصْحِ، قَالَ لِيَ: اتَّئِدْ وَلَا تَجْعَلَنَّ العَقْلَ لِلْجَهْلِ مَرْكَبَا
فَإِنَّكَ إِنْ وَافَيْتَهَا هَاجَ دَاءَهَا لِقَاؤُكَ، فَاسْتَعْصَى وَأَصْبَحَ أَعْطَبَا
وَإِنَّكَ إِنْ تَرْحَمْ شَبَابَكَ فَالَّذِي يَرَاهُ لَكَ الوَافُونَ أَنْ تَتَجَنَّبَا
وَإِنَّكَ مَرْجُوُّ العَزَائِمِ وَالنُّهَى لِتَرْقَى بِهَا فِي ذُرْوَةِ المَجْدِ مَنْصِبَا
وَإِنَّكَ إِنْ عَرَّضْتَ نَفْسَكَ مُوتِمٌ عُفَاةً وَأَطْفَالًا وَأُمَّكَ وَالأَبَا

* * *

(١) الخدن: الصديق (٢) أهاب: تكلم (٣) مارية: اسم مستعار

خليلَيَّ مَنْ لي بالتَّعقُّلِ والهُدَى   فأقوَى عَلَى نفْسِي بِهِ مُتَغلِّبا ؟
سأمضي إليها وليُصِبْنِي نَصيبُها   ولا يرْثِنِي صَحْبٌ ولا يبكِ أقرِبا
ولا أقضِ مذْكُوراً ذكائِي وقدْ عفا   ولا أمضِ مفقُوداً منارِي وقدْ خبا
لئنْ كانَ موتٌ في مُقبَّلِ ثغرِها   سأرشُفهُ مِنهُ شهيًّا مُطيّبا
خُلقنا لِكيْ نحيَى ونفنى في الهوَى   أليفَيْنِ يأبَى الحبُّ أنْ نتشعَّبا
فإنْ ساءنا دهرٌ أثيمٌ بفُرقةٍ   فزِعْنا إلى قبرٍ رحيمٍ فقرَّبا
وأحْبِبْ بِهذا الوَصْلِ بعْدَ انفِصالِنا   ويا موتُ أنتَ المُستغاثُ فمَرحَبا !

تكذيب النبأ

قال العاشق وقد بشره بشفاء حبيبته أصدقاء أرادوا تسكين جزعه

يا فرحاً بالرَّبيعِ والزَّهرِ   والجدولِ المُستظِلِّ في الخمَرِ
يا فرحاً بالنَّسيمِ يُطرِبُني   مِنْ غيرِ ما مِزهرٍ ولا وترِ
يا فرحاً بالعبيرِ يُسكِرُني   مِنْ كُلِّ كِمٍّ مُقبَّلٍ عطِرِ
يا فرحاً بالشَّبابِ أحسَبُهُ   يدُومُ حتَّى نهايةِ العُمُرِ
يا فرحاً بالحياةِ أجمعِها   بالنَّفعِ منها معاً وبالضَّرَرِ
في كُلِّ شيءٍ بها تجدَّدَ لي   معنًى أتَى مِنْ وراءِ مُنتظَرِي

وَكُلُّ مَا فِي الوُجُودِ يَحْسُنُ لِي ... مَا دُمْتِ فِي مَأْمَنٍ مِنَ الغِيَرِ
أَكَادُ مِمَّا اسْتَخَفَّنِي فَرَحِي ... أَطِيرُ فِي عَالَمٍ مِنَ الفِكَرِ

***

أَهْلاً بَشِيرَ الشِّفَاءِ ، قُلْ ، وَأَعِدْ ... مَا شِئْتَ تَفْصِيلَ ذَلِكَ الخَبَرِ
قَدْ كَذَبَ الطِّبُّ وَالطَّبِيبُ إِلَّا ... أَنَّهُمَا عِلَّتَانِ لِلبَشَرِ
مُشَعْوِذٌ طَائِفٌ بِشَعْوَذَةٍ ... أَخْسَرُ فِي عَقْلِهِ وَفِي البَصَرِ
يَحْمِلُ بِلَّوْرَةً لِيُدْرِكَ مَا ... نُدْرِكُهُ مِنْ مُجَرَّدِ النَّظَرِ
أَلحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهَا سَلِمَتْ ... وَأَفْلَتَتْ مِنْ مَخَالِبِ الخَطَرِ
لاَ كَسَلٌ فِي اتِّقَادِ أَعْيُنِهَا ... وَلاَ نُضُوبٌ فِي ثَغْرِهَا الخَصِرِ
وَلاَ اغْبِرَارٌ عَلَى ابْتِسَامَتِهَا ... مِنْ طُولِ لَيْلِ العَنَاءِ وَالسَّهَرِ
عَادَ إِلَيْهَا تَمَامُ رَوْنَقِهَا ... وَلَيْسَ لِلدَّاءِ فِيهِ مِنْ أَثَرِ
وَجْهٌ كَتُفَّاحَةِ الشَّآمِ إِذَا ... مَا رُوِّيَتْ مِنْ مَدَامِعِ المَطَرِ
وَمَبْسِمٌ تَبْسِمُ الحَيَاةُ بِهِ ... عَنْ قَانِئِ اللَّوْنِ سَاطِعِ الدُّرَرِ

***

إِنِّيَ رَاضٍ فَيَا زَمَانِيَ كُنْ ... عَلَى صَفَاءٍ أَوْ كُنْ عَلَى كَدَرِ
وَكُنْ مُنَاراً بِالنَّيِّرَيْنِ مَعاً ... أَوْ مُطْفَأَ الشَّمْسِ مُطْفَأَ القَمَرِ
لَمْ يَكُ فِي العُمْرِ لِي سِوَى وَطَرٍ ... فَمَا أُبَالِي إِذِ انْقَضَى وَطَرِي

الفصل الثانى

شقاء الحب

اشتد المرض على الفتاة فأودى بشبابها ونعيت
الى محبها فبكى واستبكى عليها بالقصائد التالية

مثال فى مرآة

مَنْ بِالمنُونِ لِوَالِهٍ صَبٍّ ذَاكِي الأَضَالِعِ مُقْلَقِ الجَنْبِ
لَيْتَ الرَّزِيئَةَ فِيكِ أَوْدَتْ بِي فَنَجَوْتُ مِنْ أَلَمِي وَمِنْ كَرْبِي
وَفَزِعْتُ مِنْ نَفْسِي إِلَى رَبِّي

يَا مُنْيَتِي مَا كُنْتُ بِالجَزِعِ فِي حَادِثٍ أَيَّامَ كُنْتِ مَعِي
وَالآنَ بِتُّ مُخَلَّدَ الفَزَعِ مَيْتاً بِلَا أَمَلٍ وَلَا طَمَعِ
حَيًّا بِذِكْرِ مَعَاهِدِ الحُبِّ

كُنَّا وَكَانَ الحُبُّ يَجْعَلُنَا مَلَكَيْنِ فِي فَلَكٍ يُجَلِّلُنَا
رُوحَيْنِ فِي رُوحٍ يُظَلِّلُنَا نُورَيْنِ فِي نُورٍ يُكَلِّلُنَا
مُتَقَلِّدَيْنِ قَلَائِدَ الشُّهْبِ

كُنَّا وَكَانَ الحُبُّ يَنْصِبُنَا مَلِكَيْنِ تَاجُ السَّعْدِ يَعْصِبُنَا
لَا شَيْءَ يَحْزُنُنَا وَيُغْضِبُنَا وَالدَّهْرُ يَخْدُمُنَا وَيَرْهَبُنَا
وَسَرِيرُنَا عَالٍ عَلَى السُّحْبِ

كُنَّا وَكَانَ الْحُبُّ يَجْمَعُنَا   إِلْفَيْنِ فِي الْفِرْدَوْسِ مَرْتَعُنَا
لَا شَيْءَ بَعْدَ الْحُبِّ يُطْمِعُنَا   لَا نَبْتَغِي أَمْرًا فَيُوجِعَنَا
إِخْفَاقُنَا فِي الْمَطْلَبِ الصَّعْبِ

كُنَّا كَغُصْنَيْ دَوْحَةٍ نَبَتَا   بَلْ زَهْرَتَيْ غُصْنٍ تَعَانَقَتَا
بَلْ حَبَّتَيْنِ بِزَهْرَةٍ نَمَتَا   وَتَسَاقَتَا لَمَّا تَعَاشَقَتَا
نَارَ الْغَرَامِ مَعَ النَّدَى الْعَذْبِ

***

تَمَّتْ سَعَادَتُنَا عَلَى قَدَرٍ   فَسَطَتْ عَلَيْهَا غَيْرَةُ الْقَدَرِ
أَوْدَتْ مَعًا بِالْعَيْنِ وَالْأَثَرِ   وَتَخَلَّفَ الْبَاقِي مِنَ الْخَبَرِ
ذِكْرَى وَتَبْصِرَةً لِذِي لُبِّ

فَكَأَنَّمَا الْمَلَكَانِ مَا نَعِمَا   وَكَأَنَّمَا الْمَلِكَانِ مَا حَكَمَا
وَكَأَنَّمَا النُّورَانِ مَا ابْتَسَمَا   أَعْجِبْ بِرُؤْيَا وَاهِمٍ وَهُمَا
تَمْضِي بِلَا بَدْءٍ إِلَى غِبِّ

وَكَأَنَّمَا الرُّوحَانِ مَا اعْتَلَقَا   وَكَأَنَّمَا الْإِلْفَانِ مَا اتَّفَقَا
وَكَأَنَّمَا الْغُصْنَانِ مَا اعْتَنَقَا   أَلدَّهْرُ يَكْذِبُ حَيْثُمَا صَدَقَا
مَا أَقْرَبَ الْمَاضِي إِلَى الْكِذْبِ

وَكَأَنَّنِي بِالزَّهْرَتَيْنِ مَعًا   وَهُمَا كَثَغْرٍ بَشَّ فَانْفَرَجَا

وَالحَبَّتَيْنِ إِذِ الهَوَى انقَطَعَا لُطْفاً لِجَمْعِهِمَا كَمَا جَمَعَا

مَا كُنَّ مِنْ زَهَرٍ وَلَا حَبِّ

زَالَتْ حَقِيقَـةُ ذَلِكَ الحُلُمِ وَقَضَى الأَبَرُّ الطَّاهِرُ الشِّيَمِ

مِنَّا فَرَاحَ فَرِيسَةَ العَـدَمِ وَظَلِلْتُ فِيهِ فَرِيسَةَ الأَلَمِ

حَتَّى يَمُنَّ اللهُ بِالقُرْبِ

***

فَقَدَتْ مَنْ كَانَتْ تَقَرُّ بِهَا عَيْنُ الْمُتَيَّمِ فِي تَقَرُّبِهَا

وَالنَّفْسُ تَشْقَى فِي تَغَيُّبِهَا فَتَظَلُّ حَـيْرَى فِي تَرَقُّبِهَا

مَحْبُوسَةً فِي مُقْلَةِ الصَّبِّ

فَقْدَ النُّفُوسِ عُذُوبَةَ الأَمَلِ فَقْدَ العُيُونِ النُّورَ وَهُوَ جَلِي

فَقْدَ العَزِيزِ العِزَّ لَمْ يَطُلِ فَقْدَ الفَـتَى الدُّنْيَا عَلَى عَجَلِ

إِذْ جَاءَهَا ضَيْفاً عَلَى الرَّحْبِ

بَلْ فَقْدَ مَحْرُورِ الفُؤَادِ ظَمِي قَطْراً يَبُلُّ أُوَارَ مُضْطَرِمِ

بَلْ فَقْدَ مُخْتَلِجٍ مِنَ الأَلَمِ آمَالُهُ بِنِهَايَةِ السَّقَمِ

وَعَزَاءُهُ المَوْكُولَ بِالطِّبِّ

مَاتَتْ وَكُلٌّ ضَاحِكٌ جَذِلُ مَا لِلْوَرَى وَلِمَوْتِ مَنْ جَهِلُوا؟

لا قَلْبَ يَبْكِيهَا وَلَا مُقَـلُ بَلْ نُبْلُهَا وَاللُّطْفُ وَالأَمَلُ

وَشَبَابُهَا وَطَهَارَةُ القَلْبِ

مَاتَتْ وَنُورُ الفَجْرِ مُرْتَسِمُ فِي المَاءِ فَهْوَ أَغَرُّ مُبْتَسِمُ
وَالرَّوْضُ زَاهٍ بِالنَّدَى شَبِمُ وَالطَّيْرُ تَصْدَحُ فِيهِ وَالنَّسَمُ
وَالزَّهْرُ وَالأَغْصَانُ فِي لَعِبِ

تِلْكَ المَحَاسِنُ فِي تَفَرُّدِهَا تِلْكَ الفَضَائِلُ فِي تَعَدُّدِهَا
تِلْكَ الشَّمَائِلُ فِي تَجَرُّدِهَا عَنْ كُلِّ شَائِبَةٍ بِمَوْرِدِهَا
أَنَّى تَبِيتُ وَدِيعَةَ التُّرْبِ

أَيْنَ الدُّمُوعُ تُدِرُّهَا السُّحُبُ ؟ أَيْنَ الحَمَامُ يَبِيتُ يَنْتَحِبُ ؟
وَلِمَنْ رِيَاضُ الأُنْسِ تَكْتَئِبُ ؟ وَلِمَنْ تُعِدُّ حِدَادَهَا الشُّهُبُ ؟
فَتَغِيبُ فِي سُودٍ مِنَ الحُجُبِ

وَعَلَامَ لَا خَوْفٌ وَلَا عَجَبُ ؟ وَعَلَامَ لَا نَوْحٌ وَلَا طَرَبُ ؟
مَنْ عَاشَ لَمْ تُكْتَبْ بِهِ كُتُبُ أَوْ مَاتَ لَمْ تُخْطَبْ لَهُ خُطَبُ
يُفْقَدْ بِلَا أَهْلٍ وَلَا صَحْبِ

مَرَّتْ بِهَذِي الدَّارِ وَانْصَرَفَتْ وَالنَّاسُ تَجْهَلُهَا لِمَا لَطُفَتْ
مَا خَطْبُهُمْ فِي وَرْدَةٍ قُطِفَتْ مِنْ رَوْضَةٍ ، أَوْ بَانَةٍ قُصِفَتْ
فِي عُنْفُوَانِ شَبَابِهَا الرَّطْبِ ؟

كَانَتْ لَهَا الدُّنْيَا بِمَا اشْتَمَلَتْ مِرْآةَ حُسْنٍ كَيْفَمَا انْتَقَلَتْ
حَتَّى إِذَا مَا عُوجِلَتْ فَجَلَتْ عَنْهَا صَفَتْ مِرْآتُهَا وَخَلَتْ
مِنْهَا وَمِنْ أَثَرٍ بِهَا يُنْبِي

إلى حبيب ميت

من ماتت بدائه

أقام العاشق زمناً وهو يتوهم أنه مصاب بالداء الذى ماتت به حبيبته وفى هذا قوله

عَفَاء لِهَذَا العَيْشِ مَالِي وَمَالَهُ وَقَدْ سَاء عِنْدِي مَا يُمِرُّ وَمَا يُحْلِي

أَأَخْشَى لِقَاءَ المَوْتِ وَالمَوْتُ مُنْقِذٌ وَأَحْرِصُ فِي الدُّنْيَا عَلَى الضَّيْمِ وَالذُّلِّ؟

عَدِمْتُ إِذاً قَلْبِي وَلَوْ كَانَ وَافِياً تَلَقَّى الرَّدَى كَالخِلِّ يَأْنَسُ بِالخِلِّ

وَلَكِنَّ بِي دَاءً أَلَانَ عَرِيكَتِي وَأَوْهَنَ مِنْ عَزْمِي وَأَضْعَفَ مِنْ نُبْلِي

تُوَاصِلُنِي الحُمَّى وَتُوشِكُ نَارُهَا تَأَجَّجُ فِي وَجْهِي وَفِي مَلْمَسِي تُصْلِي

وَرَأْسِيَ مَصْدُوعٌ وَصَدْرِيَ ضَائِقٌ وَجِسْمِي كَشَخْصٍ قَاتِمِ الرَّسْمِ مُنْحَلِّ

وَقَلْبِيَ مَسْمُوعُ الخُفُوقِ مُعَلَّقٌ بِمُنْهَدِمِ الأَرْكَانِ أَجْوَفَ مُعْتَلِّ

وَرَقَّتْ حَوَاشِي مُهْجَتِي وَتَلَطَّفَتْ بِعَيْنِيَ مَأْلُوفَاتُهَا حِينَ أَسْتَجْلِي

أَرَى خَلَلَ الأَشْيَاءِ رَسْمَ مُطَوَّحٍ بِهِ الغَيْبُ عَنِّي فِي بَعِيدٍ مِنَ السُّبْلِ

شِهَابٌ أُنِيرُ العُمْرَ حَتَّى لِقَائِهِ بِآثَارِهِ الغَرَّاءِ فِي القَلْبِ وَالعَقْلِ

* * *

حَبِيبَةَ قَلْبِي إِنْ تَكُونِي سَبَقْتِنِي فَحُزْنِيَ لَمْ يُسْبَقْ وَمَا لِلْهَوَى مِثْلِي

فَدَتْكِ بِالدَّاءِ الَّذِي هُوَ قَاتِلِي فَإِنْ سَاءَنَا بِالفَصْلِ أَسْعَدَ بِالوَصْلِ

كَأَنِّيَ مِنْ قَبْلٍ بَلَوْتُ عَذَابَهُ وَأَنْتِ الَّتِي عَانَيْتُهُ بِكِ مِنْ قَبْلِ

فيا عَهدَ سَعْدِى حِينَ كُنْتِ بجَانِبِي وَيا عُمُراً أَبقَيْتِ لِلحُزْنِ وَالثُّكْلِ
ويا شَمسَ قَبرٍ صَارَ مَطلَعَ نُورِهَا وَمَغْرِبَ صُبحٍ قَدْ تَحَجَّبَ بِالرَّمْلِ
عَلَيْكِ سَلَامُ العَاشِقِ المُدْنَفِ الَّذِى يَسِيرُ إِلى قَبرِ الحَبِيبِ عَلَى مَهْلِ

قصة وذكرى

خطرت له وقد سمع قينة تتغنى وتضرب العود

إِنَّ لِي قَلْباً خَفُوقاً وَاهِنَ العَزْمِ كَسِيرَا
يُشْبِهُ الطَّائِرَ مُنْهَا ضَ الجَنَاحَيْنِ أَسِيرَا
أَيُّهَا القَيْنَةُ يَهْنِيكِ الصِّبَى غَضًّا نَضِيرَا
وَاسْلَمِى دَهْراً طَوِيلًا وَاغْنَمِى سَعْداً وَفِيرَا
أَنْشِدِينِى لَحْنَ ثُكْلٍ وَاضْرِبِى صَوْتاً مُثِيرَا
يَسْتَعِرْ مِنْهُ جَنَاحَيْنِ فُؤَادِى لِيَطِيرَا
وَيَثِبْ حَتَّى يَفُوقَ الْ أَنْجُمَ العُلْيَا كَثِيرَا
وَيُحَلِّ الشُّهْبَ فِيهَا دُونَهُ ذَرًّا نَثِيرَا

* * *

إِنَّ لِي فِي الغَيْبِ إِلفاً قَدْ نَأَى عَنِّى نُفُورَا

حَجَبَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي عَنِّيَ الصُّبْحَ الْمُنِيرَا
مُنْيَةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ فِي خَاطِرِ الدَّهْرِ ضَمِيرَا
فَارَقَ الدُّنْيَا وَأَبْقَا نِي جَزُوعًا مُسْتَطِيرَا
أَبْتَغِي السَّعْيَ إِلَيْهِ حَيْثُمَا بَاتَ قَرِيرَا

***

فَإِذَا أَدْرَكْتُهُ أَطْفَأْ تُ مِنْ وَجْدِي السَّعِيرَا
وَاتَّحَدْنَا فَاغْتَدَيْنَا مَزْجَ رُوحَيْنِ سُرُورَا
وَتَأَلَّقْنَا عَلَى الدَّهْـــرِ نَسِيمًا وَعَبِيرَا
أَوْ شُعَاعًا إِنْ تَبَيَّنْــــتَ فَنُورٌ ضَمَّ نُورَا

***

إِنَّ لِي قَلْبًا خَفُوقًا وَاهِنَ الْعَزْمِ كَسِيرَا
يُشْبِـهُ الطَّائِرَ مُنْهَا ضَ الْجَنَاحَيْنِ أَسِيرَا
أَيُّهَا الْقَيْنَـةُ يَهْنِيــكِ الصِّبَى غَضًّا نَضِيرَا
وَاسْلَمِي دَهْرًا طَوِيلًا وَاغْنَمِي سَعْدًا وَفِيرَا
أَنْشِدِينِي لَحْنَ ثُـكْلٍ وَاضْرِبِي صَوْتًا مُثِيرَا
يَسْتَعِرْ مِنْهُ جَنَاحَيْــنِ فُؤَادِي لِيَطِيرَا
وَيَغِبْ حَتَّى يَفُوقَ الْـ أَنْجُمَ الْعُلْيَا كَثِيرَا
وَيَحُلَّ الشُّهْبَ فِيمَا دُونَهُ ذَرًّا نَثِيرَا

الأثر الباقي

عنّت له وقد مرض مرضاً عضالا

يا قَلْبُ مَاتَ بِكَ الغَرَامْ فَعَلَى بَقِيَّتِكَ السَّلَامْ
مَا تَنْفَعُ الكَأْسُ الَّتِي بَقِيَتْ وَقَدْ فَنِيَ المُدَامْ ؟
وَلَّى شَبَابُ النَّفْسِ إِنَّ شَبَابَهَا لَهُوَ الهُيَامْ
وَعَفَا الرَّجَاءُ فَلَا السُّهَادُ إِذَنْ يَطِيبُ وَلَا المَنَامْ
بَانَ الحَبِيبُ ، فَمَا صَفَا نِي فِي مُعَايَشَةِ الأَنَامْ ؟
وَلِمَنْ سَلِمْتُ وَحُبُّ مَنْ أَتَحَمَّلُ الكَرْبَ الجِسَامْ ؟

***

وَلَقَدْ أَكُونُ وَكُلُّ هَمِّي هَجْرُ يَوْمٍ أَوْ خِصَامْ
فَغَدَوْتُ أَصْمَانِي الرَّدَى بِأَشَدِّ مَا تُصْمِي السِّهَامْ
فِي خَيْرِ شَطْرَيْ مُهْجَتِي أَوْلَاهُمَا أَنْ لَا يُضَامْ
وَمُنِيتُ بِالهَجْرِ الَّذِي لَا مُلْتَقَى مَعَهُ يُرَامْ
فَعَجِبْتُ أَنِّي كُنْتُ أَشْكُو حَادِثاً قَبْلَ الحِمَامْ
أَسَفِي عَلَى عَهْدٍ مَضَى وَلْيَسْقِهِ صَوْبُ الغَمَامْ
فَأَحَرُّهُ فِي جَنْبِ مَا أَنَا فِيهِ شَافٍ لِلأُوَامْ
أَسَفِي عَلَى حُبٍّ بَرَى هَذَا الفُؤَادَ المُسْتَهَامْ

فَعَذَابُهُ عَذْبٌ وَنَا رُ أَسَاهُ بَرْدٌ فِي سَلَامْ
أَسَفِي عَلَى جُرْحِي القَدِيـ ـمِ وَلَيْتَ ذَاكَ الْجُرْحِ دَامْ
فَلَقَدْ شُفِيتُ وَمُنْيَتِي لَوْ ظَلَّ قَلْبِي وَهْوَ دَامْ
لَا كَانَ لِي هَذَا الشِّفَا ءُ وَحَبَّذَا ذَاكَ السَّقَامْ

***

اللهَ فِي صَدْرِي وَهَى وَتَقَوَّسَتْ مِنْهُ العِظَامْ
خَاوٍ كَجَوْفِ الغَارِ تَمْـ ـلَؤُهُ المَخَاوِفُ وَالظَّلَامْ
إِلَّا سِرَاجًا حَائِلًا فِيهِ يُنِيرُ بِلَا ابْتِسَامْ
رُوحٌ تُضِيءُ عَلَى ضَرِيـ ـحٍ فِي صَمِيمِ القَلْبِ قَامْ
تَحْنُو عَلَيْهِ كَأَنَّهُ مَهْدٌ لِطِفْلٍ فِيهِ نَامْ
وَبِهِ تَحُفُّ مَلَائِكٌ لِلذِّكْرِ حُفَّاظُ الذِّمَامْ
بِيضٌ مُجَنَّحَةٌ خِفَا فٌ شِبْهُ سِرْبٍ مِنْ حَمَامْ
يُؤْنِسْنَهُ بِوُثُوبِهِنَّ وَشَدْوِهِنَّ عَلَى الدَّوَامْ
رُسُلٌ نَوَاقِلُ بَيْنَنَا مَا لَا يُحِيطُ بِهِ الكَلَامْ
مِمَّا أَرَاهُ فِي الحَيَا ةِ وَمَا يَرَاهُ فِي المَنَامْ

***

فَكَأَنَّنِي رَسْمٌ مُحِيـ ـلٌ فِيهِ أَعْمِدَةٌ قِيَامْ
بَيْتٌ عَتِيقٌ شِيدَ فِيـ ـهِ لِعَابِدٍ وَرِعٍ مَقَامْ

أبـلاهُ دهرٌ لم يدعْ منهُ سوى الأثرِ الحرامْ
تمثالُ حسنٍ ظاهرٍ لهوًى قضى وجوًى أقامْ

المنديل

وجد العاشق يوماً وهو يقلب ملابسه فى صوانه منديلا أبلاه مرور أعوام عليه ولم يسلم منـه إلا الموضع الذى طرز عليه حرفان مشتبكان من اسم حبيبته . فاستبكى لذلك شاعره بقوله

أعِدْ أيُّهَا المِنْدِيلُ ذِكْراً مُحَبَّبَا وَأَنْطِقْ بِهِ الطِّيبَ الَّذِى فِيكَ مُطْرِبَا
وَأَطْنِبْ بِمَا تَحْكِيهِ عَنْهَا فَإِنَّهُ إِذَا سَاء إِطْنَابٌ حَبَبْتُكَ مُطْنِبَا
فَذَلِكَ ذِكْرُ الْحُبِّ أَنْتَ تُعِيدُهُ بَلِ العُمْرِ أَشْهَى مَا يَكُونُ وَأَعْذَبَا
وَمَا بِكَ مِنْ نَشْرٍ فَفِي القَلْبِ مِثْلُهُ طَوَاهُ الهَوَى قِدْماً وَمَا زَالَ طَيِّبَا
لَزِمْتَ صِوَانِي خَافِياً مُنْذُ عَهْدِهَا كَأَنَّكَ سِرٌّ فِي الطَّوِيَّةِ غُيِّبَا
فَمَا آنَسَتْكَ العَيْنُ مِنِّى وَلَمْ يَكُنْ لِقَاؤُكَ فِي ظَنِّي وَقَدْ بِنْتَ أَحْقُبَا
وَمِثْلُكَ قَدْ يَخْفَى وَلَيْسَ نَسِيجُهُ بِأَضْخَمَ مِمَّا فِي شُعَاعٍ مِنَ الهَبَا
كَأَنَّ الرَّشَاشَ الْمُسْتَدَقَّ مِنَ النَّدَى نَسِيلٌ لَهُ حَاكَتْهُ نَاسِجَةُ الصَّبَا

***

وَقَالُوا غَدَاةَ البَيْنِ سَلْوَاكَ فِي غَدٍ فَمَنْ عَاقَ هَذَا الدَّهْرَ أَنْ يَتَوَثَّبَا ؟

أُقَلِّبُ فِيهِ نَاظِرِيَّ فَلَا أَرَى لَيَالِيَهُ دُهْمًا وَلَا الصُّبْحَ أَشْهَبَا

لَزِمْتُ مَكَانِي وَالزَّمَانُ مُجَانِبِي يَدُورُ حَوَالَيَّ قُطْبِهِ مُتَقَلِّبَا

وَمَرَّتْ بِيَ الأَعْوَامُ كُثْرًا طَوِيلَةً فَمَا خَفَّفَتْ وِقْرًا مِنَ العَيْشِ مُتْعِبَا

تُعَاوِدُنِي أَيَّامُهَا وَفُصُولُهَا فَلَا رَاجِيًا تَلْقَى وَلَا مُتَهَيِّبَا

وَهَلْ بَعْدَ « لَيْلَى » حَادِثٌ فَأَخَافَهُ وَهَلْ بَعْدَهَا سَعْدٌ يُظَنُّ فَأُرْقَبَا

تَشَاكَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ جَمِيعُهَا أَرَاهَا وَلَكِنْ لَا أَرَى لِيَ مَأْرَبَا

لَسِيَّانِ عِنْدِي صَيْفُهَا وَرَبِيعُهَا وَسِيَّانِ عِنْدِي مَا أَضَاءَ وَمَا خَبَا

إِذَا أَيْنَعَتْ رَوْضٌ فَمَا حَظُّ نَاظِرٍ يَرَى خَلَلَ الرَّوْضِ الشَّقَاءَ مُنَقِّبَا

وَإِنْ جُرِّدَتْ ثُمَّ اسْتَعَادَتْ حُلِيَّهَا فَمَنْ لِي بِآمَالِي وَهَلْ يَرْجِعُ الصِّبَى؟

وَكَيْفَ أُبَالِي زِينَةَ الشُّهْبِ فِي الدُّجَى طَلَعْنَ وَلَمْ يَجْلُ الهَوَى لِيَ كَوْكَبَا ؟

وَكَيْفَ أُبَالِي رَوْنَقَ الصُّبْحِ إِنْ بَدَا وَكَانَ الَّذِي أَهْوَاهُ عَنِّي مُغَيَّبَا ؟

* * *

فَيَا لَكِ أَعْوَامًا تَوَالَتْ صُرُوفُهَا وَلَمْ تَنْفِ عَنِّي شَاغِلًا لِيَ مُنْصِبَا

دَخَلْتُ بِهَا غِرًّا كَمَا تَشْتَهِي المُنَى وَعُدْتُ كَمَا يَهْوَى الشَّقَاءُ مُجَرِّبَا

أَرَانِي زَمَانِي سِرَّهُ وَهُوَ الأَذَى فَأَدَّبَنِي وَالشَّرُّ خَيْرٌ مُؤَدِّبَا

وَشَفَّتْ طَوَايَا النَّاسِ لِي عَنْ حَقِيقَةٍ تَسُوءُ إِذَا مَا ظَاهِرُ النَّاسِ أَعْجَبَا

* * *

رَأَيْتُ حُرُوبًا أَوْقَدَ الظُّلْمُ نَارَهَا فَمَادَتْ لَهَا الآفَاقُ وَاهْتَزَّتِ الرُّبَى

جرَتْ مهجُ الأبطَالِ فِيهَا زَكِيَّةً كَأَنَّ الثَّرَى بِالأُرْجُوَانِ تَجَلْبَبَا
إذَا الشَّمْسُ جَرَّتْ فَوْقَهُ ثَوْبَ نُورِهَا تَقَلَّصَ ذَاكَ الثَّوْبُ بِالدَّمِ مُشْرَبَا

* * *

رَأَيْتُ أَسَاطِينَ السِّيَاسَةِ حَلَّقُوا فَخِلْتُ لَهُمْ عِنْدَ الْمَجَرَّةِ مَطْلَبَا
وَلكِنْ أَسَفُّوا بَعْدَ حِينٍ كَأَنَّهُمْ نُسُورٌ هَوَتْ تَبْغِي مِنَ الدَّمِ مَشْرَبَا

* * *

رَأَيْتُ أَحِبَّاءَ تَوَلَّوْا ، وَأُسْرَةً قَضَوْا ، وَفَرِيقاً كَالزَّمَانِ تَقَلَّبَا
فَرُحْمَاكَ رَبِّي لِلَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ وَصَفْحَكَ عَمَّنْ خَانَ عَهْدِيَ مُذْنِبَا

* * *

وَقَارَعْتُ فُرْسَاناً قَرَعْتُ صُفُوفَهُمْ بِأَسْمَرَ مَاضٍ فِي الأَسِنَّةِ أَهْيَبَا
كَأَنَّ طُرُوساً ضُمِّنَتْ غَزَوَاتِنَا مَيَادِينُ فِيهَا أَحْدَثَ الحِبْرُ غَيْهَبَا
مَدَارُ بِهَا أَقْلامُنَا كَذَوَابِلٍ وَيَقْذِفُ فِيهَا مَوْكِبُ العِلْمِ مَوْكِبَا
وَيُوشِكُ إِبْرَاقُ الخَوَاطِرِ أَنْ يُرَى خِلَالَ مِدَادٍ لَمْ يُطِقْهُ مُحَجَّبَا

* * *

وَكَمْ عَرَضَتْ لِي غَانِيَاتٌ فَعِفْتُهَا وَصُنْتُ ضَمِيرِي وَاللِّسَانَ الْمُشَبِّبَا
وَكَمْ بَلَدٍ وَافَيْتُهُ مُتَلَهِّياً فَغَادَرْتُهُ أَدْمَى فُؤَاداً وَأَكْأَبَا
وَمَا زَالَ هَذَا الحُبُّ فِيَّ مُؤَيَّداً مَكِيناً نَبَتْ عَنْهُ السُّنُونَ وَمَا نَبَا
وَمَا زِلْتَ يَامَنْدِيلَ « لَيْلَى » مُلازِمِي تُنَشِّقُنِي الذِّكْرَى نَسِيماً مُطَيَّبَا
أَصَابَكَ نَابٌ قَارِضٌ مِنْ فَمِ البِلَى إِلَى مَوْضِعٍ فِيهِ اسْمُهَا فَتَجَنَّبَا
وَغَالَ فُؤَادِي البَيْنُ إِلَّا بَقِيَّةً قَضَى الحُبُّ أَنْ أَحْيَا بِهَا فَأُعَذَّبَا

دمعة

على قصيدة

قالوا الربيع شباب الدهر
والشباب ربيع العمر

عَادَ الرَّبِيعُ وَحَبَّذَا عَوْدُ الرَّبِيعِ إِلَى الرُّبُوعْ
عَوْدٌ تُسَرُّ بِهِ الخَلَا ئِقُ وَهْوَ عِيدٌ لِلْجَمِيعْ
بَسَطَتْ سَنَادِسَهَا الرِّيَا ضُ وَأَوْرَقَتْ فِيهَا الفُرُوعْ
وَازَّيَّنَتْ أَثْوَابُهَا بِزَخَارِفِ الوَشْيِ البَدِيعْ
مَا بَالُ قَلْبِي آسِفًا كَلِفًا بِإِقْلَاقِ الضُّلُوعْ؟
فَكَأَنَّ جَنْبِيَ مَهْدُهُ وَكَأَنَّهُ عَانٍ ضَجِيعْ
يَبْغِي الشِّفَاءَ مَعَ الوُلُو عِ، وَلَا شِفَاءَ مَعَ الوُلُوعْ
وَلَوَ أَنَّهُ رَامَ السُّلُـ وَّ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعْ
أَلِفَ الصَّبَابَةَ فَهْيَ أُمٌّ مُرْضِعٌ وَهْوَ الرَّضِيعْ
وَالطِّفْلُ يَشْقَى بِالفِطَا مِ فَإِنْ يَسُمْهُ فَمَا يُطِيعْ
يَا لَلرَّبِيعِ وَزَهْرُهُ شَوْكٌ وَأَنْهُرُهُ دُمُوعْ
يَا لَلشَّبَابِ وَلَا سُرُو رَ وَلَا عَزَاءَ وَلَا هُجُوعْ
مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الحَبِيـ ـبِ فَلَا شَبَابَ وَلَا رَبِيعْ

قالت

سُرِرْتُ فِي الْعُمْرِ مَرَّهْ وَكُنْتِ أَنْتِ الْمَسَرَّهْ
كَانَتْ حَيَاتِيَ رَوْضاً وَكُنْتِ فِي الرَّوضِ نَضْرَهْ
وَكَانَ غُصْناً شَبَابِي وَكُنْتِ فِي الْغُصْنِ زَهْرَهْ
وَكَانَ فِكْرِي سَمَاءً وَكَانَ حُبُّكِ فَجْرَهْ
وَكَانَ حُسْنُكِ يُوحِي إِلَى يَرَاعِيَ سِرَّهْ
وَكَانَ لَحْظُكِ يُهْدِي إِلَى بَيَانِيَ سِحْرَهْ
وَكَانَ ثَغْرُكِ يُمْلِي عَلَى سَمَاعِيَ دُرَّهْ
وَكَانَ طِيبُكِ يُهْدِي إِلَى ثَنَائِيَ نَشْرَهْ
وَكُنْتِ لِلرُّوحِ رَوْحاً وَكُنْتِ لِلْعَيْنِ قُرَّهْ
قَدْ كَانَ هَذَا وَلَكِنْ مَضَى وَأَخْلَفَ حَسْرَهْ
فَبِتُّ لَا شَيْءَ إِلَّا حَالَيْنِ: ذِكْرَى وَعِبْرَهْ

انتهت حكاية العاشقين

الجنين الشهيد

هى قصة جرت فى مصر حضر الناظم وقائعها كما شهد حكاية العاشقين
ووصفها بحقيقتها لتكون تذكرة وعبرة

أَتَتْ مِصْرَ تَسْتَعْطِي بِأَعْيُنِهَا النُّجْلِ وَعَرْضِ جَمَالٍ لَا يُقَاسُ إِلَى مِثْلِ
غَرِيبَةُ هَذِي الدَّارِ بَادِيَةُ الذُّلِّ جَلَتْ طِفْلَةً عَنْ مَوْطِنٍ نَاضِبٍ مَحْلِ
إِلَى حَيْثُ يُرْوِي النِّيلُ بَاسِقَةَ النَّخْلِ

فَلَاحِيَّةٌ مَا دَرَّهَا ثَدْيُ أُمِّهَا سِوَى ضَعْفِهَا البَادِي عَلَيْهَا وَهَمِّهَا
وَلَمْ تَتَنَاوَلْ مِنْ أَبِيهَا سِوَى اسْمِهَا وَمَا أَحْرَزَتْ مِنْ أَهْلِهَا غَيْرَ يُتْمِهَا
وَأَشْقَى اليَتَامَى فَاقِدُ البِرِّ فِي الأَهْلِ

فَكَانَتْ كَنَامِي الغَرْسِ يَزْكُو وَيَنْضُرُ وَمَطْعَمُهُ طِينٌ وَمَسْقَاهُ أَكْدَرُ
يُحِيطُ بِهَا دَوْحَانِ : شَيْخٌ مُعَمَّرُ وَأُمٌّ عَجُوزُ القِشْرِ «وَاللُّبُّ أَخْضَرُ»[1]
تَبِيعُهُمَا قُوتاً بِشَوْءٍ مِنَ الظِّـلِّ

فَمِنْ صُبْحِهَا تَسْعَى لِجَنْيٍ وَمُكْتَدَى وَفِي لَيْلِهَا تَقْضِي الَّذِي يُبْتَغَى غَدَا
كَمَا كَانَ عَبْدُ الرِّقِّ جِنْحاً وَمُغْتَدَى يُوَاصِلُ مَسْعَاهُ لِيَخْدُمَ سَيِّدَا
وَيُوسِعُهُ رِزْقاً وَيُغْذَى مِنَ الثُّفْلِ[2]

---

(١) دوحان : شجرتان كبيرتان إشارة الى أبيها وأمها (٢) الثفل : رذال الطعام

قَضَتْ هَكَذَا بَيْنَ الأَسَى وَالْمَتَاعِبِ صِبَاهَا وَلَمَّا تَعْدُ بَيْنَ الكَوَاعِبِ
فَصَحَّتْ كَنَبْتِ الطَّوْدِ بَيْنَ المَعَاطِبِ وَمَدَّتْ إِلَى حَيْثُ الثَّرَى غَيْرُ نَاضِبِ[1]
جُذُوراً إِذَا أَنْهَلْنَهَا عُدْنَ بِالعَلِّ[2]

فَيَا لَقُوَى التَّمْكِينِ فِي جِسْمِ سَالِمِ يُقَاوِمْنَ دُونَ العُمْرِ كُلَّ مُقَاوِمِ
يُجَاذِبْنَ بِالأَوْرَاقِ دَرَّ الغَمَائِمِ يُهَابِطْنَ بِالأَعْرَاقِ ذَرَّ المَنَاجِمِ
خِفَافاً إِلَى ضَمٍّ صِعَاباً عَلَى الحَلِّ

يَمُرُّ بِهَا عَهْدُ الصِّبَى وَالتَّدَلُّلِ عَلَى شَظَفٍ فِي عَيْشِهَا وَتَذَلُّلِ
وَكَمْ جُرِّعَتْ مِنْ صَبْرِهَا كَأْسَ حَنْظَلِ وَكَمْ نَالَهَا صَرْفٌ مِنَ الدَّهْرِ مُبْتَلِي
فَطَالَ عَلَيْهَا لَا يُمِيتُ وَلَا يُسْلِي

وَكَمْ ضَاجَعَ الجُوعُ الأَثِيمُ بَهَاءَهَا فَقَبَّلَهَا حَتَّى أَجَفَّ دِمَاءَهَا
وَكَمْ سَاعَفَ الحَرُّ الْمُذِيبُ شَقَاءَهَا وَكَمْ نَازَعَ البَرْدُ الشَّدِيدُ بَقَاءَهَا
نَوَائِبُ تَأْتِي كَاللَّيَالِي وَتَسْتَخْلِي

أَتَرْنَ نُهَاهَا فِي اعْتِكَارِ التَّجَارِبِ بِنِيرَانِهِنَّ المُحْرِقَاتِ الثَّوَاقِبِ
صُغْنَ لَهَا مِنْ فَحْمِ تِلْكَ الغَيَاهِبِ ذَكَاءً مِنَ المَاسِ الْمُضِيءِ الجَوَانِبِ
بِهِ تَجْتَلِي مَا لَا تَرَى أَعْيُنُ النَّمْلِ

---

(١) ناضب : جاف (٢) العل : الري

دَعَاهَا بِلَيْلَى وَالِدَاهَا لِتُنْكَرَا   وَهَلْ كَانَ صَوْناً لِاسْمِهَا أَنْ يُغَيَّرَا ؟
عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مِثَالًا مُصَوَّرَا   تَصَوَّرَ مِنْ مَاءِ الْجَمَالِ مُقَطَّرَا
فَحَلَّاهُ مَا تَهْوَى الْمُنَى وَبِهِ حُلِّي

يُسَرُّ بِمَرْأَى حُسْنِهَا كُلُّ سَابِلِ   فَيَنْفَحُهَا مِنْ مَالِهِ غَيْرَ بَاخِلِ
وَكَمْ مُدْقِعٍ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ سَائِلِ   يَرُدُّ يَدَيْهِ لَا يَفُوزُ بِنَائِلِ
وَلَا جُودَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا عَلَى دَخْلِ[1]

تَحِنُّ إِلَى الصُّقْعِ الَّذِي لَمْ يَبَرَّهَا   وَجَرَّعَهَا صَابَ الْحَيَاةِ وَمُرَّهَا
نَأَتْ وَنَأَى أَتْرَابُهَا عَنْهُ كُرْهَا   وَلَكِنْ هِيَ الأَوْطَانُ تُحْمَدُ ضُرُّهَا
وَتُهْوَى الأَذَى فِيهَا وَلَا النَّفْعَ إِنْ تُجْلِ

عَلَى أَنَّهُ صُقْعٌ شَحِيحُ الْجَدَاوِلِ   عَقِيمُ الثَّرَى لَكِنَّهُ جِدُّ آهِلِ
جَدِيبٌ خَصِيبٌ بِالْبُطُونِ الْحَوَامِلِ   وَمَا تَقْذِفُ الأَمْوَاجُ فِي مَتْنِ سَاحِلِ
مِنَ الرَّمْلِ مَا يَقْذِفْنَ فِيهِ مِنَ النَّسْلِ

يُعِدُّ بَنِيهِ لِلتَّبَارِيحِ وَالْفَنَا   إِذَا لَمْ يَرُودُوا كُلَّ أُفْقٍ مِنَ الدُّنَى
فَيَتَّخِذُونَ التِّيهَ فِي الأَرْضِ مَوْطِنَا   وَهُمْ كَالدَّبَى الْغَرْثَى نُفُوساً وَأَبْطُنَا
إِذَا نَزَلُوا خِصْباً فَبَشِّرْهُ بِالْمَحْلِ

فَلَا تُنْكِرُ الأَزْوَاجُ بَغْيَ نِسَائِهَا   وَلَا تُكْبِرُ الزَّوْجَاتُ خَلْعَ حَيَائِهَا

(١) دخل : ريبة

وَوُلْدٍ خَلَتْ آبَاؤُهَا عَنْ إِبَائِهَا   تَسَاوَمُ فِي حُسْنِ الوُجُوهِ وَمَلْثِهَا
وَتَنْمُو عَلَى سُوءِ المُمَاطَلَةِ وَالْخَتْلِ

***

كَذَا أُدِّبَتْ « لَيْـلَى » فَطِيمًا وَعَالَهَا   ذَوُوهَا لِيُضْحُوا بَعْدَ حِينٍ عِيَالَهَا
فَتُطْعِمُهُمْ مِنْ خِزْيِهَا مَا جَنَى لَهَا   وَتَكْسُوهُمْ مِمَّا تُعَرَّى جَمَالَهَا
وَتَحْمِلُ مَا فِي العَيْشِ عَنْهُمْ مِنَ الثِّقْلِ

وَلَكِنَّ فِي نَفْسِ الصَّغِيرِ المَسَاوِيَا   يُمَاثِلْنَ بِالحُسْنِ الخِصَالَ الزَّوَاهِيَا
كَأَوَّلِ نَبْتِ الحَقْلِ يَجْمُلُ نَامِيًا   وَلَا تَفْرُقُ العَيْنُ الغَرِيبَ المُضَاهِيَا
مِنَ النَّبْتِ إِلَّا فِي أَوَانِ جَنَى الحَقْلِ

فَلَمْ يَكُ فِي « لَيْـلَى » سِوَى مَا يُحَبَّبُ   بِهَا مِنْ مَعَانِيهَا الجِيَادِ وَيُعْجِبُ
وَكَانَتْ عَلَى الأَيَّامِ تَنْمُو وَتَعْذُبُ   كَمُثْمِرَةِ الأَغْصَانِ وَالطَّلْعُ طَيِّبُ
يُبَشِّرْنَ فِي فَصْلٍ وَيَعْقِدْنَ فِي فَصْلِ

إِلَى أَنْ غَدَتْ فِي أَعْيُنِ المُتَوَسِّمِ   تُنِيرُ كَنُورِ الشَّارِقِ المُتَبَسِّمِ
مُنَعَّمَةَ الأَعْطَافِ لَا عَنْ تَنَعُّمِ   مُتَمَّمَةً أَوْصَافُهَا لَمْ تُتَمَّمِ
بِحَلْيٍ وَلَمْ تُصْلَحْ بِطَلْيٍ وَلَا صَقْلِ

ضُرُوبُ جَمَالٍ لَوْ رَأَتْهَا أَمِيرَةٌ   رَأَتْ كَيْفَ تَعْلُوهَا فَتَاةٌ حَقِيرَةٌ

وَكَيْفَ حَوَتْ جَاهَ المُلُوكِ فَقِيرَةٌ مُضَوَّرَةٌ مِمَّا تَجُوعُ ، جَدِيرَةٌ
بِإِحْسَانِ أَرْبَابِ المَبَرَّاتِ وَالبَذْلِ

بَهَاءٌ بِهِ يَسْمُو عَلَى الجَاهِ فَقْرُهَا وَعُرْيٌ بِهِ يُزْرِي الجَوَاهِرَ نَحْرُهَا
وَثَوْبٌ عَتِيقٌ إِنْ فَشَا مِنْهُ سِرُّهَا أَبَاحَ كُنُوزاً لِلنَّوَاظِرِ صَدْرُهَا
يُحَرِّمُهَا جِنٌّ تَرَصَّدَ بِالنَّبْلِ

وَرَأْسٌ إِذَا مَا زَانَهُ تَاجُ شَعْرِهَا فَأَشْرَفَ مِنْ عَرْشٍ غَضَاضَةُ قَدْرِهَا
وَقَدْ تَشْتَرِيهِ ذَاتُ تَاجٍ بِفَخْرِهَا وَتَرْضَى بِهِ تَاجًا كَرِيمًا لِفَقْرِهَا
مُعَوِّضَةً خَيْراً مِنَ الكُثْرِ بِالقُلِّ

***

وَقَالَ أَبُوهَا يَوْمَ تَمَّ شَبَابُهَا وَحِيكَ لَهَا مِنْ نُورِ فَجْرٍ إِهَابُهَا :
أَيَا أُمَّ لَيْلَى حَسْبُ «لَيْلَى» عَذَابُهَا تَوَفَّرَ مَسْعَاهَا وَقَلَّ اكْتِسَابُهَا
وَأَسْأَمَ تَكْرَارُ السُّؤَالِ ذَوِي الفَضْلِ

أَرَاهَا أَصَحَّ الآنَ جِسْمًا وَأَجْمَلَا فَحَتَّامَ لَا نَجْنِي جَنَاهَا المُؤَمَّلَا
نَمَتْ وَنُمُوُّ الفَقْرِ يَأْتِي مُعَجَّلَا وَلَمْ أَرَ فِي الإِعْسَارِ كَالحَانِ مَوْئِلَا
لِمَنْ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ مِنْ أَقْرَبِ السُّبْلِ

فَقَالَتْ لَهَا أُمٌّ شَدِيدٌ دَهَاؤُهَا سَخِيٌّ مَآقِيهَا سَرِيعٌ بُكَاؤُهَا :

بُنَيَّةُ هذى الحالُ أعضَلَ داؤُهَا وأَنتِ لنا دُونَ الأنامِ دَوَاؤُهَا
أغيرَكِ نَرْجُو لِلمَعُونَةِ والكِفْلِ؟

فقَالَتْ: أشِيرِى يا أُمَيْمَةُ إنَّنِى لفاعِلَةٌ ما شِئْتِهِ فَأْمُرنَّنِى
وما تُؤْثِرِيهِ أختَرْهُ وأتقِنِ وكُلُّ الذى فيهِ رِضَاكِ يَسُرُّنِى
فَرَوحُكُما هَمِّى وعِزُّكُما شُغْلِى

فقَالَتْ لَهَا: إنَّا نَرَى لكِ مِهْنَةً تُعِيدُ علينَا نِعْمَةَ العَيْشِ مِنَّةً
تَكُونِينَ فِيهَا لِلنَّوَاظِرِ جَنَّةً ولِلشَّارِبِينَ المُسْتَهَامِينَ فِتْنَةً
فَتَرْقَيْنَ أَوْجَ السَّعْدِ مِنْ مُرْتَقًى سَهْلِ

«تَخَيَّرْ لَهَا يَا أُمَّهَا العُدْمُ والطَّوَى مِنَ السَّعْدِ تُهْدِيهِ إِلَيْهَا يَدُ الهَوَى
وَأَوْلَى بِهَا مِنْ أَنْ تُذالَ فتَضعُفَوا مُعانَاةُ هَمٍّ نَاصِبٍ يُوهِنُ القُوَى
وَسَيْرٌ عَلَى شَوْكِ القَتَادِ بِلَا نَعْلِ»

كَذَلِكَ نَاجَاهَا الضَّمِيرُ مُؤَنِّبَا وَلَكِنَّ جُوعَ النَّفْسِ فِيهَا تَغَلَّبَا
فَرَدَّ إِلى الصَّمْتِ الضَّمِيرَ مُخَيَّبَا وَأَلْقَى بِتِلكَ البِنْتِ فِي أَوَّلِ الصِّبَا
إلى حَيْثُ يَخْشَى نَاسِكٌ زَلَّةَ الرِّجْلِ

* * *

فَمَرَّ بِهَا فِي حَانَةٍ نَفَرٌ أُولُو مُجُونٍ دَعَتْهُمْ بِالرُّمُوزِ فَأَقْبَلُوا

وَحَيَّوْا فَحَيَّتْهُمْ وَفِيهَا تَدَلُّلُ فَقَالَ فَتًى : مَا لِلْمَلِيحَةِ تَخْجَلُ ؟
وَحَيْثُ تَسَكُّنْ تَنْزِلْ عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّهْلِ ؟

تَسَمَّيْنَ يَا حَسْنَاءُ . قَالَتْ تَحَبُّبًا : أَنَا اسْمِي لَيْلَى هَلْ تَرَى اسْمِي مُعْجِبًا ؟
فَقَالَ : لَئِنْ أَنْشَدْتِهِ الصَّخْرَ أَطْرَبَا بِرِقَّةِ هَذَا الصَّوْتِ ، أَوْ رَاهِبًا صَبَا
أَوِ الثَّاكِلَ اعْتَاضَ السُّرُورَ مِنَ الثُّكْلِ

وَقَالَ فَتًى : مَا شَاءَ رَبُّكِ أَحْكَمَا جَمَالَكِ يَا « لَيْلَى » فَجَاءَ مُتَمَّمَا
رَأَيْتُ وَلَكِنْ لَا كَثَغْرِكِ مَبْسِمَا وَلَا مِثْلَ هَذِي الْعَيْنِ تُرْوِي عَلَى ظَمَا
وَلَا كَحَلًا فِي الْجَفْنِ أَفْضَحَ لِلْكُحْلِ

فَلَمَّا سَقَتْهُمْ قَالَ نَشْوَانُ يَمْزَحُ : أَتَسْقِينَنَا رَوْحًا وَجَفْنُكِ يَذْبَحُ ؟
وَمَدَّ يَدًا مِنْهُمْ فَتًى مُتَوَقِّحُ إِلَيْهَا ، فَجَافَتْ ثُمَّ صَافَتْ لِيَسْمَحُوا
لَهَا بِمَزِيدٍ مِنْ شَرَابٍ وَمِنْ نُقْلِ

وَقَالَتْ بِقَوْلٍ فَارْقُبُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا وَلَكِنْ أَشَارَ اللَّحْظُ أَنْ لَا تُصَدِّقُوا
فَأَضْحَكَهُمْ هَذَا الْعَفَافُ الْمُلَفَّقُ وَقَالَ فَتًى : شَأْنُ الرَّحِيقِ يُعَتَّقُ
وَلَكِنَّ تَعْتِيقَ الْعَفَافِ مِنَ الْخَبْلِ

فَتَابَعَهُ ثَانٍ وَقَالَ تَفَنُّنًا : أَمَا زِلْتِ بِكْرًا ؟.. بِئْسَمَا الدَّيْرُ هَهُنَا
وَلَكِنَّمَا الْأَثْمَارُ تُخْلَقُ لِلْجَنَى وَإِلَّا فَقُبْحٌ أَنْ تَطِيبَ وَتَحْسُنَا
إِلَى أَنْ تَرَاهَا ذَابِلَاتٍ عَلَى الْأَصْلِ

وَعَقَّبَ مَزَّاحٌ بِأَدْهَى وَأَغْرَبِ أَأُخْبِرُكُمْ مَا البِكْرُ فِي خَيْرِ مَذْهَبِ ؟
هِيَ الكَأْسُ فَارْشِفْ مَا تَشَاءُ وَقَلِّبِ فَإِنْ هِيَ لَمْ تُعْطَبْ فَلَسْتَ بِمُذْنِبِ
وَإِنْ كَدُرَتْ عَادَتْ إِلَى الصَّفْوِ بِالغَسْلِ

وَكَانَ رَفِيقٌ مِنْهُمُ مُتَأَلِّمَا يَرَى آسِفاً ذَاكَ الدُّعَابَ الْمُذَمَّمَا
وَتِلْكَ الفَتَاةَ البِكْرَ خُلْقاً مُثَلَّمَا وَعِرْضاً غَدَا تَثْلِيمُهُ مُتَحَتِّمَا
فَقَالَ : « ارْبَأُوا جَاوَزْتُمُ الحَدَّ فِي الهَزْلِ

لَئِنْ جَازَ مَسُّ البِكْرِ أَوْ سَاغَ لَثْمُهَا بِلَا حَرَجٍ مَا دَامَ يُؤْمَنُ ثَلْمُهَا
فَلِمْ زَهْرَةُ الرَّوْضِ الَّتِي هِيَ رَسْمُهَا إِذَا ابْتُذِلَتْ جَفَّتْ وَلَوْ صِينَ كِمُّهَا
وَلَمْ تَسْتَعِدْ زَهْواً وَطِيباً مِنَ الطَّلِّ ؟ »

* * *

أَيَا لَيْلُ هَلْ تَصْفُو وَتَطْلُعُ أَنْجُمَا لِتُقْذَى بِأَرْجَاسِ الوَرَى أَعْيُنُ السَّمَا ؟
وَيَا زَمَناً قَالُوا بِهِ الرِّقُّ حُرِّمَا عَلَامَ أُبِيحَ الطِّفْلُ لِلْجُوعِ وَالظَّمَا
فَبَاعَاهُ لِلْفَحْشَاءِ تَحْتَ يَدِ العَذْلِ ؟

أُصَيْبِيَةٌ جَاؤُوا المَكَانَ لِيَسْهَرُوا وَقَدْ أَجْلَسُوهَا يَسْكَرُونَ وَتَسْكَرُ
فَلَمَّا نَفَى اللُّبَّ الشَّرَابُ المُخَمِّرُ تَمَادَوْا بِهَا فِي غَيِّهِمْ وَتَهَوَّرُوا
وَأَرْقَصَهُمْ طَوَّافَةُ الزَّمْرِ وَالطَّبْلِ

فَهَذَا مُعَاطِيهَا وَذَاكَ مُدَاعِبُ وَهَذَا مُدَاجِيهَا وَذَاكَ مُشَاغِبُ

وَهَذَا مُرَاضِيهَا وَذَاكَ مُغَاضِبُ   وَهَذَا مُبَاكِيهَا وَذَاكَ مُلَاعِبُ

وَكُلًّا تَرَى مِنْهُمْ عَلَى خُلُقٍ رَذْلِ

يُحَاوِلُ كُلٌّ أَنْ يَزِيغَ فُؤَادُهَا   وَكُلٌّ يُرَجِّي أَنْ يَضِلَّ رَشَادُهَا

يَرُومُونَ مِنْهَا أَنْ تُبِيحَ وِسَادَهَا   وَيَبْغُونَ طُرًّا بَغْيَهَا وَفَسَادَهَا

سَوَاءٌ لَدَيْهِمْ بِالْحَرَامِ وَبِالْحِلِّ

ذِئَابٌ تُدَاجِي نَعْجَةً لِافْتِرَاسِهَا   وَتَرْقُبُ مِنْهَا فُرْصَةً لِاخْتِلَاسِهَا

وَلَكِنَّهَا رَدَّتْهُمُ عَنْ مِسَاسِهَا   تُبَالِغُ فِي تَشْوِيقِهِمْ بِاحْتِبَاسِهَا

وَلَفْتَتِهَا الغَضْبَى وَمِشْيَتِهَا الخَزْلِ

فَمَا هِيَ مِنْهَا فِي الطَّهَارَةِ رَغْبَةٌ   وَلَا هِيَ مِنْ فَقْدِ البَكَارَةِ رَهْبَةٌ

وَلَكِنَّهُ عِلْمٌ لَدَيْهَا وَدُرْبَةٌ   كَمَا أَبَوَاهَا أَدَّبَاهَا وَعُصْبَةٌ

أَرَتْهَا فُنُونَ الغِشِّ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ

تَصِيدُ لُهَى عُشَّاقِهَا بِاحْتِيَالِهَا   وَتَبْتَزُّ مِنْهَا أُمُّهَا فَضْلَ مَالِهَا

فَتُنْفِقُهُ فِي رَوْحِهَا وَدَلَالِهَا   وَتَقْتَنِي الحُلَى مُعْتَاضَةً عَنْ جَمَالِهَا

بِأَوْسِمَةٍ لِلقُبْحِ فِي الشَّيْنِ وَالعُطْلِ

أَعَدْلًا يُبَاهِي عَصْرُنَا زَمَنًا خَلَا   وَقَدْ عَوَّدَ الأَطْفَالُ فِيهِ التَّسَوُّلَا؟

وَسِيمَتْ بِهِ الأَبْكَارُ سَوْمًا مُحَلَّلَا   وَبَاعَتْ نِسَاءٌ وُلْدَهَا وَاشْتَرَتْ حِلَى

وَرُبِّيَ طِفْلُ البَيْتِ تَرْبِيَةَ السَّخْلِ؟

عَلَى هَذِهِ الحَالِ الشَّدِيدِ نَكِيرُهَا تَمَا الحُسْنُ فِي «لَيْلَى» وَمَاتَ ضَمِيرُهَا
فَجِسْمٌ كَمِشْكَاةٍ يَعِزُّ نَظِيرُهَا بِإِتْقَانِهَا لَكِنْ خَبَا الدَّهْرَ نُورُهَا[1]
وَعَيْنٌ كَخَالِي الغِمْدِ أَمْسَى بِلَا نَصْلِ

فَلَمَّا اسْتَوَى شَكْلًا رَبِيعُ الصِّبَا بِهَا وَشَبَّ عَنِ الأَكْمَامِ زَهْرُ شَبَابِهَا
وَدَلَّ عَلَى النَّعْمَاءِ غَضٌّ إِهَابِهَا وَأَنْكَرَ زَهْواً مَا مَضَى مِنْ عَذَابِهَا
حَكَتْ جَنَّةً فِيهَا مُنَى القَلْبِ وَالعَقْلِ

وَمَا هِيَ إِلَّا دِمْنَةٌ لَكِنِ اكْتَسَى ثَرَاهَا مِنَ النَّبْتِ الْمُزَوَّرِ مَلْبَسَا
وَيَسْطَعُ مِنْهَا الطِّيبُ لَكِنْ مُدَنَّسَا وَفِي نَوْرِهَا تَنْمُو الرَّذَائِلُ وَالأَسَى
وَمَوْرِدُهَا عَذْبٌ عَلَى أَنَّهُ يُصْلِي

تَكَامَلَ فِيهَا الحُسْنُ وَالمَكْرُ أَجْمَعَا كَأَنَّهُمَا صِنْوَانِ قَدْ وُلِدَا مَعَا
وَدَرَّهُمَا ثَدْيٌ لِأُمٍّ فَأَرْضِعَا وَشَبَّا بِحِجْرٍ وَاحِدٍ وَتَرَعْرَعَا
وَضُمَّا بِعَقْدٍ مُبْرَمٍ غَيْرِ مُنْحَلِّ

فَلَوْ زُرْتَهَا مَمْلُوءَةَ النَّهْدِ مُعْصِرَا لَأَبْكَاكَ مَا سَاءَتْ خِصَالًا وَمَخْبَرَا
وَسَرَّكَ مَا شَاقَتْ جَمَالًا وَمَنْظَرَا وَقُلْتَ : أَلَيْلَى هَذِهِ ؟ وَبِهَا أَرَى
أَشَدَّ طِبَاقٍ فِي الطَّوِيَّةِ وَالشَّكْلِ ؟

نَعَمْ ، هِيَ لَيْلَى لَكِنِ الآنَ تَكْذِبُ وَيَكْذِبُ مِنْهَا الحَاجِبُ الْمُتَحَدِّبُ

---

(١) مشكاة : مصباح

وَيَكْذِبُ فِيهَا قَلبُهَا المُتَقَلِّبُ وَيَكْذِبُ مِنْ بَعْدِ شَذَاهَا الْمُطَيَّبُ
عَلَى غَيْرِ مَا ظَنَّتْ بِهَا النَّاسُ مِنْ قَبْلِ

وَتَكْذِبُ فِي مِيلَادِهَا وَوَلَائِهَا وَتَكْذِبُ فِي مِيعَادِهَا وَرَجَائِهَا
وَزُرْقَةِ عَيْنَيْهَا وَبَرْدِ صَفَائِهَا وَحُمْرَةِ خَدَّيْهَا وَوَرْدِ حَيَائِهَا
وَفِي عِطْفِهَا الْمُضْنَى وَفِي رِدْفِهَا العَبْلِ

وَتَخْلُقُ زُوراً فِي الْمَحَاجِرِ أَدْمُعَا وَتُنْشِئُ لَوْناً لِلْحَيَاءِ مُصَنَّعَا
وَتَنْسُجُ لِلتَّمْوِيهِ فِي الوَجْهِ بُرْقُعَا وَتَبْكِي كَمَا تَفْتَرُّ فِي لَحْظَةٍ مَعَا
وَتَرْضَى مَعَ الرَّاضِي وَتَأْسَى لِذِي الغِلِّ

تُخَاطِبُ كُلًّا بِالَّذِي فِي ضَمِيرِهِ لِمَا هِيَ تَدْرِي مِنْ خَفِيِّ أُمُورِهِ
وَتُعْجِبُهُ فِي حُزْنِهِ وَسُرُورِهِ وَتَصْطَادُهُ لُطْفاً بِفَخِّ غُرُورِهِ
فَيَفْتَرُّ عَنْ حَزْمٍ وَيَسْخُو عَلَى بُخْلِ

حَوَى سِيَراً مِنْ كُلِّ ضَرْبٍ فُؤَادُهَا بِهَا يَهْتَدِي سُبْلَ الْخِدَاعِ رَشَادُهَا
وَيَقْوَى عَلَى ضَعْفِ القُلُوبِ وِدَادُهَا فَلَا تَنْثَنِي حَتَّى يَتِمَّ مُرَادُهَا
وَحَتَّى يَكُونَ الحَقُّ فِي خِدْمَةِ البُطْلِ

يُحَدِّثُهَا كُلٌّ بِأَمْرٍ تَجَدَّدَا وَيُفْشِي لَهَا أَسْرَارَهُ مُتَوَدِّدَا
وَمَا يَكْشِفُ البَدْرُ الظَّلَامَ إِذَا بَدَا كَمَا تَكْشِفُ الأَسْرَارَ لَيْلَى وَمَا الصَّدَى
بِأَسْرَعَ مِنْهَا فِي الحِكَايَةِ وَالنَّقْلِ

وَكَمْ تَصْطَبِي ذَا غِرَّةٍ لَا يَخَالُهَا مُحَصَّنَةً بِكْراً وَذِي الحالُ حَالُهَا
فَيُغْوِيهِ فِيهَا أُنْسُهَا وَابْتِذَالُهَا وَيَسْخُو عَلَيْهَا مَا يَشَاءُ احْتِيَالُهَا
وَتُعْرِضُ عَنْهُ حِينَ يَطْمَعُ فِي الوَصْلِ

أَلَيْسَ صَفَاءُ البِكْرِ فِي أَوَّلِ الصِّبَى كَقَطْرِ النَّدَى يَحْلَى بِهِ زَهَرُ الرُّبَى؟
فَإِنْ يَسْتَحِلْ ذَاكَ الصَّفَاءُ تَلَهُّبَا فَلَا عَجَبٌ أَنْ تُحْسَبَ البِكْرُ ثَيِّبَا
وَيُخْطِئُ فِيهَا مَنْ يَكُونُ عَلَى جَهْلِ

وَكَمْ مِنْ سَرِيٍّ مُولَعٍ بِالتَّعَفُّفِ سَبَتْ بِالحَيَاءِ الكَاذِبِ المُتَكَلَّفِ
وَدَاجَتْ فَصَادَتْ بِالمَقَالِ المُلَطَّفِ وَبِالتِّيهِ حَيْثُ التِّيهُ مَحْضُ تَزَلُّفِ
وَبِالهَجْرِ حَيْثُ الهَجْرُ أَجْمَعُ لِلشَّمْلِ

إِذَا مَا البَغِيَّاتُ احْتَشَمْنَ ظَوَاهِرَا وَجَارَيْنَ فِي آدَابِهِنَّ الحَرَائِرَا
وَكُنَّ جَمِيعاً كَالنُّجُومِ سَوَافِرَا فَأَيُّ حَكِيمٍ يَسْتَبِينُ السَّرَائِرَا؟
وَهَلْ فِي ضِيَاءِ الشُّهْبِ فَرْقٌ لِمُسْتَجْلِي؟

— ٢ —

عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَرْضَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا وَكَانَتْ تُنَاجِيهَا أَمَانِيُّ سِرِّهَا
بِأَنْ تَتَوَلَّى عَاجِلًا فَكَّ أَسْرِهَا فَإِنْ وُفِّقَتْ فَازَتْ بِإِعْلَاءِ قَدْرِهَا
عَلَى كُلِّ مَنْ تَعْلُو عَلَيْهَا وَتَسْتَعْلِي

وَكَانَ فَتًى طَلْقُ المُحَيَّا جَمِيلُهُ وَلَكِنَّهُ نَذْلُ الفُؤَادِ ذَلِيلُهُ

يَمِيلُ إِلَيْهَا وَهْيَ لَا تَسْتَمِيلُهُ فَيَزْدَادُ فِيهِ غَيْظُهُ وَغَلِيلُهُ
وَقَدْ طُوِيَتْ أَحْشَاؤُهُ طِيَّةَ الصِّلِّ

وَكَانَ كَثِيراً مَا يَوَدُّ خِطَابَهَا فَتُضْنِي إِلَيْهِ وَهْيَ تَحْسُو شَرَابَهَا
فَإِنْ مَلَأَتْ مِمَّا يَقُولُ وِطَابَهَا تَوَلَّتْ ، وَكَانَ الصَّدُّ عَنْهُ جَوَابَهَا
فَآبَ وَفِي آمَاقِهِ أَدْمُعٌ تَغْلِي .

وَظَلَّ يُوَافِي فِي الْمَوَاعِيدِ زَائِرَا فَيَحْسُو الطِّلَى جَمْراً وَيُرْوِي النَّوَاظِرَا
يُجَالِسُهَا نِيَّاتِهَا وَالسَّرَائِرَا لَطِيفاً لِمَا يَبْغِي عَلَى الذُّلِّ صَابِرَا
فَخُوراً بِرَحْبِ الصَّدْرِ وَالْكَفَلِ الْخَدْلِ

فَآلَى لَهَا يَوْماً بِأَنْ يَتَأَهَّلَا بِهَا ، فَأَصَابَ الْوَعْدُ مِنْهَا الْمُؤَمَّلَا
فَقَالَتْ : كَفَانِي خِدْمَةً وَتَبَتُّلَا وَذِي نِعْمَةٍ أَرْقَى بِهَا سُلَّمَ الْعُلَى
وَمَاذَا تُرَجِّي بَعْدَهَا امْرَأَةٌ مِثْلِي ؟

فَأَبْدَتْ لَهُ الْإِقْبَالَ بَعْدَ التَّبَرُّمِ وَلَكِنْ أَطَالَتْ خُبْرَهُ خَوْفَ مَنْدَمِ
فَقَالَتْ لَهَا النَّفْسُ الطَّمُوعُ : « إِلَى كَمِ تَظَلَّانِ فِي مُشْقٍ مِنَ الرَّيْبِ مُؤْلِمِ
وَيُقْضَى نَفِيسُ الْعُمْرِ فِي الْوَعْدِ وَالْمَطْلِ ؟

فَلَمْ أَرَ أَهْوَى مِنْ « جَمِيلٍ » وَأَطْوَعَا فُؤَاداً ، وَلَا وَجْهاً أَحَبَّ وَأَبْدَعَا
فَتًى لَكِ يُهْدِي قَلْبَهُ وَاسْمَهُ مَعَا فَإِنْ طَالَ هَذَا الْمَطْلُ مِنْكِ تَطَلَّعَا
إِلَى امْرَأَةٍ تَسْمُوكِ بِالْجَاهِ وَالْأَصْلِ »

فَخَامَرَ «لَيْلَى» الْخَوْفُ ثُمَّ تَحَوَّلَا إِلَى غَيْرَةٍ ، وَالْغَيْرَةُ انْقَلَبَتْ إِلَى
غَرَامٍ ، فَمَا تَلْوِى عَلَى أَحَدٍ وَلَا تُكَاشِفُ بِالْحُبِّ النَّزِيهِ مُؤَمَّلَا
سِوَى ذَلِكَ الْفَرِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْكُلِّ

وَمِنْ نَكَدٍ لِلْمَخْدُوعِ أَنَّ زَمَانَهُ يُسَخِّرُ لِلْخِلِّ الْمُدَاجِي أَمَانَهُ[1]
فَإِذْ يَرْعَوِى الْمُغْرَى وَيَلْوِى عِنَانَهُ يَكُونُ الْمُدَاجِي قَدْ أَذَاهُ وَخَانَهُ
وَأَدْرَكَ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ مِنَ السُّؤْلِ

أَصَمَّ الْهَوَى «لَيْلَى» وَأَعْمَى ذَكَاءَهَا وَرَدَّ عَلَيْهَا كَيْدَهَا وَدَهَاءَهَا
فَمِنْ نَفْسِهَا نَالَتْ وَشِيكاً جَزَاءَهَا وَمُشْقِى الْوَرَى مِنْهَا أَتَمَّ شَقَاءَهَا
بِأَنْ أَخِذَتْ فِي فَخِّهَا بِيَدَىْ وَغْلٍ[2]

***

وَلَيْلَةِ أُنْسٍ زَارَهَا مِنْ صِحَابِهَا فَرِيقٌ بَغَوْا أَنْ يَكْشِفُوا سِرَّ مَا بِهَا
فَدَارَ حَدِيثٌ بَيْنَهُمْ فِي عِتَابِهَا لِإِعْرَاضِهَا عَنْ صَحْبِهَا وَانْقِلَابِهَا
إِلَى أَجْدَرِ الْعُشَّاقِ بِالصَّدِّ وَالرَّذْلِ

فَخَالَتْهُمُ يَهْجُونَهُ لِمَآرِبٍ وَيُتْهِمُ مَحْضُ النُّصْحِ فِي فَمِ ثَالِبِ
فَبَيْنَا تُجَافِي دُونَهُ كُلَّ عَاتِبٍ أَتَى يَتَهَادَى بَيْنَ جَيْشٍ مَعَايِبِ
تَهَادِىَ قَيْلٍ حُفَّ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ[3]

---

(١) المداجى : المرائى (٢) وغل : سافل (٣) قيل : أمير

فَارَقَتِ الْحضَارَ طُرًّا وَأَقْبلَتْ عَلَيْهِ وَفِي أَحْشَائِهَا غِلَّةٌ غَلَتْ
وَفِي وَجْنَتَيْهَا حُمْرَةٌ كَاللَّظَى عَلَتْ فَحَيَّتْهُ بِالبِشْرِ الطَّلِيقِ وَأَغْفَلَتْ
سِوَاهُ مِنَ الْجلَّاسِ كَالسِّلْعَةِ النفْلِ

« أَهَذَا الَّذِى فِيهِ اللَّامُ يَرِيبُهَا وَفِي حُبِّـهِ سَعْدُ الحَيَاةِ وَطِيبُهَا ؟
هُمُ بُغَضَاءُ وَالْحَبِيبُ حَبِيبُهَا وَهُمْ بُلَهَاءُ لَا « جَمِيلَ » خَطِيبُهَا
وَمَا « لِجَمِيلٍ » بَيْنَهُمْ مِنْ فَتًى كِفْلِ »[1]

***

وَكَانَ مِنَ الْجلَّاسِ أَشْيَبُ مُغْرَمُ تَصَبَّتْهُ عِشْقًا وَهْوَ قَدْ كَادَ يَهْرَمُ
فَقَالَ : إِلَى كَمْ نَحْنُ نُعْطِي وَنُنْعِمُ ؟ لِيَحْظَى بِهَا قَوْمٌ سِوَانَا وَيَنْعَمُوا
وَشَرُّ جُنُونٍ سَوْرَةُ العِشْقِ فِي الكَهْلِ؟

دَعَاهَا فَجَاءَتْهُ تُجِيبُ تَلَمُّظَا فَأَنْحَى عَلَيْهَا بِالمَلَامِ وَأَغْلَظَا[2]
إِلَى أَنْ جَرَتْ مِنْهَا الشُّؤُونُ تَغَيُّظَا فَثَارَ « جَمِيلٌ » يَقْذِفُ الشَّمَّ وَاللَّظَى
عَلَيْهِ بِمِدْرَارٍ مِنَ السَّبِّ مُنْهَلِّ

وَبَارَزَهُ حَتَّى التُّرَابُ تَخَضَّبَا فَفَازَ عَلَى الشَّيْخِ الفَتَى مُتَغَلِّبَا
وَأَشْبَعَهُ ذُلًّا لِكَيْ يَتَأَدَّبَا وَعَلَّمَهُ أَيْنَ التَّصَابِي مِنَ الصِّبَى
وَأَقْنَعَهُ بِاللَّكْمِ وَاللَّطْمِ وَالرَّكْلِ

---

(١) كفل : كفؤ (٢) تلمظا : بإشارة منكرة فى الشفتين

فَلَمَّا رَأَتْ تِلْكَ الْحَيَّةَ سُرَّتِ   وَفُرِّجَ عَنْهَا غَيْمُ حِقْدٍ وَحَسْرَةِ
بَلِ انْكَشَفَتْ غَمَّاؤُهَا عَنْ مَسَرَّةٍ   وَنَادَتْ «جَمِيلًا»: يَا مَلَاذِي وَنُصْرَتِي
تُفَدِّيكَ نَفْسِي مِنْ شُجَاعٍ وَمِنْ خِلٍّ

وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ رَأْسَهَا فَوْقَ صَدْرِهِ   فَزَانَ سَوَادُ الشَّعْرِ أَبْيَضَ نَحْرِهِ
مِثَالَانِ قَامَا لِلشَّبَابِ وَنَضْرِهِ   وَلِلْحُسْنِ تَجْلُو شَمْسُهُ وَجْهَ بَدْرِهِ
وَلِلْحُبِّ مَرْفُوعَ اللِّوَاءِ عَلَى الْعَذْلِ

فَأَلْوَى عَلَيْهَا عَاكِفًا مُتَدَانِيًا   يُخَاصِرُ أُمْلُودًا مِنَ الْقَدِّ وَاهِيًا
وَيَرْشُفُ مِنْ أَجْفَانِهَا الدَّمْعَ جَارِيًا   عَلَى وَرْدِ خَدٍّ يُخْجِلُ الْوَرْدَ زَاهِيًا
مُحَلًّى بِإِكْلِيلٍ مِنَ الدُّرِّ مُخْضَلٍّ

كَأَنَّ «جَمِيلًا» بِارْتِشَافِ شُؤُونِهَا   سَقَى وَرْدَةً مَخْرُورَةً مِنْ عُيُونِهَا
كَأَنَّ النَّدَى الْمَنْثُورَ فَوْقَ جَبِينِهَا   مَدَامِعُ فَجْرٍ أَفْرَغَتْ فِي هُتُونِهَا
عَلَى رَوْضَةٍ شِبْهِ الْمَلَالِ مِنَ الْقُلِّ

***

وَأَوْحَى إِلَيْهِ الْمَكْرُ أَنْ يَتَعَجَّلَا   لِيُدْرِكَ مِنْ «لَيْلَى» الْمَرَامَ الْمُؤَمَّلَا
فَإِنْ أَمْهَلَتْ حَتَّى تَفِيقَ وَتَعْقِلَا   يَظَلَّ بِأَيْدِيهَا مَقُودًا مُذَلَّلَا
قِيَادَ بَعِيرٍ جَرَّهُ الطِّفْلُ بِالْحَبْلِ

فَرَاغَ بِهَا فِي جُنْحِ اللَّيْلِ أَهْيَمٍ   كَهَمٍّ عَلَى صَدْرِ الْوُجُودِ مُخَيِّمٍ

إلى رَبَضٍ قَفْرِ المَسَالِكِ مُظْلِمٍ   مُعَدٍّ لِيُؤْتَى فِيهِ كُلُّ مُحَرَّمِ
بِمَا ثَمَّ مِنْ رَوْعٍ وَمِنْ شَجَرٍ جَثْلِ

فَطَارَتْ بِهِ نَفْسُ الفَتَاةِ تَرَوُّعَا   فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا مُتَضَرِّعَا
فَعَفَّتْ ، فَمَنَّاهَا ، فَزَادَتْ تَمَنُّعَا   فَأَقْسَمَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا إِذاً مَعَا
طَعِينَيْ حَدِيدٍ بَيْنَ كَفَّيْهِ مُسْتَلِّ

وَبَالَغَ فِي إِغْرَائِهَا مُقْسِمًا لَهَا   بِأَنَّ فَتَاهَا مِنْ غَدٍ صَارَ بَعْلَهَا
وَيَرْفَعُهَا شَأْنًا وَيَكْفُلُ أَهْلَهَا   وَيَجْعَلُ فِي أَسْمَى الصُّرُوحِ مَحَلَّهَا
وَيُنْقِذُهَا مِنْ عِيشَةِ الأَسْرِ وَالغِلِّ

***

وَكَانَ الدُّجَى قَدْ رَقَّ حَتَّى تَصَدَّعَا   وَهَبَّ بَشِيرُ الصُّبْحِ يَرْتَادُ مَطْلَعَا
فَمَا زَالَ يَجْلُو خَافِياً وَمُقَنَّعَا   إِلى أَنْ نَضَا أَدْنَى السُّتُورِ وَقَدْ وَعَى
دَمًا طَاهِراً أَجْرَاهُ إِثْمُ فَتًى نَذْلِ

دَمٌ كَانَ سِرًّا فِي البَتُولِ مُقَدَّسَا   فَلَمَّا أَرَاقَتْهُ ابْتِذَالًا تَدَنَّسَا
أَفِي لَحْظَةٍ تَغْدُو المَصُونَةُ مُومِسَا ؟   وَتُضْحِي عَرُوسُ البَغْيِ إِكْلِيلُهَا الأَسَى
وَمَرْقَدُهَا بَعْضُ الحِجَارَةِ وَالرَّمْلِ ؟

فَمَا الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ زَلَّ وَأَعْتَمَا   وَلَا المَلَكُ الهَاوِي طَرِيداً مِنَ السَّمَا
بِأَعْجَلَ مِنْ « لَيْلَى » سُقُوطًا وَأَعْظَمَا   فَلَوْ رَضِيَتْ بِالمَوْتِ بَعْلًا وَإِنَّمَا
أَتَرْضَى بِهِ بَعْلًا سِوَى امْرَأَةٍ أَهْلِ ؟

مَضَتْ سَنَةٌ تَصْفُو اللَّيَالِي وَتَعْذُبُ مِرَاراً « وَلَيْلَى » دَائِماً تَتَعَذَّبُ
صَبُورٌ عَلَى جَمْرِ الغَضَا تَتَقَلَّبُ جَفَاهَا الأُولَى قِدْماً إِلَيْهَا تَقَرَّبُوا
وَمَا لَقِيَتْ مِنْهُمْ سِوَى الصَّدِّ وَالخَذْلِ

وَكَانَ « جَمِيلٌ » كَالنِّسَاءِ لَهُ حِلَى وَيُكْسَى جَلَابِيبَ الحَرِيرِ تَبَذُّلَا
تُسَلِّفُهُ « لَيْلَى » جَنَى خِزْيِهَا وَلَا تَضَنُّ عَلَيْهِ خَوْفَ أَنْ يَتَحَوَّلَا
وَيُفْلِتَ مِنْهَا وَهْيَ فِي أَشْهُرِ الحَمْلِ

فَيَأْخُذُ مَالَ السُّحْتِ وَالعَيْبِ رِشْوَةً وَيَسْخُو كَمَا لَوْ كَانَ يَمْلِكُ ثَرْوَةً
يُشَارِكُ فِيهِ وَالِدَيْهَا وَإِخْوَةً تَعُولُهُمُ أَكْلًا وَمَأْوَى وَكِسْوَةً
وَتُحْرَمُ «لَيْلَى» طَيِّبَ النَّوْمِ وَالأَكْلِ

وَكَمْ سَافِلٍ مِنْ مِثْلِهِ رَقِيَ الذُّرَى وَتَاهَ عَلَى القَوْمِ الكِرَامِ تَكَبُّرَا
بِمُرْتَزَقٍ يَأْتِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى كَأَنَّ لَهُ كَنْزاً خَفِيًّا عَنِ الوَرَى
هَدَاهُ إِلَيْهِ سَاحِرٌ ضَارِبُ الرَّمْلِ

أَقَامَ زَمَاناً غَيْرَ وَافٍ بِوَعْدِهِ وَ« لَيْلَى » ثَبُوتٌ فِي صِيَانَةِ عَهْدِهِ
وَتَهْوَاهُ حَتَّى فِي إِسَاءَةِ قَصْدِهِ وَتَحْمِلُ مِنْهُ المَطْلَ خَشْيَةَ بُعْدِهِ
وَتَقْبَلُ مِنْهُ مَا يُمِرُّ وَمَا يُحْلِي

مَصَائِبُهَا بَرَّأْنَهَا مِنْ خَطَائِهَا وَحَرَّرْنَهَا مِنْ خُبْثِهَا وَرِيَائِهَا

عَفَا رَبُّهَا عَنْهَا لِصِدْقِ وَلَائِهَا وَأَخْلَصَهَا حَرْقًا بِنَارِ شَقَائِهَا
وَطَهَّرَهَا غَسْلًا بِمَـدْمَعِهَا الْجَزْلِ

فَلَمَّا قَضَتْ مِنْ عِدَّةِ الْحَمْلِ أَشْهُرَا شَكَتْ أَلَمًا يَسْتَنْفِدُ الصَّبْرَ مُنْكَرَا
وَكَانَتْ عَلَى الْمَأْلُوفِ تَشْرَبُ مُسْكِرَا وَتَتْعَبُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ مُسْفِرَا
فَتَمْضِي بِجِسْمٍ خَائِرِ الْعَزْمِ مُخْتَلِّ

فَقَالَتْ لِمَنْ تَهْوَى : أَرَانِي ضَئِيلَةً فَإِنْ تَفْنَ مَالِي يَكُنْ لِي وَسِيلَةً
لِأَشْفَى ، وَإِلَّا مُتُّ حُبْلَى عَلِيلَةً فَفَرَّجَهَا بِالْوَعْدِ إِفْكًا وَحِيـلَةً
وَفَرَّ فِرَارَ اللِّصِّ مِنْ حَوْزَةِ الْعَدْلِ

وَطَالَ عَلَيْهَا يَوْمُهَا فِي التَّوَقُّعِ وَمَرَّ زَمَانٌ بَعْدَهُ فِي التَّوَجُّعِ
تَبِيتُ عَلَى مَهْدِ الْأَسَى وَالتَّفَجُّعِ وَتُصْبِحُ فِي يَأْسٍ أَلِيمٍ مُصَدِّعِ
وَلَيْسَ لَهَا مُشْكٍ وَلَيْسَ لَهَا مُسْلِي

***

أَيَهْتِكُ عِرْضَ الْبِكْرِ وَهْوَ مُخَاتِلُ وَيَسْرِقُ مَا تَجْنِيهِ زَلَّاءُ حَامِلُ؟
وَيُرْدِي ابْنَةَ الْمِسْكِينِ وَالْعَدْلُ غَافِلُ فَوَا خَجْلَتَا : زَانٍ وَلِصٌّ وَقَاتِلُ
وَيُكْرَمُ بَيْنَ النَّاسِ إِكْرَامَ ذِي نُبْلِ؟

***

وَلَيْلٍ أَشَدُّ الدَّاءِ أَيْسَرُ خَطْبِهِ بَطِيءٍ كَأَنَّ الْمَوْتَ فُرْجَةُ كَرْبِهِ

تجنَّى عَلَى «لَيْلَى» بِأَنْوَاعِ حَرْبِهِ وَمَدَّ لَهَا شَوْكاً بِأَنْوَارِ شُهْبِهِ
وَأَلْحَقَ مِنْ آمَالِهَا الْعُلْوَ بِالسُّفْلِ

أَضَاعَتْ بِهِ مِمَّا تُقَاسِيهِ رُشْدَهَا وَعَانَتْ مِنَ الْأَوْصَابِ فِيهِ أَشُدَّهَا
يُغَالِبُ آناً وَجْدُهَا فِيهِ حِقْدَهَا وَيَغْلِبُ آناً حِقْدُهَا فِيهِ وَجْدَهَا
وَتَصْرُخُ مِنْ فَرْطِ التَّأَلُّمِ وَالإِزْلِ[1]

«أَيَا رَبِّ إِنِّي حَامِلٌ ثُمَّ مُرْضِعُ وَمَالِي مِنَ الْقُوتِ الضَّرُورِيِّ مَشْبَعُ
أَبِي مُوسِعِي ذَمًّا وَأُمِّي تُقَرِّعُ وَأَشْعُرُ أَنَّ ابْنِي بِجَوْفِي مُوجَعُ
فَهَلْ هُوَ جَانٍ أَمْ يُعَذَّبُ مِنْ أَجْلِي؟

لَقَدْ بِعْتُ كُلَّ الْمُقْتَنَى وَرَهَنْتُهُ وَأَنْفَقْتُ حَتَّى خَاتِماً مِنْهُ صُنْتُهُ
هُوَ الْعَهْدُ مِنْ ذَاكَ الْخَؤُونِ اؤْتُمِنْتُهُ ضَنَنْتُ بِهِ مِنْ حَيْثُ كُنْتُ ظَنَنْتُهُ
لِعَوْدَتِهِ فَأْلًا فَزَالَ بِهِ فَأْلِي

إِلَهِيَ قَدْ يَجْنِي مَلَاكٌ تَحَسُّرًا وَيُخْطِئُ عَانٍ إِنْ خَطَا فَتَعَثَّرَا
وَيَأْتِي وَلِيدٌ إِنْ تَبَسَّمَ مُنْكَرَا وَلَكِنْ جَنِينٌ لَا يَفُوهُ وَلَا يَرَى
أَفِي الْعَدْلِ أَنْ يُجْزَى بَرِيئاً بِذَنْبٍ لِي؟

لِتَهْنِئْكِ يَا بِنْتَ النَّعِيمِ سَعَادَةٌ كَمَا شِئْتِهَا تَأْتِي وَفِيهَا زِيَادَةٌ

---

(١) الإزل = الشدة

وَتهنِئكِ مِنْ بَعْلٍ كَرِيمٍ عِبادَةٌ وَتَهْنِئُكِ حَمْلٌ طَاهِرٌ وَوِلَادَةٌ
وَطِفْــلٌ رَبِيبُ المَجْدِ وَالسَّعْدِ وَالفَلِّ

تَجِفُّ دِمَائِى مَا تَفَــكَّرْتُ أَنَّــنِى عَلَى وَشْكِ وَضْعٍ وَالشَّقَاءُ يَحُفُّــنِى
فَلَا يَدَ ذِى وُدٍّ وَلَا وَجْهَ مُحْسِنٍ أَمُمُّ بِرِزْقٍ يُسْتَفَادُ فَأَنْثَــنِى
وَقَدْ نَاءَ بِى عَنْ قَصْدِهِ ثِقَلُ الحَمْلِ

أَلَا لِمَ هَذَا الطِّفْلُ يَحْيَا وَلَا أَبَا لَهُ ؟ أَلِيَشْقَى شِقْوَتِى وَيُعَذَّبَا ؟
كَفَى قَلْبَ أُخْتِ الوَالِدَاتِ تَحَوُّبَا أَيَأْتِى فَرِيًّا ذَلِكَ القَلْبُ إِنْ أَبَى[1]
حَيَاةَ الأَسَى وَالجُوعِ لِلْوَلَدِ النَّغْلِ ؟

أَتُغْنِيكَ مِنْ مَهْدٍ بَقِيَّةُ أَضْلُعِى ؟ وَيُغْنِيكَ مِنْ شَدْوٍ نُوَاحُ تَفَجُّعِى ؟
وَهَلْ تَتَغَذَّى مِنْ فُؤَادٍ مُقَطَّعٍ ؟ وَتَشْرَبُ مَاءً مِنْ سَوَاكِبِ أَدْمُعِى ؟
وَهَلْ تَتَرَدَّى العَارَ لِلسَّتْرِ يَا نَجْلِى ؟

فَيَا وَلَدِى المِسْكِينَ فِلْذَةَ مُهْجَتِى وَيَا نِعْمَــةً عُوقِبْتُ فِيهَا بِنِقْمَةٍ
وَمَنْ كُنْتُ أَرْجُوهُ لِسَعْدِى وَبَهْجَتِى وَكَانَ يُنَاجِيهِ ضَمِيرِى بِمُنْيَتِى
وَآمُلُ أَنْ يَحْيَا وَيَرْجِعَ لِى بَعْلِى

تَمُوتُ وَلَمَّا تَسْتَهِلَّ مُبَشِّرَا تَمُوتُ وَلَمْ أَنْظُرْ مُحَيَّاكَ مُسْفِرَا

(١) تحوباً : حنواً

تُفَارِقُ قَبْراً فِيهِ عُذِّبْتَ أَشْهُراً إلى جَدَثٍ مِنْـهُ أَبَرَّ وَأَطْهَرَا
وَتَحْيَا صِغَارُ الطَّيْرِ دُونَكَ وَالنَّحْلِ

تَمُوتُ وَمَا سَلَتْكَ حَتَّى تُوَدِّعَا وَأُمُّكَ تَسْتَقِيكَ السُّمُومَ لِتُصْرَعَا
وَتَنْفِيكَ مِنْ جَوْفٍ بِهِ كُنْتَ مُودَعَا لِتَخْلُصَ مِنْ عَيْشٍ ثَقِيلٍ بِمَا وَعَى
مِنَ الْحُزْنِ وَالآلَامِ وَالفَقْرِ وَالذُّلِّ

فَإِنْ تَلْقَ وَجْهَ اللهِ فِي عَالَمِ السَّنَى فَقُلْ رَبِّيَ اغْفِرْ ذَنْبَ أُمِّيَ مُحْسِنَا
فَمَا اقْتَرَفَتْ شَيْئاً وَلَكِنْ أَبِي جَنَى عَلَيْنَا فَعَاقِبْهُ بِتَعْذِيبِهِ لَنَا
وَأَمْطِرْهُ نَاراً تَبْتَلِيهِ وَلَا تُبْلِي

كَفَرْتُ بِحُبِّي فِي اشْتِدَادِ تَمَضُّي فَعَفْوَكَ يَا ابْنِي مَا أَبُوكَ بِمُذْنِبِ
فَقُلْ : رَبِّ أُمِّي أَهْلَكَتْنِيَ لَا أَبِي وَأُمِّي زَنَتْ حَتَّى جَنَتْ مَا جَنَتْهُ بِي
فَزِدْهَا شَقَاءً وَاجْزِهَا القَتْلَ بِالقَتْلِ

***

رَأَتْ شُهُبُ الظَّلْمَاءِ مَشْهَدَ ظُلْمِهَا وَقَدْ أَسْقَطَتْ مِنْهَا الجَنِينَ بِسُمِّهَا
فَلَمْ تَتَسَاقَطْ مُنْصَبَاتٍ لِحَطْمِهَا وَأَشْرَبَ نُورُ الشَّمْسِ مِنْ دَمِ إِثْمِهَا
كَمَا يَلَغُ الضَّارِي الدِّمَاءَ وَيَسْتَحْلِي

— ٤ —

عَلَى أَنَّ « لَيْـلَى » بَعْدَ عَامٍ تَصَرَّمَا سَلَتْ وَسَلَا الْمُغْرِي لَهَا مَا تَقَدَّمَا

وَعَاشَ «جَمِيلٌ» نَاعِمَ البَالِ مُكْرَمَا كَأَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَبِيحَا مُحَرَّمَا
إِذَا التَقِيَا بِاللحظِ يَوْمًا تَبَسَّمَا لِذِكْرَى شَهِيدَيْنِ: البَكَارَةِ وَالطِّفْلِ

غرام طفلين

إهداء

الى حضرة الصديق الوجيه اسكندر خورى

أَنْتَ تَبْغِي السِّيَرَا شَاغِلًا عَمَّا تَرَى
مُؤْثِرًا أَنْ تَعْلَمَ الـ ـسِّحَارِيَ مِمَّا قَدْ جَرَى
رَاضِيًا مِنْ خِبْرَةٍ أَنْ لَا تَجُوزَ الخَبَرَا
فَإِذَا مَا كَانَ لِي حُسْنُ حَظٍّ قُدِّرَا
طِبْتَ نَفْسًا لِحَدِيـ ـثٍ سُقْتُهُ مُعْتَذِرَا
عَاطِلٍ يَحْـلَى مَتَى تُلْقِي عَلَيْهِ نَظَرَا

القصة

طِفْلَانِ كَالأَخَوَيْنِ مُؤْتَلِفَانِ شَبَّا وَشَبَّ عَلَى الهَوَى القَلْبَانِ
مُتَمَازِجَيْنِ كَأَنَّمَا نَفْسَاهُمَا نَفْسٌ لَهَا شَبَحَانِ مُنْفَصِلَانِ

يَتَشَاطَرَانِ العَيْشَ إِنْ يَحْسُنْ وَإِنْ يَخْشُنْ كَمَا تَتَشَاطَرُ العَيْنَانِ
لَبِثَا عَلَى هَذَا الوِصَالِ بُرَيْهَةً ثُمَّ انْقَضَتْ وَتَفَارَقَ الخِلَّانِ
كَانَتْ أَلِيفَتَهُ وَكَانَ أَلِيفَهَا فَسَطَا النَّوَى وَتَشَتَّتَ الإِلْفَانِ
جَزِعَا لِهَذَا البَيْنِ حَتَّى كَانَ لَا يَلْهُو بِشَيْءٍ ذَانِكَ الفَتَيَانِ
سَرْعَانَ مَا أَنْمَى الجَوَى عَقْلَيْهِمَا وَتَعَلَّمَا التَّفْكِيرَ قَبْلَ أَوَانِ
فَتَرَاسَلَا ـ لَا يُحْسِنَانِ كِتَابَةً ـ بِالذِّكْرِ وَهْوَ رَسُولُ كُلِّ جَنَانِ
وَتَشَاكَيَا : كُلٌّ إِلَى آلَامِهِ شَكْوَى أَدَلَّ عَلَى وَفَاءِ العَانِي
وَاسْتَرْسَلَا : كُلٌّ إِلَى آمَالِهِ بِالقُرْبِ بَعْدَ تَطَاوُحِ الهِجْرَانِ

***

لَكِنَّهُ طَالَ البِعَادُ وَشُوغِلَا عَنْ مُؤْلِمِ التَّذْكَارِ بِالحِدْثَانِ
فَاسْتُودِعَا فِي مَعْلَمَيْنِ لِيَنْمُوَا بِهِمَا عَلَى الآدَابِ وَالعِرْفَانِ
وَلِيَنْسَيَا ذَاكَ القَدِيمَ مِنَ الهَوَى فِي عِشْرَةِ الأَتْرَابِ وَالأَقْرَانِ
فَتَعَلَّمَا النُّطْقَ الصَّحِيحَ وَعُوِّدَا خَطَّ الحُرُوفِ كِلَاهُمَا فِي آنِ
حَتَّى إِذَا رَسَمَا الكَلَامَ جَرَى كَمَا اتَّفَقَا عَلَى قَلَمَيْهِمَا لَفْظَانِ
خُلْوَانِ مِنْ مَعْنًى وَفِي قَلْبَيْهِمَا لَهُمَا أَحَبُّ مُنَى الحَيَاةِ مَعَانِي
جَمَعَا البَلَاغَةَ كُلَّهَا فِي اسْمَيْنِ قَدْ كُتِبَا بِلَا حُسْنٍ وَلَا إِتْقَانِ
كَتَبَ الفَتَى «سَلْمَى» وَخَطَّتْ «يُوسُفُ» وَإِلَيْكَ مَا عَنَيَا بِبَعْضِ بَيَانِ

***

قالَ الفَتَى : « يا مَنْ تَجَلَّى لِي اسْمُهَا فَرَسَمْتُهُ وَيَدَايَ تَرْتَجِفَانِ
صَوَّرْتُهُ وَكَأَنَّ صُورَتَهَا بَدَتْ فِيهِ أَرَاهَا دُونَهُ وَتَرَانِي
وَعَبَدْتُ أَحْرُفَهُ كَرَمْزِ حَاجِبٍ صَنَماً رَآهُ عَابِدُ الأَوْثَانِ
لَكِنْ شَجَانِي الطِّرْسُ قَرَّ بِضَمِّهِ وَمَشُوقُ صَدْرِي دَائِمُ الخَفَقَانِ
وَأَغَارَنِي قَلْبِي يَصِيرُ مُقَبِّلاً تِلْكَ الحُرُوفَ بِمَلْثَمٍ رَنَّانِ
فَحَطَمْتُ شِقَّيْهِ تَوَهُّمَ أَنَّ مَا عَاقَبْتُهُ : شَفَتَانِ آثِمَتَانِ
سَلْمَى . . وَمَا أَحْلَى اسْمَهَا وَحُرُوفَهُ مَوْصُولَةً كَقَلَائِدِ العِقْيَانِ
مُتَشَابِكَاتٍ يَرْتَضِعْنَ عَلَى المَدَى مَاءَ الحَيَاةِ مَعاً وَهُنَّ هَوَانِي
وَلَوَ انَّهُنَّ فُصِلْنَ بِتْنَ أَوَاسِفاً كَاليُتْمِ يَفْطِمُ مُرْضِعَ الوِلْدَانِ
يَا ذِي الحُرُوفُ أَأَنْتِ عَالِيَةٌ بِمَا أَوْلَيْتِهِ مِنْ طَائِلِ الإِحْسَانِ ؟
لَوْ كُنْتُ مِنْكِ لَمَا فَتِئْتُ مُنَعَّماً أَبَداً بِأَطْيَبِ مُلْتَقًى وَقِرَانِ
وَلَمَا غَدَوْتُ عَلَى الفِرَاقِ كَمَا أُرَى رُوحاً تَهِمُّ بِفُرْقَةِ الجُثْمَانِ
طَالَ النَّوَى يا مُنْيَتِي « سَلْمَى » فَهَلْ زَمَنُ التَّنَائِي آذِنٌ بِتَدَانِي ؟
مَا زِلْتِ مِلْءَ نَوَاظِرِي وَخَوَاطِرِي لَكِنَّ شَفَتَايَ مُوحَشَتَانِ
يَا لَيْتَنَا طِفْلَانِ لَمْ نَبْرَحْ كَمَا كُنَّا إِلَى مُتَأَخِّرِ الأَزْمَانِ
قَالُوا لِمِثْلِكَ فِي المَدَارِسِ سَلْوَةٌ كَذَبُوا ، أَيَسْلُو كَارِهُ السُّلْوَانِ ؟
بِيَ حُرْقَةٌ أَخْفَيْتُهَا عَنْهُمْ كَمَا يُخْفِي الرَّمَادُ ذَوَاكِيَ النِّيرَانِ
« سَلْمَى » العُلُومُ جَمِيعُهَا فِي لَفْظَةٍ كَالعِطْرِ قَطْرَتُهُ عَصِيرُ جِنَانِ

«سلمى» الحياةُ وَمَا النَّعيمُ مُخلَّداً   يُشْرَى لَدَى إِقْبَالِهَا بِثَوَانِي
سَأَجِدُّ فِي طَلَبِي فَأَسْتَدْنِي بِهِ   زَمَناً أَسِيرُ وَفِي يَدَىَّ عِنَانِي
فَأَطِيرُ مِنْ شَغَفِي إِلَيْكِ تَشَوُّقاً   وَأَبُلُّ غُلَّةَ قَلْبِيَ الظَّمْآنِ »

* * *

قَالَتْ وَقَدْ رَسَمَتْ عَلَى الطِّرْسِ اسْمَهُ   : « يَا مَنْ وَقَفْتُ لِحُبِّهِ وِجْدَانِي
وَحَلَا هَوَانِي فِيهِ لِي وَصَبَابَتِي   حَتَّى كَأَنِّي قَدْ هَوِيتُ هَوَانِي
لِيَكُنْ فِدَى لَكَ يَا أَلِيفَ طُفُولَتِي   أَنْ بِتُّ فِيكَ أَلِيفَةَ الأَشْجَانِ
وَغَدَوْتُ أَسْتَجْلِي جَمَالَكَ غَائِباً   مِنْ أَحْرُفٍ نَمَّقْتُهَا بِبَنَانِي
نَمَّقْتُهَا وَكَأَنَّنِي صَوَّرْتُهَا   عَنْ صُورَةٍ مَرْسُومَةٍ بِجَنَانِي
سَوَّدْتُهَا وَحُرُوفُهَا فِي مُهْجَتِي   نَارِيَّةٌ كُتِبَتْ بِأَحْمَرَ قَانِي
يَبْغِي الأَقَارِبُ لِي هَنَاءً آتِياً   بِالظُّلْمِ وَهْوَ لِيَ الشَّقَاءُ الثَّانِي
أَيُضَاعُ فِي غَيْرِ الهَوَى عَهْدُ الصِّبَى   وَالعُمْرُ مِنْ بَعْدِ الشَّبِيبَةِ فَانِي ؟
أَلِنَسْتَزِيدَ يَقِينَنَا بِضَلَالِنَا   وَبِجَهْلِنَا نَقْضِى أَحَبَّ زَمَانِ ؟
خَلُّوا سَبِيلَ الطَّيْرِ يَمْرَحُ هَانِئاً   فِي جَوِّهِ وَيَرُودُ كُلَّ مَكَانِ
وَلْيَلْحَقَنَّ بِإِلْفِهِ وَلْيَسْعَدَا   حِيناً قُبَيْلَ العَهْدِ بِالأَحْزَانِ »

* * *

هَذَا يَسِيرٌ مِنْ مَعَانٍ جَاوَزَتْ   وُسْعَ امْرِىءٍ وَقَدِ احْتَوَاهَا اسْمَانْ
وَلَرُبَّمَا عَجَزَتْ بَلَاغَاتُ الوَرَى   عَمَّا يَخُطُّ بِلَا هُدًى طِفْلَانْ

حلوى العيد

يَا لَيْلَةً فَاجَأْتُ سِرْبَ الغِيدِ ... فِي مَجْمَعٍ يَصْنَعْنَ حَلْوَى العِيدِ
يُخْرِجْنَ مِنْ كُتَلِ العَجِينِ بِذَاتِهَا ... أَمْثَالَ كُلِّ مُشَخَّصٍ مَشْهُودِ
وَيُجِدْنَهَا فَلَوِ الشِّفَاهُ تَعَفَّفَتْ ... عَنْ أَكْلِهَا لَضَمِنْتُهَا لِخُلُودِ
بِأَنَامِلٍ بِيضٍ تَكَادُ تَظُنُّهَا ... مَخْضُوبَةً بِدَمٍ مِنَ التَّوْرِيدِ
وَزُنُودِ عَاجٍ عُرِّقَتْ بِزُمُرُّدٍ ... آيَاتُ حُسْنٍ فِي شُكُولِ زُنُودِ

***

رُوِّعْنَ حِينَ قَدِمْتُ ثُمَّ أَنِسْنَ لِي ... وَرَضِينَ بِي فِي المَحْفِلِ المَعْقُودِ
فَتَوَيْتُ بَيْنَ مَنَاطِقٍ وَقَرَاطِقٍ ... وَمَبَاسِمٍ وَمَعَاصِمٍ وَنُهُودِ
مِنْ كُلِّ طَاوِيَةِ الحَشَى مَمْشُوقَةٍ ... رَيَّا الخُدُودِ كَحَبَّةِ العُنْقُودِ
سَلَّابَةٍ خَلَّابَةٍ غَلَّابَةٍ ... بِاللَّفْظِ أَوْ بِاللَّحْظِ أَوْ بِالجِيدِ

***

لَوْلَا هَوًى يُصْبِي الحَلِيمَ لَمَا ثَوَى ... مَثْوَى الإِنَاثِ أَخُو الرِّجَالِ الصِّيدِ
شَأْنِي مُكَافَحَةُ الخُطُوبِ إِذَا دَجَا ... نَقْعُ الحَوَادِثِ فِي اللَّيَالِي السُّودِ
شَأْنِي مُطَارَدَةُ الضَّلَالَةِ بِالهُدَى ... وَتَدَارُكُ الأَخْطَاءِ بِالتَّسْدِيدِ
شَأْنِي مُسَاهَرَةُ النُّجُومِ بِعُزْلَتِي ... أَسْتَنْزِلُ الإِلْهَامَ غَيْرَ بَعِيدِ
شَأْنِي التَّطَلُّعُ لِلْعَلَاءِ .. وَإِنَّمَا ... هَذِي السَّمَاءُ وَأَنْتِ شَمْسُ وُجُودِي

***

أَنْتِ الحقيقةُ في الحياةِ وَكَاذِبٌ ... غيرُ الهوى لِلمائتِ المَلحُودِ
إنْ أسعفتنا ساعةٌ منهُ فقدْ ... أرَبَتْ بغبطتِها على التخليدِ
أمّا العظائمُ والعلى فمشاغلٌ ... خُلِقتْ منَ التفكيرِ والتسهيدِ
لا تملأُ القلبَ الخليَّ ودأبُها ... نَهْكُ القوى في شقوةٍ وسُهُودِ
أدواتُ لهوٍ نستعينُ بها على ... سَيرٍ عسيرٍ في الحياةِ كَؤُودِ
أشباهُ ما يُعطَى منَ الثمرِ امرؤٌ ... في زادِ ترحالٍ عليهِ شديدِ
ولعلَّ غايةَ كلِّ طالبِ رفعةٍ ... إرضاءُ ذاتِ سلاسلٍ وعقودِ
فيكونُ عيدُ العمرِ ساعةَ مُلتقَى ... وأعزُّ ما ترجوهُ حلوى العيدِ

قال في الشادية

الشهيرة ليلى

أسمعتِنا ما شاقَ ألبابَنا ... وعلّمَ الأحياءَ معنى الوجودْ
يا طائراً أفلتَ من جنّةٍ ... فأسمعَ الفانينَ شدوَ الخلودْ

مؤاســـاة

ألم بصاحب العطوفة الهمام الأمثـــل محمد شاكر باشا صهر البيت الخديوى الكريم كلال خفيف فى العينين من أثر البكاء الطويل على كريمة له اختارها الله لداره فى مقتبل الصبى . فبعث اليه الناظم بهذه الأبيات تعزية وتسلية ودعاء له بالشفاء ، وضمنها بعض ما فى فؤاده من خالص الولاء وعظيم الاكرام لذلك الرجل الجليل الذى شرفه بوده وأعلى منزلته بتقريبه منه

سَلِمَتْ مِنْ شَوَائِبِ التَّكْدِيرِ أَعْيُنُ السَّيِّدِ الهُمَامِ الأَمِيرِ

مَا عَرَاهَا أَذًى وَلَـكِنْ تَغَشَّى عَارِضٌ دُونَهَا جَلَاءَ النُّورِ

طَيْفُ غَادٍ مِنَ السَّحَابِ مُوَلٍّ شَابَ فِي سَيْرِهِ صَفَاءَ غَدِيرِ

ظِلُّ جِرْمٍ قَدْ مَرَّ فِي سَمْتِ نَجْمٍ فَحَمَى نُورَهُ أَوَانَ المُرُورِ

هَلْ عَلَى سَالِمِ النَّوَاظِرِ بَأْسٌ مِنْ غِشَاءٍ يَكُونُ فِي المَنْظُورِ ؟

حَفِظَ اللهُ مُقْلَتَيْكَ وَأَقْصَى عَنْهُمَا كُلَّ طَارِىءٍ مَحْذُورِ

وَلَئِنْ أَغْضَتَا فَعَادَةُ صَفْحٍ فِيهِمَا عَنْ عَفَافِ نَفْسٍ وَخِيرِ

وَلَئِنْ غُضَّتَا فَذَلِكَ مِمَّا غَضَّتَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ الكَثِيرِ

شِيمَةٌ جَازَتِ السَّمَاحَةَ فَضْلًا فَاسْتَتَمَّتْ عَلَى يَدِ المَقْدُورِ

بِضَمِيرٍ عَلَى البَلَاءِ تَقِيٍّ وَفُؤَادٍ عَلَى المُصَابِ شَكُورِ

كُلُّ خُلْقٍ مَا رَاضَهُ الدَّهْرُ يَوْمًا بِكِبَارِ الصُّرُوفِ غَيْرُ كَبِيرِ

هَكَذَا البَأْسُ إِنَّمَا لَيْسَ يَنْفِي مِنْ فُؤَادِ الشُّجَاعِ لُطْفَ الشُّعُورِ

***

لَكَ بَيْنَ الأَسَى وَبَيْنَ التَّأَسِّى ثُــكْلُ وَافٍ وَرُشْدُ هَادٍ صَبُورِ
سَاعَةً يَغْلِبُ التَّأَسِّى فَتَلْقَى وَجَلِيلُ الأُمُورِ مِثْلُ الصَّغِيرِ
وَأَوَانًا تَأْسَى عَلَى الذِّكْرِ حَتَّى لَيَلِينُ البُـكَاءِ صُمَّ الصُّخُورِ
فَلَقَدْ أَلتَقِيكَ تُلْهَبُ شَوْقًا لِفَقِيدٍ غَضٍّ الشَّبَابِ نَضِيرِ
فَإِذَا مِنْكَ فِي غُضُونِ المُحَيَّا مَلْمَحٌ لِلسُّهَادِ وَالتَّفْـكِيرِ
وَإِذَا مِنْكَ رَسْمُ ذَاكَ المُفَدَّى فِي جَبِينٍ يَشِفُّ كَالْبَلُّورِ
يَتَرَاءَى مِنْ عَالَمِ الغَيْبِ فِيهِ كَتَرَائِي النَّجْمِ البَعِيدِ المُنِيرِ
وَأَرَى فِي العُيُونِ مِنْكَ لِحَاظًا تَتَرَامَى إِلَى خَوَالِي الدُّهُورِ
لَاحِقَاتٍ بِهِ حِرَاصاً عَلَيْهِ وَسُلُوُّ لِلْمَاضِينَ شَرُّ القُبُورِ
وَأَرَى أَدْمُعاً تَسِيلُ حِرَاراً مِنْ فُؤَادٍ مُـكَلَّمٍ مَحْرُورِ
كَمِيَاهِ العُيُونِ تَجْرِى بِعَذْبٍ مِنْ مَشِيبِ الجِبَالِ مِلْءَ النُّهُورِ
يَسْتَوِى الجَارِيَانِ بِالصَّفْوِ إِلَّا أَنَّ مَاءَ الدُّمُوعِ غَيْرُ قَرِيرِ

***

حَسْبُ جَفْنَيْكَ يَا «مُحَمَّدُ» جُوداً تَعِباً مِنْ هَذَا البُـكَاءِ الغَزِيرِ
أَفَتَبْـكِي وَأَنْتَ أَوْسَعُ عِلْماً بِسَمَاحِ المُعْطِى وَسَلْبِ القَدِيرِ ؟
أَفَتَبْـكِي وَإِنَّ نَجْلَكَ يُغْنِى مِنْ كِرَامِ البَنِينَ عَنْ جُمْهُورِ ؟
أَفَتَبْـكِي وَمِنْ بَنِيكَ وَفِيرٌ هُمْ بَنُو ذَلِكَ النَّوَالِ الوَفِيرِ ؟
أَفَتَبْـكِي وَمَنْ جَزِعْتَ عَلَيْهِ نَاعِمٌ فِي الجِنَانِ بَيْنَ الحُورِ ؟

خَلَقَ الذِّكْرِ فِي فُؤَادِكَ حَيٌّ ثَابِتُ الرَّسْمِ فِي النُّهَى وَالضَّمِيرِ

نَائِلٌ مِنْ جَمِيلِ وُدِّكَ أَوْفَى بِرٌّ بَاقٍ بِرَاحِلٍ مَبْرُورِ

مَا تُرَى هَذِهِ الْمَدَامِعُ تُغْنِي مِنْ قَضَاءٍ مُحَتَّمِ التَّقْدِيرِ؟

لَكِنِ اللهُ شَاءَ لِلْبِرِّ خِصْباً فَسَقَاهُ مِنْ مَائِهِنَّ الطَّهُورِ

فالوذج البرتقـــال

مدحت بها إحدى العقائل الخواتين من سيدات
مصر لاجادتها عمل هذا « الضرب من الحلوى »

صَفْرَاءُ مِنْ فَالُوذَجِ الْبُرْتُقَالْ مَقْدُودَةٌ فِي الْكُوبِ قَدَّ الْهِلَالْ

تَرْتَجُّ فِي مَوْضِعِهَا عَنْ دَلَالْ

ذَلِكَ قَطْرٌ مِنْ نَدَى حُلْيَا حَبَسْتِ فِيهِ مِنْ عَصِيِّ الضِّيَا

مَسْحَةَ شَمْسٍ آذَنَتْ بِالزَّوَالْ

أَلطِّيبُ مِنْ أَلْطَفِ مَا يُسْتَطَابْ وَالشَّكْلُ زَاهٍ كَالْعَقِيقِ الْمُذَابْ

وَالطَّعْمُ حُلْوٌ فِيهِ سِحْرٌ حَلَالْ

فَيَا يَداً تَصْنَعُ هَذَا العَجَبْ سُلَافَةٌ فِي عَنْبَرٍ فِي ضَرَبْ[1]
سَلِمْتِ لِلذَّوْقِ مَعاً وَالْكَمَالْ

قَالُوا لَنَا فِي جَنَّةٍ كَوْثَرُ لَكِنَّهُمْ فِي وَعْدِهِمْ أَخَّرُوا
فَقَدِّمِي فَالُوذَجَ البُرْتُقَالْ

فى استئناف حرب جائرة

بين أمة كبيرة وأمة صغيرة

مُفْتَرٍ مَنْ قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ مَاتُوا حَدِّثِينَا عَنْهُمُ يَا مُعْجِزَاتُ
حَدِّثِينَا كَيْفَ أَوْدَى بِالأُولَى مَلَكُوا الآفَاقَ حُرَّاتٌ عُفَاةُ
كَيْفَ أَفْنَى كُلَّ ذِي دِرْعٍ وَذِي لَأْمَةٍ مُدَّرِعُو النَّقْعِ حُمَاةُ
نَفَرٌ ظَنُّوا ضِعَافاً فَإِذَا هُمُ لِلْقَرْمِ الأَشَدِّينَ غُزَاةُ
فِئَةٌ قَلَّتْ وَأَعْيَا دُونَهَا عَسْكَرٌ ضَاقَتْ بِهِ السِّتُّ الْجِهَاتُ
هَاجَمُوهَا فَتَلَقَّتْهُمْ كَمَا تَتَلَقَّى هَجْمَةَ الْبَحْرِ الصَّفَاةُ
إِنَّمَا الأَضْعَفُ فِي الْحَوْمَةِ مَنْ ضَعُفَتْ آرَاؤُهُ وَالْفَتَكَاتُ

(١) ضرب : عسل .

وَالقَلِيلُ النَّزْرُ فِي الأَزْمَةِ مَنْ ... خَانَهُ الصَّبْرُ وَجَافَاهُ الثَّبَاتُ

قِيلَ هَذَا فِيهِمُ فِعْلُ التُّقَى ... وَالصَّلَاحُ الحَقُّ لِلخَوْفِ ثَمَاتُ

صَدَقُوا: رَأْسُ التُّقَى الفِعْلُ، فَإِنْ ... كَانَ قَوْلًا فَهْوَ زُورٌ وَافْتِيَاتُ

هَكَذَا القَوْمُ وَمَا تَقْوَاهُمُ ... فِقَرٌ يَتْلُونَهَا أَوْ دَعَوَاتُ

فَإِذَا صَامَ الفَتَى مِنْهُمْ فَعَنْ ... دَمِ أَسْرَاهُ وَإِنْ لَمْ تُعْفَ شَاةُ

وَإِذَا زَكَّى فَجَارِي دَمِهِ ... فِي سَبِيلِ الوَطَنِ الحُرِّ زَكَاةُ

وَإِذَا صَلَّى فَفِي جِذْوَتِهِ ... لِلْمُرَامَاةِ سُجُودٌ وَصَلَاةُ

* * *

مَنْ دَعَا اللهَ عَلَى غَاصِبِهِ ... فَالدُّعَاءُ السَّيْفُ وَالذِّكْرُ القَنَاةُ

أَوْ حَمَى الأَوْطَانَ وَالعِرْضَ مَعًا ... فَهُوَ الدِّينُ كَمَا تَرْضَى الحَيَاةُ

أَيُّهَا السُّوقَةُ كُلٌّ مِنْهُمُ ... مَلِكٌ قَدْ تَوَّجَتْهُ الهِبَوَاتُ

أَيُّهَا الجُهَّالُ كُلٌّ مِنْهُمُ ... قَائِدٌ تُؤْثَرُ عَنْهُ الخُدَعَاتُ

يَا حُمَاةَ الخُلُقِ الحُرِّ وَقَدْ ... عَافَهُ النَّاسُ وَخَانَتْهُ الحُمَاةُ

صَائِنِي دَارِهِمِ العَذْرَاءِ عَنْ ... وَاطِىءٍ إِلَّا وَمَا فِيهَا مَوَاتُ

شَيِّدُوا تَارِيخَكُمْ مِنْ نَقْضِ مَا ... شَادَهُ فِي أَزَلِ الدَّهْرِ الطُّغَاةُ

ثَابِرُوا فِي وَثْبِكُمْ وَلْتَهْنِنَا ... فِي تَلَاشِينَا الهَنَاتُ الهَيِّنَاتُ

تَابِعُوا النَّصْرَ بِنَصْرٍ وَلْتَكُنْ ... خَجْلَةَ الأَنْذَالِ هَذِي النَّصَرَاتُ

يَصْنَعُ الجَبَّارَ مَنْ تَعْدَمُهُ ... مِنْكُمُ لِلضَّرْبِ وَالطَّعْنِ أَدَاةُ

وَفَتَانَا يَلْثَمُ الكَفَّ الَّتِي فِي جَبِينِ المُلْكِ مِنْهَا صَفَعَاتُ

* * *

مَنْ «لِمِينَا» أَنْ يَرَى فِي خُلْدِهِ كَيْفَ أَخْنَتْ بِبَنِيهِ المُوبِقَاتُ

فَلَقَدْ أَرْنُو إِلَى «مِصْرَ» الَّتِي خَلَّدَتْهَا البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

فَأَرَى رُوحًا قَدِيمًا طَائِفًا بَاكِيًا مِمَّا جَنَتْ «مِصْرُ» الفَتَاةُ

كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ هَالَتْهُمُ شُقَّةُ المَجْدِ فَذَلُّوا وَاسْتَمَاتُوا ؟

كَيْفَ يَقْوَى مَعْشَرٌ عُدَّتُهُمْ هَزْلُهُمْ، وَالمَشْرَفِيَّاتُ، النُّكَاتُ؟

أَبِخَوْفِ الغُولِ يُرْجَى عِنْدَهُمْ خُلُقُ البَأْسِ وَتُرْجَى العَظَمَاتُ ؟

أَمْ بِآدَابٍ وَأَلْحَانٍ يَهِي مَعَهَا العَزْمُ وَتَقْوَى الشَّهَوَاتُ ؟

فَارْفَعِ الصَّوْتَ وَأَيْقِظْهُمْ فَقَدْ طَالَ عَهْداً بِهِمُ هَذَا السُّبَاتُ

مَا «لِمِصْرٍ» شِبْهُ قَبْرٍ وَاسِعٍ مُنْذُ فِرْعَوْنَ، وَمَنْ فِيهَا رُفَاتُ ؟

غريم وغارم

أصيبت حسناء بورم فى الجفن تدلى منه شبيهاً بالقلب فقال الناظم فى ذلك :

رَمَتْنِي فَأَدْمَتْ بِأَلْحَاظِهَا وَمَا كُنْتُ بِالبَادِئِ الآثِمِ

وَهَذَا فُؤَادِي عَلَى جَفْنِهَا غَرِيمٌ تَعَلَّقَ بِالغَارِمِ

مغيب فى البزوغ

رثاء للمرحومة مارى كندرجى توفيت فى الثانية عشرة من العمر فى دار غربة

هَلْ كَانَ هَذَا البَيْنُ فِي الفَجْرِ   فَتَلَوتِ كَوْكَبَهُ عَلَى الإِثْرِ ؟
أَمْ فِي الضُّحَى فَنَفَحْتِ آخِرَ مَا   نَفَحَتْهُ ذَابِلَةٌ مِنَ الزَّهْرِ ؟
أَمْ فِي الهَجِيرَةِ فَانْحَلَلْتِ كَمَا   شَرِبَ الضِّرَامُ وَحِيدَةَ القَطْرِ ؟
أَمْ فِي الزَّوَالِ فَغُرِبَانِ مَعاً   لِلشَّمْسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي خِدْرِ ؟
أَمْ فِي الظَّلَامِ فَزَادَهُ حَلَكاً   سِرٌّ رَقِيتِ بِهِ إِلَى سِرِّ ؟
أَمْ فِي تَجَلِّي البَدْرِ مُمْتَزِجاً   مِنْكِ انْسَجَى بِكَآبَةِ البَدْرِ ؟

* * *

إِنِّي جَزِعْتُ عَلَى صِبَاكِ وَهَلْ   جَزَعٌ يُكَافِئُ فَادِحَ الأَمْرِ ؟
وَجَزِعْتُ أَنَّكِ مَا انْتَهَيْتِ إِلَى   وَطَرٍ وَلَا قَصْدٍ مِنَ العُمْرِ
وَجَزِعْتُ أَنَّكِ قَدْ وُكِلْتِ بِلَا   ذَنْبٍ لِظَالِمَةٍ بِلَا عُذْرِ
فَقَضَيْتِ حِيناً فِي العَذَابِ وَلَمْ   تَدْرِي عَلَامَ ، وَمِتِّ لَمْ تَدْرِي

* * *

لَمْ تُمْهَلِي حَتَّى نَرَى أَثَراً   لَكِ مِنْ أَشِعَّةِ بَاهِرِ الفِكْرِ
لَمْ تُمْهَلِي حَتَّى نَرَى عَمَلاً   لَكِ مِنْ نِتَاجِ الفَضْلِ وَالبِرِّ
لَمْ تُمْهَلِي حَتَّى نَرَى وَلَداً   لَكِ يُرْتَجَى لِلنَّفْعِ وَالضُّرِّ

فَلِأَيٍّ مَعْنًى جِئْتِ مِنْ عَدَمٍ؟ وَلِأَيٍّ مَعْنًى بِتٌّ فِى القَبْرِ؟
فَلَئِنْ ذَهَبْتِ وَمَا تَرَكْتِ لَنَا غَيْرَ الأَسَى وَمَرَارَةِ الذِّكْرِ
فَلْيَسْلِ أُمَّكِ أَنَّ رُوحَكِ فِى دَارِ النَّعِيمِ وَجَنَّةِ البِشْرِ

أول الجمال

جمال النفس

نصيحة كتبها الناظم لحسناء كانت تسيء القول فى حسناء مثلها توفاها الله

لَا تَغَارِى مِنْ حُسْنِهَا المَلْحُودِ وَشَبَابٍ فِى شَرْخِهِ مَفْقُودِ
وَارْحَمِيهَا كَرَحْمَتِى وَاذْكُرِيهَا بَعْدَ هَذَا المُصَابِ ذِكْرَ وَدُودِ
وَاحْذَرِى أَنْ تَبُوحَ عَيْنَاكِ يَوْمًا لِلْمُرِيدِينَ عَنْ فُؤَادٍ حَسُودِ
فَمِنَ الغَبْنِ أَنْ تَشِفَّ اللَّآلِى وَهْىَ غَرَّاءُ عَنْ نِكَاتٍ سُودِ[1]
وَمِنَ النَّقْصِ فِى جَلَالَةِ نِدٍّ أَنْ يَرَى نِدَّهُ بِعَيْنِ حَقُودِ[2]
وَمُغَالَاةُ غَادَةٍ لِسِوَاهَا كَاعْتِرَافٍ مِنْهَا لَهَا بِمَزِيدِ[3]
خَلَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لَكِ إِرْثًا فَامْلِكِى مِلْكَ سَيِّدٍ لِمَسُودِ
وَارْفَعِى فِى الأَحْزَابِ رَايَةَ جَمْعٍ بَيْنَ حُسْنٍ بَاقٍ وَنَجْمٍ سَعِيدِ

(١) نكات : نقط (٢) ند : الند المضم الكفؤ لخصمه (٣) مغالاة : مباغضة

فلقدْ شَتَّتَ المُحِبِّينَ عَنْهَا ما انطوَى مِنْ لِوَائِهَا المنكودِ
أَصْبَحَتْ فِي يَدِ البِلَى فَدَعِيهَا بِسَلَامٍ وَاسْتَمْتِعِي بِالوُجُودِ
لَكِ مَلْهًى مِنَ الصِّبَى وَالتَّصَابِي فَاغْنَمِيهِ إِلَى مَدًى مَحْدُودِ

بكاء

على فقيدة الصبي والكمال المرحومة ملوى سبع

أَبْكِي شَبَابَكِ وَالجَمَالَا أَبْكِي الحَصَافَةَ وَالكَمَالَا
أَبْكِي زَمَانًا لَمْ يَطُلْ حَتَّى خَبَا نَجْمٌ وَزَالَا
أَعَفَا مِثَالُكِ غَيْرَ مَا أَبْقَتْ لَنَا الذِّكْرَى مِثَالَا؟
وَعَفَا حَدِيثٌ كَانَ فِي أَسْمَاعِنَا سِحْرًا حَلَالَا ؟
وَعَفَا ذَكَاءٌ بَاهِرٌ يَجْلُو الظَّلَامَ إِذَا تَلَالَا ؟
كَالنُّورِ فِي بَلُّورَةٍ حَسْنَاءَ يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَا
أَفْنَاكِ إِحْرَاقًا وَأَطْفَأَهُ فُؤَادُكِ حِينَ سَالَا

***

أَبْكِي لِطِفْلَتِكِ الَّتِي حَمَّلْتِهَا الكُرَبَ الثِّقَالَا
أَيْتَمْتِهَا كُرْهًا وَلَمْ تَشْفِي الحَشَى مِنْهَا وِصَالَا

أَوْدَعْتِهَا الصَّدْرَ الَّذِى رَبَّاكِ مِنْ قَبْلٍ وَعَالَا

وَلِغَيْرِ خَمْسٍ مَا رَأَيْـــتِ عَلَى مُحَيَّاهَا الهِلَالَا

يَا وَيْلَهَا تَبْكِى كَمَنْ تَأْسَى وَتَضْحَكُ كَالجَذَالَى!

فَإِذَا بَكَتْ فَلِفَقْدِهَا رِفْقَ الأُمَيْمَةِ وَالدَّلَالَا

وَإِذَا تُسَرُّ فَقَدْ تَرَى لَكِ جَنْبَ مَضْجَعِهَا خَيَالَا

* * *

أَبْكِى لِأُمِّكِ وَهْىَ ثَكْـــلَى لَا تُقَاسُ إِلَى الثَّكَالَى

فَقَدَتْ بِكِ الآمَالَ وَاسْـــتَبْقَتْ شُجُوناً وَاعْتِلَالَا

فَقَدَتْ شَبَاباً ثَانِياً بِكِ وَانْطَوَتْ حَالًا فَحَالَا

* * *

هَذِى العَرُوسُ فَوَسِّعُوا لِمُرُورِ مَوْكِبِهَا المَجَالَا

هَذِى أَرِيكَتُهَا يَطُو فُ العَالَمُونَ بِهَا احْتِفَالَا

هَذِى صَوَافِنُ عِزِّهَا تَمْشِى وَتَخْتَالُ اخْتِيَالَا

إِيهاً إِلَى أَيْنَ المَسِيـــرُ؟ وَمَا الذِى يُبْكِى الرِّجَالَا؟

أَلْيَوْمَ قَدْ صَارَتْ إِلَى النُّـــعْمَى وَقَدْ طَابَتْ مَآلَا

صُوغُوا لِرَقْدَتِهَا مِنَ الْـ أَزْهَارِ مَهْداً لَا يُغَالَى

وَدَعُوا المُحَيَّا فِى الضِّيَا ءِ وَلَا تُوَارُوهُ الرِّمَالَا

غَبْنٌ عَلَى هَذِى العُيُو نِ تُمَاضُ بِالتُّرْبِ اكْتِحَالَا

الطفل الطاهر

والحق الظاهر

تزوج فتى أديب عاقل فى مصر زواجاً شرعياً على مذهب مسيحى غير المذهب الذى ولد عليه لأسباب لا محل لتفصيلها هنا. فشق ذلك على رئيس المذهب الذى انتقل منه ذلك الشاب وبحث عن وسيلة للانتقام. فوجد نقصاً فى الصيغة التى تم عليها ذلك الزواج وشرع يقلق الحكومة ويستثير الجمهور لنقض ذلك العقد. فاستشفع الناظم لدى ذلك الرئيس بمراحم الدين الحقيقى الذى عليه المسيح وبكل ما يلين الجماد من المؤثرات الانسانية، واستسمحه على الخصوص لجنين برىء يلحق به العار الخالد لو أبطل زواج والديه. فأبى العاتى وأصرّ على عناده ثم نصر الله العدل، وثبتت صحة العقد، ورزق الفتى على أثر تلك المحنة غلاماً ذكراً آية فى الجمال. فقال الناظم يهنئه ويشير إلى قصته

لَكَ يَا وَلِيدُ تَحِيَّةُ الأَحْرَارِ كَتَحِيَّةِ الجَنَّاتِ وَالأَطْيَارِ
تُهْدَى إِلَى سَحَرٍ مِنَ الأَسْحَارِ

أَقْبَلْتَ، وَجْهُكَ بِالطَّهَارَةِ أَبْلَجُ وَالوَقْتُ طَلْقٌ، وَالرَّبِيعُ مُدَبَّجُ
وَالشَّمْسُ سَاكِبَةٌ سُيُولَ نُضَارِ

آيَاتُ حُسْنٍ لَمْ يَكُنَّ مَظَاهِرَا لِلسَّعْدِ فِيكَ وَلَا ضُرِبْنَ بَشَائِرَا
لَكِنَّهُنَّ عَرَضْنَ فِي التَّسْيَارِ

لَوْ كَانَ بَيْتُ إِمَارَةٍ لَكَ مَنْبِتاً لأَجَلَّتِ الدُّنْيَا وِلَادَكَ مِنْ فَتَى
وَسَرَى بَشِيرُ البَرْقِ فِي الأَمْصَارِ

وَلَعَلَّ رَاجٍ أَنْ يُثَابَ بِمَا افْتَرَى : تِلْكَ الْعَلَائِمُ فِي السَّمَاءِ وَفِي الثَّرَى
مِنْ شِدَّةِ الإِعْظَامِ وَالإِكْبَارِ

لَـكِنْ وُلِدْتَ كَمَا أُتِيحَ وَمَا دَرَى أَحَدُ الأَنَامِ لِأَيِّ أَمْرٍ قُدِّرَا
أُعْدِدْتَ مُنْذُ بَدَاءَةِ الأَعْصَارِ

سِرٌّ . . وَكُلُّ ابْنٍ لِأُنْثَى يُولَدُ سِرٌّ لِهَذَا النَّاسِ يَكْشِفُهُ الْغَدُ
عَمَّا تُـكِنُّ مَشِيئَةُ الْقَـدَّارِ

عَنْ سَائِمٍ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ ضَائِعٍ أَوْ كَوْكَبٍ مَاحِي الـكَوَاكِبِ سَاطِعٍ
مُتَـكَامِلٍ فِي السَّيْرِ كَالأَقْمَـارِ

مَا حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ فِيكَ ؟ أَتَنْجَلِي عَنْ آخِرٍ فِي الْقَوْمِ أَمْ عَنْ أَوَّلِ ؟
عَنْ مُحْجِمٍ أَمْ مُقْدِمٍ مِغْوَارِ ؟

فَلَئِنْ سَمَوْتَ إِلَى مَقَامِ إِمَارَةٍ يَوْمًا ، « فَعِيسَى » كَانَ طِفْلَ مَغَارَةٍ
وَرَضِيعَ رَائِمَةٍ مِنَ الأَبْقَارِ[1]

وَأَحَقُّ مَا حَقَّ الْعَلَاءِ لِنَائِلٍ مَا نِلْتَهُ مِنْ هِمَّـةٍ وَفَضَائِلٍ
عَنْ كَابِرِينَ مِنَ الأُصُولِ كِبَارِ

مَا لِي وَمَا لِأَبِيكَ أُطْرِئُهُ ؟ فَمَا هِيَ شِيمَتِي وَأَبُوكَ لَا يَعْنِيهِ مَا[2]
يَثْنِيهِ عَنْهُ مُخَبِّرُو الأَخْبَارِ

---

(١) رائمة : ذات حنو (٢) أطرئه : أمدحه

وَهُوَ السَّعِيدُ بِأَنَّ أُمَّكَ أَهْلُهُ   أَلْمُزْدَهِي عُجْباً بِأَنَّكَ نَجْلُهُ[1]
وَكَفَاهُ مُلْكُ رِضًى وَتَاجَ فَخَارِ

***

فَسُرُورُ كُلِّ مُهَنَّإٍ بِكَ لَمْ يَكُنْ   إِلَّا بِذَاتِكَ إِنْ تَعِزَّ وَإِنْ تَهُنْ
يَا طِفْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ الأَدْهَارِ

يَرْجُونَ أَنْ تَحْيَا وَإِنْ لَمْ تَنْبُغِ   لَا يَبْتَغُونَ لَكَ الَّذِي قَدْ تَبْتَغِي
فِيمَا يَلِي مِنْ بَاذِخِ الأَخْطَارِ

أُمْنِيَّةُ الآبَاءِ لَا يَعْدُونَهَا   وَهِيَ الَّتِي لِلطِّفْلِ يَسْتَهْدُونَهَا
مِنْ فَضْلِ خَالِقِهِ بِلَا اسْتِكْثَارِ

وَسِوَى الحَيَاةِ مِنَ الْمُنَى يَدْعُونَهُ   لِلَّهِ يَقْضِي فِي الوَلِيدِ شُؤُونَهُ
نَحْساً وَإِسْعَاداً قَضَاءَ خِيَارِ

فَهُوَ الَّذِي يُعْلِي العَلِيَّ القَادِرَا   وَهُوَ الَّذِي يَضَعُ الوَضِيعَ الصَّاغِرَا
لُطْفاً لِمَا يَبْغِي مِنَ الأَوْطَارِ

إِنْ شَاءَ جَاءَ الطِّفْلُ فِي مِيقَاتِهِ   فَشَأَى بَنِي أَوْطَانِهِ وَلِدَاتِهِ[2]
وَسَمَا وَأَضَاءَ كَالسَّيَّارِ

---

(١) أهله : قرينته   (٢) شأى : سبق . لداته : أقرانه فى السن

أَوْ شَاءَ خَالَفَ وَقْتَهُ فَذَكَاؤُهُ كَلَظَى الحَرِيقِ، شُبُوبُهُ وَضِيَاؤُهُ
لِلسُّوءِ لَا لِقِرًى وَلَا لِمُنَارِ[1]

***

وَلَقَدْ شَفَى مِنَّا قُدُومُكَ حَسْرَةً وَأَقَرَّ أَعْيُنَ وَالِدَيْكَ مَسَرَّةً
إِنْ كَانَ فِي مُتَفَتِّحِ النُّوَّارِ

حَيْثُ الرِّيَاضُ تَظَاهَرَتْ بَهَجَاتُهَا فَتَفَتَّقَتْ مَسْرُورَةً مُهَجَاتُهَا
عَنْ غُرِّ أَزْهَارٍ وَغُرِّ ثِمَارِ

فَجَبِيمُكُمْ مُتَهَلِّلٌ فِي كِنِّهِ مُتَنَاوِلٌ أَلْبَانَهُ مِنْ أُمِّهِ
سَمْحَاءَ بَيْنَ مَرَاضِعٍ وَصِغَارِ

أَلأُمُّ تَغْذُو طِفْلَهَا مِنْ ضِرْعِهَا وَالأَرْضُ تَغْذُو أُمَّهُ مِنْ زَرْعِهَا
وَالكَوْنُ عَيْلَةُ رَازِقٍ غَفَّارِ

فَعَلَامَ مِنْ دُونِ الأَزَاهِرِ أَنْتُمَا أَبَوَاكَ يَا هَذَا الصَّبِيُّ ؟ وَإِنْ هُمَا
إِلَّا كَهَذَا النَّبْتِ فِي الأَزْهَارِ؟

أَيُّ القُسُوسِ أَتَى النَّبَاتَ فَزَوَّجَا بَعْضاً بِبَعْضٍ مِنْهُ كَيْمَا يُنْتِجَا
بِدُعَائِهِ نَسْلًا مِنَ الأَخْيَارِ؟

---

(١) لا لقرى ولا لمنار : لا لضيافة ولا لإنارة

هَلْ سَاجِعُ الأَيْكَاتِ حِينَ يُغَرِّدُ   فِي ذَلِكَ الرِّيشِ الْمُلَوَّنِ سَيِّدٌ
يَشْدُو لِيَجْعَلَهَا مِنَ الأَبْرَارِ؟

وَهَلِ الرِّيَاحُ يَعِيبُهَا أَنْ تَحْمِلَا   نَسَمَ الهَوَى النَّوْرِيَّ مِنْ ذَكَرٍ إِلَى
أُنْثَى تُلَقِّحُهَا مِنَ الأَشْجَارِ؟

وَمَنِ الذِي يَرْمِي السَّوَابِحَ بِالخَنَا   وَيَرَى مُنَاسَلَةَ السِّبَاعِ مِنَ الزِّنَا
وَمُوَلَّدَاتِ الطَّيْرِ فِي الأَوْكَارِ؟

هُنَّ اسْتَبَحْنَ إِنَاثَهُنَّ بِلَا نُهَى   وَالْمَرْءُ فَرَّقَ بِاخْتِيَارٍ بَيْنَهَا
لِيَكُونَ صَاحِبَ أُسْرَةٍ وَذَرَارِي

سَنَّ العَفَافَ كَمَا ارْتَآهُ فَضِيلَةً   وَدَعَا الخِلَافَ نَقِيصَةً وَرَذِيلَةً
فِيمَا اقْتَضَاهُ خُلُقُ الاِسْتِئْثَارِ

نَاطَ الزَّوَاجَ بِصِيغَةٍ تَتَعَدَّدُ   أَشْكَالُهَا عَدَدَ الطَّوَائِفِ، يُقْصَدُ
حِفْظُ النِّظَامِ بِهَا وَصَوْنُ الدَّارِ

فَإِذَا اصْطَفَى مَا شَاءَ مِنْ أَغْرَاضِهَا   وَجَرَى عَلَى الْمَرْعِيِّ مِنْ أَغْرَاضِهَا
أَصْلًا، فَأَيُّ مَعَرَّةٍ وَخَسَارِ؟

قَالُوا أَتَى.. نُكْرًا! وَنُكْرٌ قَوْلُهُمْ،   لَوْلَا تَبَجُّحُهُمْ وَلَوْلَا طَوْلُهُمْ
مَا خَيَّمَتْ رِيَبٌ عَلَى أَطْهَارِ

دَفَعَ ادِّعَاءَهُمْ وَأَبْطَلَ زَعْمَهُمْ زَمَنٌ طَوَى تَحْتَ الغَبَاوَةِ ظُلْمَهُمْ
وَأَمَاطَ سِتْرَ الزُّهْدِ عَنْ تُجَّارِ[1]

***

يَا طِفْلُ قَلِّبْ طَرْفَكَ الْمُتَرَدِّدَا ، أَوَ مَا تَرَى شَبَحاً عَبُوساً أَسْوَدَا
مُتَجَسِّساً لَكَ مِنْ وَرَاءِ سِتَارِ؟

هَذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ قَبْلَ الْمَوْلِدِ وَجَنَى عَلَيْكَ جِنَايَةَ الْمُتَعَمِّدِ
وَمِنَ السَّمَاءِ دَعَاكَ صَوْبُ النَّارِ

زَعَمَ الإِلَهَ يُرِيدُ مِثْلَكَ مُذْنِباً مِنْ يَوْمِهِ ، وَمُعَاقَباً وَمُعَذَّباً
فِي الغَيْبِ قَبْلَ مَظِنَّةِ الإِسْفَارِ

تَاللهِ إِنْ تَنْظُرْهُ نَظْرَةَ مُغْضَبِ تُزْهِقْهُ إِزْهَاقَ الشِّهَابِ لِغَيْهَبِ
فَيُوَلِّ عَنْكَ مُمَزَّقاً بِشَرَارِ

لَكِنْ أَرَاكَ تَبَشُّ بَشَّةَ سَامِحِ وَأَرَاكَ تَرْمُقُهُ بِعَيْنِ الصَّافِحِ
مَا لِلهِلَالِ وَلِلسَّحَابِ السَّارِي؟!

***

رُسُلَ المَسِيحِ الشَّارِبِينَ دِمَاءَهُ . الآكِلِينَ بِلَا تُقًى أَحْشَاءَهُ
المُولِمِينَ عَلَيْــهِ كُلَّ نَهَارِ

---

(١) أماط : كشف

أَفَذَبْحُكُمْ ذَاكَ الذَّبِيحَ لِفِدْيَةٍ؟ أَمْ تِلْكَ مَأْسَاةٌ تُعَادُ لِكُذْبَةٍ ؟
أَمْ ذَاكَ مُصْطَبَحٌ وَرَشْفُ عُقَارِ ؟

مَا أَجْمَلَ الصَّلَاحَ مِنْكُمْ خَلَّةً مَا أَبْشَعَ الظُّلَّامَ مِنْكُمْ قَتْلَةً
إِذْ يَنْقِمُونَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ثَارِ

اللهُ أَوْحَى فِكْرَةً هِيَ دِينُهُ فَمَنِ اهْتَدَى هِيَ نُورُهُ وَيَقِينُهُ
أَوْ ضَلَّ فَلْيُبْحِرْ بِغَيْرِ مَنَارِ

نَزَلَتْ عَلَى الهَادِي الأَمِينِ الشَّافِعِ كَلِمًا ثَلَاثًا تَحْتَ لَفْظٍ جَامِعٍ
قُدْسِيَّةَ النَّفَحَاتِ وَالآثَارِ

أَلْحُبُّ فِي المَعْنَى العَمِيمِ الكَامِلِ مَعْنَى المَرَاحِمِ وَالفِدَاءِ الشَّامِلِ
بِالبِرِّ لِلأَعْدَاءِ وَالأَنْصَارِ

وَالعَدْلُ يَقْضِي بِالخَرَاجِ لِقَيْصَرَا وَالصَّفْحُ عَنْ كُلِّ يُسِيءُ مِنَ الوَرَى
هَذِي دِيَانَتُهُ بِلَا إِنْكَارِ

أَلْقَى مَبَادِئَهَا وَكَلَّا خَوَّلَا تَعْلِيمَهَا وَنَفَى الرِّئَاسَةَ وَالعُلَى
مِنْهَا وَنَزَّهَهَا عَنِ الأَسْرَارِ

وَأَرَادَكُمْ لِتُعَلِّمُوا وَتُبَشِّرُوا وَأَرَادَكُمْ لِتُسَامِحُوا وَلِتَغْفِرُوا
وَدَعَا الصِّغَارَ إِلَيْهِ بِاسْتِئْثَارِ

فَنَذَرْتُمُ لِلَّهِ بَطْنًا مُشْبَعًا وَيَداً إِذَا مُدَّتْ فَكَيْمَا تَجْمَعَا
وَعَقِيرَةً «لِلشَّجْبِ» وَالإِنْذَارِ (١)

وَزَهِدْتُمُ فِي غَيْرِ مَا تَرْضَوْنَهُ وَرَغِبْتُمُ عَنْ كُلِّ مَا تَأْبَوْنَهُ
إِلَّا عَلَى قَدَرٍ مِنَ الإِظْهَارِ

وَقَسَمْتُمُ دِينَ الْمَسِيحِ مَذَاهِباً تَسْتَكْثِرُونَ مَرَاتِباً وَمَنَاصِباً
فَأُضِيعَ بَيْنَ تَشَتُّتِ الأَفْكَارِ

وَمَضَيْتُمُ فِي الغَيِّ حَتَّى نِلْتُمُ فِي بَعْضِ وَهْمِكُمُ الْجَنِينَ وَقُلْتُمُ:
هَذَا الْبَرِيءُ رَهِينَةٌ لِلعَارِ

فَلَئِنْ يَكُنْ فِي الْخَلْقِ خَلْقٌ طَاهِرُ فَالطِّفْلُ تِمْثَالُ العَفَافِ الظَّاهِرُ
فِي عَالَمِ الآثَامِ وَالأَوْزَارِ

أَفَمَا كَفَى ذَاكَ الرَّهِينَةُ لِلرَّدَى مَا سَوْفَ يَلْقَاهُ مِنَ الدُّنْيَا غَدًا
حَتَّى يُذَالَ وَيُبْتَلَى بِشَنَارِ؟

***

يَا مَنْ عَرَفْتُ وَكَانَ قَسًّا صَالِحَا عَدْلًا كَمَا يَرْضَى الْمَسِيحُ مُسَامِحَا
مُتَبَتِّلَ الإِعْلَانِ وَالإِسْرَارِ

---

(١) عقيرة : لساناً . الشجب : من مصطلحات الكنيسة بمعنى التعزيز

مُتَجَرِّداً عَنْ عِزِّهِ وَشَبَـابِهِ وَهَنَاءِ عِيشَتِهِ وَلَهْوِ صِحَابِهِ
مُتَنَعِّماً بِالزُّهْـدِ وَالإِعْسَارِ

يَهْدِي الأَنَامَ بِقَوْلِهِ وَبِفِعْـلِهِ مُسْتَرْشِداً فِي الرَّيْبِ حِكْمَةَ عَقْلِهِ
لِيَرَى مُؤَدَّى النَّصِّ بِاسْتِبْصَارِ

مُتَجَنِّبَ التَّحْرِيمِ فِيـهِ حَيْثُمَا تَنْبُو قُوَى الإِدْرَاكِ عَنْهُ فَرُبَّمَا
أَفْضَى إِلَى التَّنْفِـيرِ وَالإِنْفَارِ

مُتَوَفِّراً لِلْخَيْرِ جُهْدَ نَشَاطِهِ يَفْنَى وَلَا يُفْنِي قُوَى اسْتِنْبَاطِهِ
لِبُـلُوغِ قَدْرٍ فَائِقِ الأَقْدَارِ

مُتَرَدِّياً مِسْحاً كَثِيفاً شَائِكاً مُخْشَوْشِناً يَجِدُ اللَّذَاذَةَ فَارِكَا[1]
وَيَرَى الْخِيَانَةَ طَبْعَةَ الدِّينَارِ

قُمْ مِنْ ضَرِيحِكَ بِالْبِلَى مُتَلَفِّفَا وَاخْزِ الطُّغَاةَ الْمُفْسِدِينَ وَقُلْ كَفَى
سَرَفًا بِهَذَا الْبَغْيِ وَالإِضْرَارِ[2]

لَا تَنْقُضُوا بَيْتاً لَدَى تَـكْوِينِهِ وَحَذَارِ مِنْ يُتْمِ الصَّغِيرِ بِدِينِهِ
وَحَذَارِ مِنْ بَأْسِ الْمَضِيمِ ، حَذَارِ[3]

---

(١) شائكا : يشوك لابسه (٢) سرفا : إسرافا (٣) المضيم : المظلوم .

هَذِى الْمَذَاهِبُ كُلهَا دِينُ الْهدَى كأَشِعَّةِ الشَّمْسِ افْتَرَقْنَ إِلَى مَدَى
وَالْمُلْتَقَى فِي مَصْدَرِ الأَنْوَارِ

* * *

يَا طِفْلُ إِنَّكَ لِلْفَضِيلَةِ مَعْبَدُ فَلَدَيْكَ أَرْكَعُ بِالضَّمِيرِ وَأَسْجُدُ
لِلصَّانِعِ الْمُتَكَبِّرِ الجبَّارِ

أَجْثُو وَأَرْجُو ضَارِعًا مُتَخَشِّعًا مِنْكَ ابْتِسَامًا أَجْتَلِيهِ لِيَقْشَعَا
عَنِّى مَكَايِدَ دَهْرِىَ الغَدَّارِ

فَلَقَدْ صَفَحْتَ تَكَرُّمًا وَتَطَوُّلَا عَمَّنْ أَبَوْا إِلَّا الأَذَى لَكَ وَالقِلَى[1]
حَتَّى أَرَابُوا فِي سَمَاحِ البَارِى

---

(١) القلى : البغضاء

رثــــاء

للمغفور له

الوزير الفارس الشاعر محمود باشا سامى البارودى

مُصَابُكَ حَيًّا عَرَا جَعْفَرَا وَخَطْبُكَ مَيْتاً عَرَا قَيْصَرَا
رُزِئْنَاكَ لَمْ يُغْنِ مِنْكَ البَيَا نُ وَلَمْ يَعْصِمِ الجَاهُ أَنْ تُقْبَرَا
وَهَذِى النِّهَايَةُ عُقْبَى النُّهَى وَذَاكَ الثَّرَاءُ لِهَذَا الثَّرى
وَغَايَةُ مَجْدِكَ فِي العَالَمِيــنَ إِذَا عَرَفُوا الفَضْلَ أَنْ تُشْكَرَا
وَآخِرُ بَأْسِكَ أَنْ يُعْتَدَى عَلَيْكَ دَفِيناً وَأَنْ يُفْتَرَى[1]
أَيُهْتَكُ عَنْهَا قَمِيصُ المُرُو ءَةِ تَحْتَ البِلَى مَنْعَ أَنْ تُنْتَرَا؟
وَتَثْوِى المُرُوءَةُ فِي دَارِهِمْ وَتَرْضَى المُرُوءَةُ أَنْ تُذْكَرَا؟
كَذَا انْكَشَفَ الدَّهْرُ لِلنَّاسِ فِيــكَ عَنْ قَاهِرٍ عَزَّ أَنْ يُقْهَرَا
حَلِيمٍ تَرَاكًا بِإِقْبَالِهِ ضَرُوبٍ دِرَاكاً مَتَى أَدْبَرَا
لِأَمْرٍ صَفَا لَكَ حِينَ صَفَا وَكَدَّرَ وِرْدَكَ إِذْ كَدَّرَا
يَقُولُ بِأَحْدَاثِهِ الوَاعِظَا تِ لِمَنْ هَمَّ بِالزَّهْوِ: أَطْرِقْ كَرَى[2]

* * *

(١) إشارة إلى أناس طعنوا عليه بعد وفاته
(٢) مثل ضربته العرب للخفض من كبرياء المتكبر

حَبَاكَ زَمَاناً بِجَاهِ المُلُو كِ وَبَطْشِ الأَسَاطِينِ مُسْتَوْزَرَا
وَفَخْرِ الغُزَاةِ قُرُومِ السَّرا يَا وَفِكْرِ الهُدَاةِ نُجُومِ السُّرَى
وَعَزْمٍ يَكُونُ عَلَى أُمَّةٍ قَتَامًا وَفِي أُمَّةٍ نَيِّرَا
فَكُنْتَ كَمَا تَبْتَغِي عِزَّةً وَكُنْتَ كَمَا تَرْتَضِي مَظْهَرَا
وَكُنْتَ مَعاً فَارِساً شَاعِراً وَكُنْتَ مَعاً نَدُساً قَسْوَرَا
جَمِيعَ المَزَايَا فَمَا لِلبَيَا نِ وَمَا لِلغِيَاثِ وَمَا لِلقِرَى ؟!
نَظِيرُكَ مُبْتَكِراً مُبْدِعًا شِهَابًا سَنِيًّا نَدًى مُمْطِرَا
نَظَمْتَ المَعَالِيَ نَظْمَ المَعَانِي فَتَحَ الكَلَامِ كَفَتْحِ القُرَى
وَطَعْنُ السِّنَانِ كَنَفْثِ اليَرَاعِ وَكِلَاهُمَا بِالنُّهَى حُبِّرَا
وَضَمُّ الجُيُوشِ كَنَسْقِ القَرِيضِ وَتَقْسِيمِهِ أَشْطُراً أَشْطُرَا
وَسَهْلُ القِتَالِ كَطِرْسٍ بِهِ يُسَطِّرُ بَأْسُكَ مَا سَطَّرَا
بِنَقْطِ الجَمَاجِمِ إِعْجَامُهُ وَإِهْمَالُهُ جَوْبُهُ مُقْفِرَا
وَتَفْوِيفُهُ بِنِصَالِ الجِيَا دِ وَتَذْبِيجُهُ بِدَمٍ أَحْمَرَا
فَيَا غَازِياً ذَاكَ إِعْجَازُهُ وَيَا نَاظِماً ذَاكَ مَا صَوَّرَا
أَتِلْكَ مِنَ الكَلِمِ الذَّاكِيَا تِ تَسِيلُ النُّفُوسُ بِهَا أَنْهُرَا ؟
شَقَائِقُ آيَاتِكَ النَّادِيَا تِ رَحِيقاً مِنَ الأُنْسِ أَوْ كَوْثَرَا
أَمِ الصَّافِيَاتِ شَوَافِي الأُوَا مِ بِمَا تَحْتَهَا مِنْ زُلَالٍ جَرَى ؟
أَمِ الجَالِيَاتِ يُبِنَّ لَنَا مِنَ الغَيْبِ كُلَّ ضَمِيرٍ سَرَى ؟

أم للطرِبَاتِ يُشَنِّفْنَنَا بِشَدْوِ المِزَارِ وَقَدْ بَكّرَا
أم المُرْسَلَاتِ هُدًى لِلأنَا م حقَائِقُ مُودَعَةٌ جَوْهَرَا
فهَلْ كَانَ أفْرَسَ مِنكَ فَتًى ؟ وَهَلْ كَانَ مِنْكَ فَتًى أشْعَرَا ؟
كِلَا المَفْخَرَيْنِ يَرَاعًا وَسَيْفاً دعَا تَاجُهُ لَكَ مُسْتَأْثِرَا
فتَاجُ عَصَاكَ وَتَاجُ عَلَا كَ وَكَانَ الأحَقَّ بِأَنْ يُؤْثَرَا

* * *

فلَمَّا رَقِيتَ إِلَى المُنْتَهَى وَكِدْتَ تُجَاوِزُ مَا قُدِّرَا
رَمَاكَ الزَّمَانُ بِأَحْدَاثِهِ مُجَيَّشَةً فَانبَرَتْ وَانْبَرَى
أبَانَ المُحِبِّينَ وَالآلَ عَنْـــكَ وَأَقْصَى المَوَالِيَ وَالعَسْكَرَا
وَأَسْكَتَ أفْرَاسَكَ الصَّاهِلَاتِ وَأَصْمَتَ صَمْصَامَكَ الأبْتَرَا
وَأَخْرَسَ مَنْ قَالَ: لِلّهِ أَنْتَ، وَأَبْكَمَ حَوْلَكَ مَنْ كَبَّرَا
وَسَكَّنَ رَوْعَ الفَلَا مُجْفِلَاتٍ وَأَمَّنَ شَائِحَهَا أضمَرَا
وَنَفَّسَ كَرْبَ الظِّبَا لَافِتَاتٍ وَرَوَّحَ أَيِّلَهَا أَصْـــوَرَا
وَأَلْوَى عَلَيْكَ فَأَدْمَى وَأَصْلَى وَصَالَ وَطَالَ وَمَا أَقْصَرَا

* * *

رَمَى بِكَ فِي السِّجْنِ مِنْ حَالِقٍ أَلِيفَ الجُنَاةِ طَرِيحَ العَرَا
وَأَثْخَنَ جُرْحاً فَأَقْصَاكَ عَنْ ثَرَى مِصْرَ مُجْتَنَباً مُزْدَرَى
وَزَادَكَ ضَيْماً فَحَجَّبَ عَنْ عُيُونِكَ ضَوْءَ الضُّحَى مُسْفِرَا
وَجَازَ النَّكَالَ فَأَرْدَى ابْنَتَيْـــكَ كَمَا يُذْبَحُ الذَّبْحُ أَوْ أَنْكَرَا

وَلَـكِنْ أَبَى لَكَ ذَاكَ الإِبَا ... ءُ إِلَّا الثَّبَاتَ وَأَنْ تَصْبِرَا

وَهَلْ فِي الأَسَى غَيْرُ صَدْعِ الحَشَى؟ ... وَتَدْمِيَةِ الجَفْنِ مُسْتَعْبِرَا ؟

وَتَهْوِينِ نَفْسٍ لَدَى خَصْمِهَا ... بِلَا طَائِلٍ غَيْرَ أَنْ تَصْغُرَا ؟

فَلَمْ تَنْتَقِصْكَ الرَّزَايَا وَلَـكِنْ ... أَعَادَتْكَ مِحْنَتُهَا أَكْبَرَا

وَرَدَّ بَيَاضُ المَشِيبِ ثَنَا ... ءَكَ أَجْـلَى بَهَاءً وَقَدْ طَهَّرَا

فَمَا كَانَ سِجْنُكَ إِلا قَرَاراً ... وَقَدْ تَعِبَ الجِدُّ أَنْ يَسْهَرَا

وَلَا النَّفْيُ إِلَّا خَلَاءٌ أَعَدْتَ ... بِهِ زَمَنَ الأَدَبِ الأَزْهَرَا

وَلَا الثُّكْلُ إِلَّا لِتَأْسَى أَسَا ... كَ وَتَبْكِي بُـكَاءَ لُيُوثِ الشَّرَى

وَلَا الغَضُّ عَمَّا تَرَاهُ العُيُو ... نُ إِلَّا وَقَدْ سَاءَ أَنْ يُنْظَرَا

إِذَا وَسِعَ الـكَوْنَ فِـكْرُ امْرِئٍ ... فَلَا بَأْسَ بِالطَّرْفِ أَنْ يُحْسَرَا

عَلَى الشَّمْسِ أَنْ تَهْدِيَ المُبْصِرِينَ ... وَلَيْسَ عَلَى الشَّمْسِ أَنْ تُبْصِرَا

***

فَيَاجِسْمَ «مَحْمُودَ» بِتْ فِي سُكُونٍ ... وَيَا عَيْنَ «سَامٍ» اهْنَئِي بِالـكَرَى

وَيَا فِـكْرَهُ كَمْ نَشَدْتَ العُلَى ... بَلَغْتَ مَدَاهَا فَمَاذَا تَرَى ؟

أَطِلَّ عَلَى هَذِهِ الـكَائِنَا ... تِ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ بِأَسْمَى الذُّرَى

أَتَنْظُرُ غَيْرَ فَضَاءٍ رَحِيبٍ ... تُحَاكِي النُّجُومُ بِهِ المِنْبَرَا؟

وَتَسْمَعُ غَيْرَ شَبِيهِ الخَفِيفِ ... لِمَا اصْطَكَّ مِنْهَا وَمَا كُوِّرَا؟

فَقُلْ صَامِتاً وَأَشِرْ مَائِتاً ... لِمَنْ تَاهَ فِي الأَرْضِ وَاسْتَـكْبَرَا

عَلَامَ تَبَاذُخُ هَذِي الجِبَالِ ؟ ... وَفِيمَ تَشَامُخُ هَذَا الوَرَى ؟

نفحة الزهر

أنشدت في زفاف السيدة المهذبة الفاضلة اديل كريمة صاحب العزة السرى حبيب زنانيرى بك إلى حضرة الوجيه يوسف طعمه

بِاسْمِ المَلِيكَةِ فِي الأَزَاهِرْ ذَاتِ الجَلَالَةِ وَالبَهَاء
يُهْدِي إِلَيْكِ بَيَانُ شَاعِرْ أَذْكَى التَّهَانِيْ وَالدُّعَاء

***

أَنْظُرِيهَا تَجِدِيهَا زَهَرَا وَاقْرَئِيهَا تَجِدِيهَا فِكَرَا
تِلْكَ أَشْبَاهُ المُنَى فِي لُطْفِهَا لَبِسَتْ حُسْناً فَجَاءَتْ صُوَرَا
مِنْ غِذَاءِ النُّورِ مِنْ سَقْيِ النَّدَى مِنْ حُنُوِّ اللَّيْلِ مِنْ ضَمِّ الثَّرَى
مِنْ هَزِيزِ الرِّيحِ فِي تَسْيَارِهَا مِنْ مُنَاغَاةِ الدَّرَارِي فِي السُّرَى
خُرَّدُ الرَّوْضِ مِلَاحٌ زَانَهَا خَفَرُ الطُّهْرِ وَزِنٌّ انْخَفَرَا
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ يَرَى أَشْكَالَهَا وَيَرَى أَلْوَانَهَا وَالحِبَرَا
أَيَرَى فِي البَعْضِ مِنْهَا شَفَقاً ؟ أَمْ يَرَى فِي البَعْضِ مِنْهَا سَحَرَا ؟
أَمْ يَرَى الكَمِّ سُرُوراً ثَابِتاً أَمْ يَرَى النُّوَّارَ نُوراً عَطِرَا ؟
إِنَّمَا الزَّهْرَةُ خَلْقٌ عَجَبٌ فِطْرَةٌ سَمْحَاءُ تَسْمُو الفِطَرَا
خُلِقَتْ لِلخَيْرِ خَلْقاً صَافِياً جَاوَزَ الضَّيْمَ وَفَاقَ الغِيَرَا
شَأْنُهَا تَضْحِيَةُ النَّفْسِ وَلَا شَيْءَ غَيْرُ النَّفْعِ تَبْغِي وَطَرَا

شيمةٌ فادِيَةٌ شرَّفها شارِبُ المَوتِ فِداءَ الوَرَى
فلِغَيْرِ الحبِّ ذابتْ ذَهَباً حِينَ تأسى أوْ تذَكَّتْ مجمَرَا
ولِغَيْرِ الفخْرِ حلَّاها النَّدَى ولِغَيْرِ الذِّكْرِ فاحتْ عَنْبَرَا
وسَمَتْ أنْ تتباهَى وأبَتْ أنْ يُطِيلَ النَّاسُ عنْهَا السِّيَرَا
مَنْ دعَاهَا عادِلًا أوْ ظالِماً لِلمرُوءاتِ دعَا مُبْتَدِرَا
فلِمَنْ جاوَرَ أهْدَتْ نَفْحَةً ولِمَنْ طالَعَ أسْدَتْ مَنظَرَا
وأباحَتْ جِيدَهَا مَنْ يبْتَغِي سلْوَةً أوْ زِينَةً أوْ مَظْهَرَا
هِيَ أنسُ المَرْءِ فِي وَحْشَتِهِ وهِيَ الصَّفْوُ لَهُ إنْ كَدَّرَا
وهِيَ القُبْلَةُ فِي مَرْشَفِ مَنْ شاقَهُ لَثْمُ حَبِيبٍ هَجَرَا
وهِيَ النَّفْحَةُ يَسْتَشْفِي بِهَا مَنْ تَلَظَّى وَجْدُهُ مُسْتَعِرَا
وهِيَ التُّحْفَةُ فِي العُرْسِ لِمَنْ آثَرَ المَهْرَ الأحَبَّ الأطْهَرَا

***

قالَتِ الوَرْدَةُ ذاتُ النَّهْيِ وَالأمْرِ

فِي الزَّهْرِ

يا وَصِيفاتِي بناتِ النُّورِ وَالقَطْرِ

فِي الفَجْرِ

أختُنا شمسُ البنَاتِ الخُرَّدِ الزُّهْرِ

فِي العَصْرِ

مِنْ غَدٍ تَبْرَحُ خِدْرَ الكَاعِبِ البِكْرِ
فِي طُهْرِ
وَتُوافِي دَارَ بَعْلٍ صَادِقٍ حُرٍّ
فِي فَخْرِ
أَنَا أَهْوَاهَا وَتَهْوَانِيَ فِي الجَهْرِ
وَالسِّرِّ
أَسْعِفِينِي يَا أُخَيَّاتِ الهَوَى العُذْرِيِّ
فِي أَمْرِي
نَنْتَظِمْ فِي شِبْهِ تَاجٍ بَاهِرٍ يُزْرِي
بِالدُّرِّ
وَنَكُنْ أَبْهَى هَدَايَا الوُدِّ وَالذِّكْرِ
فِي المَهْرِ
لِلمُفَدَّاةِ عَرُوسِ الحُسْنِ وَالشِّعْرِ
فِي مِصْرِ

***

سُرَّتِ الأَزْهَارُ لَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ النُّطْقَ الذَّكِيَّ الاذْفَرَا[1]
وَاسْتَقَرَّتْ لَيْلَهَا هَاجِعَةً فَرَأَتْ حُلْمًا جَمِيلًا فِي الكَرَى

---

(١) الأذفرا : العطرا

أبصَرَتْ عُرْساً بَهيجاً حافِلًا جَامِعاً مِنْ كُلِّ جِيلٍ مَعْشَرَا

عقَدَ العِطْرُ سَحَاباً نَاصِعاً فَاشِياً بَيْنَهُمُ مُنْتَشِرَا[1]

تَلْمَعُ الأَنْوَارُ فِي أَثْنَائِهِ وَتُبَاهِي الوَجَنَاتُ الغُرَرَا

وَلِحَاظُ القَوْمِ فِيهِ تَلْتَقِي مُرْسِلَاتٍ أَسْهُمًا أَوْ شَرَرَا

فِتْيَةٌ مُرْدٌ وَشِيبٌ تَرَكَتْ كَرَّةُ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ أَثَرَا

وَحِسَانٌ مِثْلَ أَغْصَانًا وَلَمْ تَكَدِ الأَوْرَاقُ تُخْفِي الثَّمَرَا

فِي جَلَابِيبِ سُرُورٍ وَعَلَى كُلِّ وَجْهٍ نَجْمُ سَعْدٍ سَفَرَا

تَنْجَلِي فِيهِمْ عَرُوسٌ مَلَكٌ تَحْجُبُ العِفَّةُ عَنْهَا النَّظَرَا

بَيْنَ أَتْرَابٍ حَوَالَيْهَا كَمَا صَحِبَتْ غُرُّ النُّجُومِ القَمَرَا

تَجْمَعٌ يَحْفِلُ مُهْتَزًّا لَهَا فَرِحاً فِي عِيدِهَا مُسْتَبْشِرَا

***

ظَلَّتِ الرُّؤْيَا إِلَى أَنْ لَمَسَتْ رَاحَةُ الفَجْرِ الدُّجَى فَانْحَسَرَا[2]

وَجَلَتْ عَنْ يَوْمِ صَفْوٍ شَائِقٍ ذَلِكَ السِّتْرَ المَشُوبَ الأَغْبَرَا

فَتَغَنَّى الطَّيْرُ تَبْشِيراً بِهِ وَكَسَى الأُفْقَ الرِّدَاءَ الأَزْهَرَا

وَبَنَاتُ الرَّوْضِ وَافَيْنَ إِلَى مَخْضَرِ العُرْسِ فَزِنَّ المَحْضَرَا

جِئْنَ قُرْبَانًا وَكُلٌّ وَهَبَتْ رَبَّةَ الدَّارِ صِبَاهَا الأَنْضَرَا

---

(١) ناصعاً : أبيض زاهياً (٢) انحسر : انكشف

وَدَعَتْ كُلٌّ بِسَعْدٍ دَائِمٍ لِلعَرُوسَيْنِ دُعَاءً مُضْمَرَا

***

قَالَتِ الوَرْدَةُ يَا شَاعِرَنَا إِنَّنَا اخْتَرْنَاكَ دُونَ الشُّعَرَا
أَتْلُ عَنَّا مَا أَذَعْنَاهُ شَذاً وَابْتِسَامَا . . فَتَلَا مُؤْتَمِرَا[1]

***

بِاسمِ المَلِيكَةِ فِي الأَزَاهِرْ ذَاتِ الجَلَالَةِ وَالبَهَاءْ
يُهْدِى إِلَيْكِ بَيَانُ شَاعِرْ أَذْكَى التَّهَانِئِ وَالدُّعَاءْ

الى الاخ العزيز

أحمد شوقى بك

أَطَلْتَ نَأْيَكَ عَنِّى وَسُمْتَنِى البُعْدَ شَهْرَا
أَلشَّهْرُ بَعْضُ اللَّيَالِي وَرُبَّمَا كَانَ عُمْرَا
كَمْ فِي تَدَاوُلِ شَهْرٍ يُجَدِّدُ اللهُ أَمْرَا؟
كَمْ أُمَّةٍ تَتَسَامَى فِي حِينِ تَسْقُطُ أُخْرَى؟
كَمْ لَيْلَةٍ تَتَقَضَّى وَلَيْسَ تُعْقِبُ فَجْرَا؟

---

(١) شذاً وابتساماً : برائحة العطر والابتسام .

كَمْ حَالةٍ يتوَالَى ... مَا سَاء مِنْهَا وَسَرَّا؟
كَمْ أزْمَةٍ تتوَلَّى ... فَتَنْبعُ العُسْرَ يُسْرَا؟

• • •

أَلَسْتَ فِي الشَّهْرِ تَشْدُو ... صَوْتاً فَتَطْرِبُ دَهْرَا ؟
كَمْ فِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا ... أَكْسَبْتَ مِصْرَكَ فَخْرَا؟
كَمْ صُغْتَ آيَةَ وَحْيٍ ... يُعِيدُهَا النَّاسُ شِعْرَا ؟
وَكَمْ بَعَثْتَ حَيَاةً ... فِي قَلْبِ صَخْرٍ فَدَرَّا ؟
وَكَمْ نَسَفْتَ بِنَاءً ... لِلظَّالِمِينَ فَخَرَّا ؟
وَكَمْ بَكَيْتَ فَأَبْكَيْـتَ وَادِيَ النِّيلِ نَهْرَا؟
وَكَمْ حَنَنْتَ فَأَذْكَيْـتَ مُزْبَدَ المَاءِ جَمْرَا ؟
وَكَمْ رَفَعْتَ لِقَوْمٍ ... ذِكْراً وَقَوَّضْتَ ذِكْرَا؟
فِي نَادِيَاتٍ ذَوَاكٍ ... لَا تُعْقِبُ الشَّرْبَ سُكْرَا[1]
مِنَ القَوَافِي اللَّوَاتِي ... مُلِئْنَ أُنْساً وَسِحْرَا
تَرِقُّ فِيهَا فَتَصْفُو ... نُوراً وَتَخْلُصُ نَشْرَا[2]
فَيَا أَخَا الوُدِّ حَسْبِي ... أَسًى وَحَسْبُكَ هَجْرَا
إِنْ كُنْتَ تَخْبُرُ صَبْرِي ... لَمْ يُبْقِ لِي الشَّوْقُ صَبْرَا
أَوْ تَبْتَغِي لِيَ أَجْراً ... كَفَى بِمَا فَاتَ أَجْرَا

(١) الشرب : الشاربين (٢) نشراً : عطراً

أمس واليوم

رثـــــاء

لفقيد الفضل والعلم المرحوم نقولا توما

وَقَفَ الزَّمَانُ فَمَا لِوَعْدِكَ مَوْعِدُ   وَعَفَا المَكَانُ فَمَا لِعَهْدِكَ مَعْهَدُ

هِيَ طَلْعَةٌ لَكَ فِي الحَيَاةِ وَغَيْبَةٌ   كَالظِّلِّ إِذْ يَبْدُو وَإِذْ يَتَبَدَّدُ

بِالأَمْسِ كُنْتَ وَأَمْسِ فِي أُفُقِ التُّقَى   شُقَّ الحِجَابُ فَكَانَ مِنْكَ المَوْلِدُ

بِالأَمْسِ كُنْتَ وَأَنْتَ طِفْلٌ لَاعِبٌ   طَيْراً يُبَاكِرُ أَيْكَهُ وَيُغَرِّدُ

بِالأَمْسِ كُنْتَ اليَانِعَ الفَطِنَ الَّذِي   يَشْدُو المَعَارِفَ شَدْوَهُنَّ وَيَنْشُدُ

بِالأَمْسِ طَلَّاباً لِغَايَاتِ العُلَى   يَدْنُو لِهِمَّتِكَ المَرَامُ الأَبْعَدُ

بِالأَمْسِ مُفْتَتِحَ الصَّحَافَةِ حُرَّةً   طَابَتْ مَرَاشِفُهَا وَرَاقَ المَوْرِدُ

بِالأَمْسِ ذَوَّاداً عَنِ الضُّعَفَاءِ لَا   تَأْلُو جِهَاداً وَالحَفَائِظُ تَجْهَدُ

بِالأَمْسِ وَحْياً خَاطِباً أَوْ كَاتِباً   فَالسَّمْعُ يَطْرَبُ وَالنُّهَى تَسْتَرْشِدُ

بِالأَمْسِ مِقْدَاماً لِقَوْمِكَ حَازِماً   تَبْنِي لَهُمْ مَغْنَى عُلًى وَتُوَطِّدُ

بِالأَمْسِ بَذَّالَ العَوَارِفِ وَالنَّدَى   حَتَّى تَرَى لَكَ عِنْدَ كُلِّ يَدٍ يَدُ

بِالأَمْسِ مَوْفُورَ الهَنَاءِ مُبَارَكاً   فِي عَيْلَةٍ لِلمَجْدِ فِيهَا مَقْصِدُ

تَرْجُو تَعَدُّدَكَ الوَرَى بِعَدِيدِهَا   وَتَقَرُّ عَيْنُ الجُودِ أَنْ يَتَعَدَّدُوا

بِالأَمْسِ كُنْتَ وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ   وَاليَوْمَ .. لَا أَمْسٌ غَدَوْتَ ، وَلَا غَدُ

أَليَوْمَ مَنْ شَاءَ : الحَـكِيمُ المُقْتَدَى ... فِينَا ، وَمَنْ شَاءَ : الزَّعِيمُ السَّيِّدُ

أَليَوْمَ لَا « تُومَا » وَلَا كُتُبٌ وَلَا ... خُطَبٌ وَلَا مِدَحٌ إِلَيْهِ تُرَدَّدُ

أَليَوْمَ لَا جَدْوَى وَلَا مَجْدٌ وَلَا ... دَارٌ تُؤَمِّمُهَا العُفَاةُ فَتَسْعَدُ

أَليَوْمَ لَا رَجُلٌ يُقَالُ : هُوَ الفَتَى ، ... وَحِمًى يُشَارُ إِلَيْهِ : هَذَا المَرْفَدُ

أَليَوْمَ إِنْ جَارَ الزَّمَانُ فَجَائِرٌ ... ذَهَبَ الَّذِى بِجَنَابِهِ يُسْتَنْجَدُ

أَليَوْمَ إِنْ يَدْعُ الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ ... صُمَّ النَّدَى وَالبِرُّ أَعْشَى أَرْمَدُ

قَدْمَاتَ رَحْبُ الصَّدْرِ رَحْبُ العَقْلِ رَحْـ ... ـبُ الرَّاحَةِ ، الغَوْثُ ، المَلَاذُ ، الأَيِّدُ

مَاتَ التَّقِيُّ خَفَاؤُهُ وَظُهُورُهُ ، ... مَاتَ الوَفِيُّ مَغِيبُهُ وَالمَشْهَدُ

فِي غُرْبَةٍ كَالقَفْرِ لَمْ يُلْمِمْ بِهِ ... سَكَنٌ هُنَاكَ وَلَمْ يَعُدْهُ العُوَّدُ

« إِفْيَانُ » أَنَّى خُنْتِ ضَيْفًا لَائِذًا ... فَتَرَكْتِهِ تَحْتَ المَبَاضِعِ يُفْصَدُ ؟[1]

وَافَاكِ يَسْتَشْفِي بِمَاءٍ نَافِعٍ ... فَأَعَدْتِهِ لِحِمَاهُ مَيْتًا يُلْحَدُ

لَـكِنَّ جَارَ الغَرْبِ جَارُ غُرُوبِهِ ... نَاهِيكَ وَهْوَ مِنَ المَشَارِقِ فَرْقَدُ[2]

فَدَحَ المُصَابُ وَلَا اعْتِرَاضَ فَإِنَّهُ ... حُكْمُ القَدِيرِ ، وَهَلْ لَنَا فِيهِ يَدُ ؟

يَا رَبِّ سَلِّمْنَا وَإِنْ فُطِرَتْ أَسًى ... مِنَّا حُشَاشَاتٌ وَشُقَّتْ أَكْبُدُ

صَرِّفْ قَضَاءَكَ فِي العِبَادِ فَإِنَّهُمْ ... رَكْبُ الفَنَاءِ وَأَنْتَ أَنْتَ السَّرْمَدُ

أَلشَّمْسُ طَالِعَـةً بِفَضْلِكَ تَنْجَلِي ... وَالشَّمْسُ غَارِبَةً لِعَدْلِكَ تَسْجُدُ

---

(١) إفيان : اسم البلدة التى مات فيها مستشفياً فى فرنسا (٢) فرقد : أراد أن النجم الذى يطلع فى الشرق وينتهى الى الغرب يغرب فيه

عنــــترة

أنشدت فى حفلة تكريم أقيمت لشكرى غانم الشهير ناظم رواية «عنترة» بالفرنسية

مَاذَا تَصَبَّاكَ مِنْ حَالٍ تُجَدِّدُهَا ... عَنْ عَهْدِ «عَنْتَرَةَ العَبْسِيِّ» فِي القِدَمِ ؟

وَأَنْتَ فِي بَلَدِ الأَنْوَارِ لَا أَثَرٌ ... فِيهِ يُذَكِّرُ عَصْراً بَاتَ فِي الظُّلَمِ [1]

هَلْ مُلْتَقًى يَجْمَعُ الرُّوحَ الَّتِي رَجَعَتْ ... أَدْرَاجَهَا وَالَّتِي تُرْجَى مِنَ العَدَمِ ؟

وَمَا اخْتِيَارُكَ عَبْداً مُحْرَباً خَشِناً ... مِنَ البَدَاوَةِ فَظَّ اللَّوْنِ وَالأَدَمِ ؟

مُهَيَّماً بِفَتَاةٍ بِنْتِ سَادَتِهِ ... يَشْكُو هَوَاهُ بِمَنْظُومٍ مِنَ الكَلِمِ ؟

يَحْكِي الحُكَاةُ لَنَا عَنْهُ تَوَغُّلَهُ ... فِي الفَتْكِ بِالنَّاسِ فَتْكَ الآكِلِ النَّهِمِ

وَلِينَهُ فِي تَصَابِيهِ ، وَغِلْظَتَهُ ... فِي مَلْعَبِ المَوْتِ بَيْنَ السُّمْرِ وَالخُذُمِ

فَهْوَ المُتَيَّمُ ، يَسْتَقْضِي لُبَانَتَهُ ... وَهْوَ المُكَافِحُ حُبَّ القَتْلِ وَالنِّقَمِ

ذَاكَ الَّذِي قَالَهُ عَنْهُ الرُّوَاةُ ، فَهَلْ ... بَدَا مَزِيدٌ لِفِكْرِ البَاحِثِ الفَهِمِ ؟

* * *

حَيَّاكَ رَبُّكَ يَا مَنْ قَامَ يُنْصِفُهُ ... بِالعِلْمِ مِنْ جَهْلِ سُمَّارٍ وَمِنْ تُهَمِ

مَا كَانَ «عَنْتَرَةٌ» فِي القَوْمِ غَيْرَ فَتًى ... يَرَى لَهُمْ مَا يَرَاهُ قَادَةُ الأُمَمِ

إِنْ أَمْكَنَ الحُبَّ مِنْهُ حِينَ خَلْوَتِهِ ... فَأَسْمَعَ النَّاسَ فِيهِ أَشْوَقَ النَّغَمِ

فَإِنَّ مَا كَانَ يَبْغِيهِ لِأُمَّتِهِ ... أَسْمَى أَمَانِيِّ حُرٍّ غَيْرِ مُتَّهَمِ

---

(١) بلد الأنوار : باريس

سَقَى هَوَى «عَبْلَةٍ» مِنْ مَاءِ أَدْمُعِهِ وَكَادَ يُرْوِى الفَلَا مِنْ أَجْلِهِمْ بِدَمِ
وَالْحُبُّ أَلْزَمُ لِلأَرْوَاحِ مَا عَظُمَتْ وَقَدْ يَكُونُ لَمَا أَدْعَى إِلَى العِظَمِ
فَإِنْ ظَفِرْتَ بِعِزْهَاةٍ وَمَنْصِبُهُ فِي الْمَالِكِينَ فَتِلْكَ النَّفْسُ فِي الْخَدَمِ (١)

* * *

أَرَيْتَنَا مِنْ فَتَى عَبْسٍ حَقِيقَتَهُ حَقِيقَةَ الْمَرْءِ لَمْ يُوصَمْ وَلَمْ يَصِمِ
حَقِيقَةَ الْبَدَوِىِّ الْحُرِّ مُبْتَغِياً لِقَوْمِهِ، غَيْرَ بَاغٍ، أُلْفَةَ الرَّحِمِ
يُهْدِى «لِعَبْلَةَ» مَا يُوحِى الغَرَامُ لَهُ وَلِلْحَقِيقَةِ وَحْىَ العَزْمِ وَالشَّمَمِ
وَإِنَّمَا سُؤْلُهُ إِعْزَازُ مَوْطِنِهِ وَقَوْمِهِ بِاتِّحَادِ الرَّأْىِ وَالْهِمَمِ
فَإِنْ رَنَا وَهِلَالُ الشَّهْرِ مُبْتَسِمٌ حَيَّاهُ مِنْ أَمَلٍ فِي الأُفْقِ مُبْتَسِمِ
مُنَبِّهٍ بِسَنَاهُ عَنْ سَنَى قَمَرٍ مَاحِى الظَّلَامِ نَبِيٍّ حَاطِمِ الصَّنَمِ (٢)

* * *

فَيَا مُعِيداً إِلَيْنَا اليَوْمَ «عَنْتَرَةً» فِي يَقْظَةٍ شَابَهَا لُطْفٌ مِنَ الْحُلُمِ
بِشِبْهِ مَا جَوَّدَتْ نَظْماً قَرِيحَتُهُ فِي خَيْرِ مَا جَوَّدَتْهُ أَلْسُنُ الْعَجَمِ
أَرَيْتَ مَنْ كَانَ يَرْمِينَا بِمَنْقَصَةٍ أَنَّا بَنُو نَجْدَةِ الإِفْلَاحِ إِنْ نَرُمِ
وَأَنَّنَا القَوْمُ نَسْتَبْقِى مَفَاخِرَنَا حَتَّى تُوَاتِينَا الأَقْدَارُ مِنْ أَمَمِ
وَأَنَّ مَا بَيْنَ مَاضِينَا وَحَاضِرِنَا مِنَ العَلَاقَةِ حَبْلًا غَيْرَ مُنْفَصِمِ

---

(١) عزهاة: رجل لا يحب (٢) إشارة الى أن عنترة كان يرى تباشير النبوة واتحاد العرب على يد نبيهم الذى أخرجهم من الظلمات وحطم أصنامهم

وَأَنَّنَا أُمَّـةٌ تَهْوَى مَوَاطِنَهَا حَتَّى عَلَى الذِّكْرِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ
وَأَنَّ كُلَّ بَيَانٍ طَوْعُ خَاطِرِنَا وَنَحْنُ أَهْلُ بَيَانِ السَّيْفِ وَالقَلَمِ
وَأَنَّ كُلَّ فَتًى مِنَّا بِمُفْرَدِهِ شَمْلٌ جَمِيعٌ مِنَ الآدَابِ وَالشِّيَمِ
وَأَنَّنَا لَوْ تَآلَفْنَا لِمَا عَجَزَتْ بِنَا النُّهَى عَنْ مَقَامٍ فِي العُلَى سَنِمِ
فَيَا سُرُوراً بِذِكْرٍ أَنْتَ بَاعِثُهُ وَيَا أَسَى لِحِجًى بِالجَهْلِ مُنْقَسِمِ

فى شحاذ

شَكَتْ عَارِضاً فِي الجَفْنِ نَاءَ بِحَمْلِهِ يُشَاكِلُ تَحْتَ الهُدْبِ عَالِقَةَ الحَبِّ[1]
فَقَالَتْ : كَفَاهُ اللهُ ضَيْفاً مُشَوِّهاً يُسَمُّونَهُ الشَّحَّاذُ فِي لُغَةِ الطِّبِّ
فَقُلْتُ لَهَا : عَطْفاً عَلَيْهِ وَإِنْ جَنَى . نَعَمْ ، هُوَ شَحَّاذٌ وَلَكِنَّهُ قَلْبِي
فَقَالَتْ : وَمَاذَا يَبْتَغِي ؟ فَأَجَبْتُهَا : حِمًى يَسْتَجِيرُ الطَّرْفَ مِنْ أَلَمِ الضَّرْبِ

---

(١) يشبه حبة معلقة بالجفن

تشريف كتاب

مرآة الأيام

باسم الجناب العالى عباس حلمى الثانى

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي دَوْلَةِ العِلْمِ حَاجِبُ ... أَمِيرَ النُّهَى إِذْناً فَإِنِّي مُخَاطِبُ

خِطَابَ فَتًى يَرْعَى مَقَامَ جَلَالَةٍ ... أَعَزُّهُمَا مَا لَمْ تَنَلْكَ الْمَنَاسِبُ

أَحَلَّتْكَ مِنْهُ اللَّوْذَعِيَّةُ مَنْصِباً ... عَلَى سَنَمٍ تَنْحَطُّ عَنْهُ الْمَنَاصِبُ

إِلَيْكَ كِتَاباً فِيهِ أَحْيَيْتُ سَاهِراً ... لَيَالِيَ كَانَتْ مِنْ دُجَاهَا النَّوَائِبُ

وَقَفْتُ عَلَيْهِ سُهْدَ فِكْرِي وَدُونَهُ ... مَصَائِبُ تَثْنِينِي ، وَدَهْرٌ يُحَارِبُ

ثَبَاتِي مِنَ السُّقْمِ الْمُقِيمِ أَقَدْتُهُ ... وَصَبْرِيَ مِمَّا أَكْسَبَتْنِي الْمَتَاعِبُ

لَوِ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ وَهْوَ مُسَاهِرِي ... رَأَى مَا أُقَاسِي لَاغْتَدَى وَهْوَ شَاحِبُ

كِتَابٌ أُعَانِي جَمْعَهُ حَيْثُ خَاطِرِي ... شَتِيتٌ وَبِي شُغْلٌ مِنَ الْهَمِّ نَاصِبُ

دَعَانِي لَهُ اسْتِكْمَالُ عَهْدِكَ لِلْمُنَى ... وَنُورُكَ لِي هَادٍ وَأَمْرُكَ غَالِبُ

فَجَاءَ قَلِيلًا مِنْ قَلِيلٍ وَإِنَّمَا ... تَوَفَّرَ فِيهِ بَحْثُهُ ، وَالْمَطَالِبُ

عَتِيقٌ مَعَانِيهِ ، جَدِيدٌ سِيَاقُهُ ... يُعِيدُ شَبَابَ الدَّهْرِ ، وَالدَّهْرُ شَائِبُ

يَقُصُّ حَدِيثَ الْكَوْنِ مُنْذُ ابْتِدَائِهِ ... وَمَا أَخْلَقَتْ أَحْدَاثُهُ وَالتَّجَارِبُ

وَتَمْثُلُ أَجْيَالُ الْوَرَى فِيهِ بَادِياً ... خَفِيُّ طَوَايَاهَا لَدَى مَنْ يُرَاقِبُ

هُنَالِكَ أَقْوَامٌ تَجِيءُ وَتَنْقَضِي ... وَتَتْبَعُهَا أَطْوَارُهَا وَالْمَذَاهِبُ
مَمَالِكُ تُبْنَى بِالصَّوَارِمِ وَالقَنَا ... وَتَهْدِمُهَا أَوْزَارُهَا وَالْمَعَايِبُ
غَرَائِبُ أَدْيَانٍ وَجِنْسٍ وَمَشْرَبٍ ... وَخَلْقٍ وَأَخْلَاقٍ تَلِيهَا غَرَائِبُ
تَمُرُّ وَنُورُ النَّقْدِ يُبْدِي خَفِيَّهَا ... سِرَاعًا كَمَا مَرَّتْ بِشَمْسٍ سَحَائِبُ
وَلَمْ أَرَ شَيْئًا كَالْفَضِيلَةِ ثَابِتًا ... نَبَتْ عَنْهُ آفَاتُ الْبِلَى وَالْمَعَاطِبُ
وَمَنْ يَصْطَحِبْهَا كَاصْطِحَابِكَ رَاشِداً ... فَإِنَّ لَهُ الْمَجْدَ الْمُخَلَّدَ صَاحِبُ
سَيَذْرِي بَنُو الأَيَّامِ آخِرَ دَهْرِهِمْ ... مَنَاقِبَ « عَبَّاسٍ » وَنِعْمَ الْمَنَاقِبُ
وَتَرْوِي لَهُمْ عَنْهُ فِعَالٌ جَمِيلَةٌ ... تُضِيءُ سَمَاءَ الذِّكْرِ مِنْهَا كَوَاكِبُ
أَطَالَ لَكَ الرَّحْمَنُ عَهْداً مُبَارَكاً ، ... فَوَاتِحُهُ غُنْمٌ لَنَا وَالعَوَاقِبُ
فَحُكْمُكَ شَمْسُ الْحَقِّ فِينَا إِضَاءَةً ... وَكُلُّ مُضِيءٍ مَا سِوَى الْحَقِّ كَاذِبُ
وَفَضْلُكَ فِينَا لِلْفَضَائِلِ مَنْبِتٌ ... مَشَارِقُ مِصْرٍ رَوْضُهُ وَالْمَغَارِبُ
فَمَنْ شَاعِرٌ مِنَّا فَحَمْدُكَ نَاظِمٌ ، ... وَمَنْ نَاثِرٌ مِنَّا فَمَجْدُكَ كَاتِبُ
مَتَى تَصْدَحِ الأَطْيَارُ فَالفَجْرُ صَادِحٌ ... وَإِنْ تَسْكُبِ الأَمْطَارُ فَالبَحْرُ سَاكِبُ

عرس قانا[1]

أنشدت في الليلة الأخيرة وهي الليلة الكبرى لزفاف الصديق السرى
اسكندر خوري إلى الآنسة ماري كريمة الوجيه جورج مدور

يَا حُسْنَهَا سَاعَةً مِنَ العُمْرِ فَرِيدَةً فِي قِلَادَةِ الدَّهْرِ
لَمْ يُرْزَ يَوْمًا بِجَمَالٍ مَالِكَةٍ بِمِثْلِهَا مِنْ نَفَائِسِ الدُّرِّ[2]
سَاعَةَ سَعْدٍ يَوَدُّ شَاهِدُهَا لَوْ وَقَفَتْ زُهْرُهَا فَلَا تَسْرِي
فَاقَتْ شَبِيهَاتِهَا الحِسَانَ بِمَا خُصَّتْ بِهِ دُونَهَا مِنَ السِّرِّ
فِي يَوْمِ « قَانَا الجَلِيلِ » شَرَّفَهَا فَادِي البَرَايَا وَغَافِرُ الوِزْرِ
أَتَمَّ فِيهَا هَنَاءَ سَامِرِهَا فَأَوْدَعَ المَاءَ نَشْوَةَ الخَمْرِ
لِحِكْمَةٍ شَاءَهَا أَحَلَّ لَهُمْ شُرْبَ الطِّلَى مَنْ نَهَى عَنِ السُّكْرِ

***

وَحَبَّذَا هَذِهِ السُّلَافَةُ مِنْ عَرِيقَةِ الأَصْلِ حُرَّةِ النَّشْرِ
أُنْظُرْ إِلَيْهَا فِي كَفِّ كَاهِنِهَا كَأَنَّهَا ذَائِبٌ مِنَ التِّبْرِ
يُسْقَى العَرُوسَانِ مِنْ مُحَلَّلِهَا رَمْزَ امْتِزَاجِ العَفَافِ وَالبِرِّ
وَهَذِهِ فِي يَدَيْ مُشَعْشِعَةٍ بَعَثْتُهَا مِنْ غَيَابَةِ القَبْرِ
مِنْ عَهْدِ « قَانَا » تَسَلْسَلَتْ قِدَمًا وَرُوِّقَتْ فِي مَخَابِئِ الدَّهْرِ

(١) هو العرس الذي أشير اليه في الانجيل وحول السيد المسيح فيه الماء الى خمر
(٢) شبه ساعات تلك الليلة بالدر لنفاستها وبياضها

رُوحُ سُرُورٍ فِي شِبْهِ لُؤْلُؤَةٍ   وَدَمْعُ فَجْرٍ بِجُمْرَةِ الْجَمْرِ
أَشْرَبُهَا فِي هَنَاءٍ مَنْ شَرِبَا   كَأْسَ الْغَرَامِ الْمُنَزَّهِ الْحُرِّ
كِلَاهُمَا كَانَ كُفْءَ صَاحِبِهِ   بِنَبْعَتَيْهِ ، وَرِفْعَةِ الْقَدْرِ

* * *

يَا دَارُ تِيهاً عَلَى الدِّيَارِ بِمَا   أَحْرَزْتِهِ مِنْ مَظَاهِرِ الْفَخْرِ
كَمْ رَوْضَةٍ أَتْحَفَتْكِ تَكْرِمَةً   بِخَيْرِ مَا أَنْبَتَتْ مِنَ الزَّهْرِ
وَكَمْ كَسَاكِ الْبَهَاءَ ضَافِيَةً   مِنْ نُورِ شَمْسٍ لَهُ وَمِنْ بَدْرِ
دُومِي عَلَى الدَّهْرِ دَارَ مَكْرُمَةٍ   وَصَرْحَ مَجْدٍ وَمُلْتَقَى بِشْرِ
وَيَا عَرُوسَانِ إِنَّ أَثْبَتَ مَا   يُبْنَى بِنَاءُ الْوَفَاءِ بِالطُّهْرِ
فَشَيِّدَا بَيْتَ رِفْعَةٍ وَعُلًى   يَكُونُ بَيْتَ الْقَصِيدِ فِي الْعَصْرِ
وَاسْتَمْتِعَا بِالرِّفَاءِ وَاغْتَدِيَا   رَأْساً لِسِبْطٍ أَعِزَّةٍ كُثْرِ
يَرْتَقِبُ الْعَصْرُ أَنْ يُقَلِّدَهُمْ   حَيْثُ تُنَاطُ الْحُلَى مِنَ الصَّدْرِ

رثـــاء

للشيخ إبراهيم اليازجي

رَبٌّ البَيَانِ وَسَيِّدَ القَلَمِ وَفَّيْتَ قِسْطَكَ لِلعُلَى فَنَمِ
نَمْ عَنْ مَتَاعِبِهَا الجِسَامِ وَذَرْ آلَامَهَا غُنْماً لِمُغْتَنِمِ [1]
مَا أَصْغَرَ الدُّنْيَا وَأَحْقَرَهَا فِي جَنْبِ مَا لِلمَيْتِ مِنْ عِظَمِ
يُغْضِي وَقَدْ آذَتْهُ دَائِبَةً عَنْ ذَنْبِهَا إِغْضَاءَةَ الكَرَمِ
مَا أَعْجَزَ الَّلسِنَ الفَصِيحَ لَدَى عِيِّ الفَقِيدِ الخَالِدِ البَكِمِ
مَا أَسْخَفَ العَبَرَاتِ سَاكِبَةً وَالنَّعْشُ يَحْجُبُ وَجْهَ مُبْتَسِمِ

***

يَا مَنْ بَكَتْ لِفِرَاقِهِ أُمَمٌ كَانَتْ بِهِ مَحْسُودَةَ الأُمَمِ
أَلآنَ جُزْتَ الوَهْمَ مُرْتَقِياً وَإِلَى الصَّوَابِ خَلَصْتَ مِنْ حُلُمِ
أَكْمِلْ بَلَاغَكَ يَا حَكِيمُ وَقُلْ أَحَيَاتُنَا خَيْرٌ مِنَ العَدَمِ ؟
أَمْ تِلْكَ أُمٌّ غَيْرُ عَاقِلَةٍ أُمٌّ بِلَا قَلْبٍ وَلَا رَحِمِ
أُمٌّ تُغَذِّي مِنْ وَلَائِدِهَا رُبَّمَا تُمَشِّيهَا عَلَى رِمَمِ

***

مَا الخَلْقُ ؟ هَلْ أَدْرَكْتَ غَامِضَهُ ؟ وَأَزَحْتَ عَنْهُ غَيَاهِبَ الظُّلَمِ ؟

---

(١) در : دع

أجْهَدْتَ فِكْرَكَ فِي تَعَقُّلِهِ وَصَدَرْتَ عَنْهُ وَارِداً كَظَمِي
سَاءلْتَ عَنْهُ النَّجْمَ مُرْتَقِباً وَبَحَثْتَ بَيْنَ الحَرْفِ وَالرَّقَمِ
وَهَوَى بِكَ الوَادِي مَهَاوِيَهُ وَرَنَوْتَ مُنْطَاداً مِنَ القِمَمِ
تَبْغِي الحَقِيقَةَ سَاعِياً كَلِفاً مِنْ كُلِّ مُطَّلِبٍ بِلَا سَأَمِ
أَمَّا النِّظَامُ فَكُلُّهُ عَجَبٌ فِي الكَوْنِ لِلْمُتَبَصِّرِ الفَهِمِ
أَلتُّرْبُ لِلأَجْسَامِ مُصْطَنَعٌ وَنَوَامِسُ الأَرْوَاحِ لِلنَّسَمِ
وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ دَقَائِقِهَا مَعْنًى كَمَعْنَى الكُلِّ لَمْ يُرَمِ

* * *

لَمْ تَدْرِ سِرًّا لِلْحَيَاةِ وَلَا لِخُصُومَتَيْهَا : البُرْءِ وَالسَّقَمِ
وَنِزَاعِهَا المُحْيِي المُمِيتِ مَعاً بَيْنَ الصَّفَاءِ النَّزْرِ وَالأَلَمِ
سِرٌّ لَوَ انَّ المَرْءَ يُدْرِكُهُ عَقْلًا لَشِمْتَ سَنَاهُ مِنْ أَمَمِ
لَكِنْ رَأَيْتَ البِرَّ أَجْمَلَ مَا تُحْدَى إِلَيْهِ سَوَابِقُ الهِمَمِ
وَالبِرُّ أَشْرَفُهُ وَأَنْفَعُهُ لِلنَّاسِ فِي الإِرْشَادِ وَالحِكَمِ
فَأَزَلْتَ كُرْبَةَ كُلِّ ذِي شَجَنٍ بِالرَّائِقِ الشَّافِي مِنَ الكَلِمِ
وَأَسَوْتَ مَكْلُومَ النُّفُوسِ إِسَا مَنْ يَقْرِنُ التَّضْمِيدَ بِالنَّغَمِ [1]
بِرَوَائِعٍ كَالكَوْنِ بَاهِرَةٍ مَا بَيْنَ مُنْتَثِرٍ وَمُنْتَظِمِ
جَمَّلْتَهَا بِجَمَالِهِ فَضَتْ وَلَهَا جَلَالُ الكَوْنِ مِنْ قِدَمِ

* * *

(١) هو مذهب جديد تخفف به آلام من يعمل له عمل جراحي

يَا فَخْرَ دَارِ الأَنْبِيَاءِ ، أَلَمْ   يَضِقِ الضَّرِيحُ بِمُحْتَوَى عَلَمِ ؟
شَرَّفْتَهَا وَالآنَ صِرْتَ إِلَى   مَهْوَى الجِبَالِ وَمَهْبِطِ الشَّمَمِ
لَكِنَّ ذِكْرَكَ خَالِدٌ أَبَداً   فِي النَّاسِ مَحْمُودٌ بِكُلِّ فَمِ
بِبَقَائِهِ وَرَدَاكَ مَوْعِظَةٌ   لِلسَّائِرِ المُفْضِي إِلَى الرُّجُمِ :[1]
« إِخْلَعْ عَنِ اسْمِكَ فَانِياً خَلَقاً   وَالبَسْ جَمِيلَ الذِّكْرِ تَسْتَدِمِ »

حمام عذراء

في السماء

أَهْوَى وَمَا الغَانِيَاتُ مِنْ وَطَرِي   السَّالِبَاتُ العُقُولِ وَالفِكَرِ
أَلصَّائِدَاتُ القُلُوبِ فِي شَرَكٍ   يَنْسُجْنَهُ مِنْ خَدَائِعِ الحَوَرِ
أَلْمُشْقِيَاتُ الوَرَى لِأَيْسَرِ مَا   يُسْدِينَ مِنْ نِعْمَةٍ إِلَى النَّظَرِ
أَلحَاكِمَاتُ المُحَكَّمَاتُ فَمَا   يَبْرَحْنَ أَقْوَى وَسَائِلِ القَدَرِ
فَإِنَّ لِي دُونَهُنَّ فَاتِنَةً   فِي الزُّهْرِ مَحْسُودَةً وَفِي الزَّهَرِ
ضَحُوكَةَ الوَجْهِ لَا يُغَيِّرُهَا   فِي كُلِّ حَالٍ شَيْءٌ مِنَ الغِيَرِ
صَادِقَةَ العَهْدِ فِي مَوَاعِدِهَا   تَبْدُو وَفِيهَا تَغِيبُ عَنْ بَصَرِي

(١) رداك : وفاتك

شَبابُهَا دائمٌ ورَونقُهَا   أكثرُ مَا يَزْدَهِي عَلَى السَّهَرِ

إذَا التقَيْنَا فلَا يُنغِّصُنَا   رَبُّ رَقيبٍ يدْعُو إلَى حَذَرِ

وَإنْ توَارتْ رقَدْتُ مُغتبطاً   بمُلتَقَى للغدَاةِ مُنتَظَرِ

كأنَّهَا دُرَّةٌ مُعلَّقةٌ   وَأينَ منْهَا فَريدةُ الدُّرَرِ ؟

نُطفَةُ قَطْرٍ عَلَى شفَا أُفُقٍ   مُفضَّضِ الجانبَيْنِ مُنْحَدِرِ

دَمْعَةُ سَعْدٍ أقرَّهَا مَلَكٌ   فِي فُلُكٍ لَمْ تَسِلْ ولَمْ تَثُرِ

أَوْدعَ فِيهَا ابْتِسامَهُ فذَكَتْ   مِنْ عُصُرٍ ينقَضِي إلَى عُصُرِ

نُقْطَةُ حَرْفٍ مِنِ اسْمِ خالقِهَا   أَبْيَنُ مِنْ نَقْطِ سائرِ الزُّهُرِ

وَعَتْ بَديعَ البَديعِ فهْيَ تَلِي   فِي سُورةِ الكَوْنِ آيةَ القمَرِ

غانيةٌ فِي جمالِ صُورتِهَا   مَا تَشْتَهِيهِ المُنَى مِنَ الصُّوَرِ

لَا تَعْرفُ الإثمَ فهْيَ عَاريةٌ   تُبْدِي حِلَاهَا بغَيْرِ مُسْتَترِ

وَإنَّمَا الإثمُ حَيْثُمَا خَبُثَتْ   ضَمائرٌ فهْوَ صَنْعَةُ البَشَرِ

حَوَّاءُ كانَتْ كذَاكَ ثُمَّ غدَتْ   تَحْجُبُ مِنْ وِزْرِهَا بمُؤْتَزَرِ (١)

لِلهِ صُبْحٌ رأيْتُهَا ابْتَرَدَتْ   بمِثْلِ مَاءِ اللُّجَيْنِ مُنْهَمِرِ (٢)

يَجْرِي عَلَيْهَا الضِّيَاءُ غيَّرَهُ   مِنْ عَنْبَرِ اللَّيْلِ عَالِقُ الأثَرِ

فَكُلَّمَا سَالَ عَنْ جَوَانِبِهَا   صَفَا بِهَا مِنْ شَوائِبِ الكَدَرِ

وَكُلَّمَا زَادَ نُورُهُ لَطُفَتْ   فِيهِ وَرَقَّتْ عَنْ ذَائبٍ عَطِرِ

حَتَّى توَارَتْ فلَا عَفَافَ وَلَا   حُسْنَ كَغُسْلِ الزَّهْرَاءِ فِي السَّحَرِ

---

(١) وزرها : إزارها   (٢) ابتردت : استحمت . اللجين : الفضة

شعر منثور

كلمات أسف

أنشدت فى حفلة تأبين المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجى

أَطْلِقْ عَبَرَاتِكَ مِنْ حُكْمِ الوَزْنِ وَقَيْدِ القَافِيَةْ
وَصَعِّدْ زَفَرَاتِكَ غَيْرَ مُقَطَّعَةٍ عَرُوضاً وَلَا مَحْبُوسَةً فِي نِظَامْ
قُلْ وَقَدْ نَظَرْتَ إِلى المَوْتِ وَهُوَ قَاتِلٌ عَامِدْ
مَا تُوحِيهِ إِلَيْكَ النَّفْسُ لَدَى رُؤْيَةِ إِثْمِهِ الرَّائِعْ
لَاعَتْبَ عَلَى الحِمَامْ . هُوَ الظُّلْمَةُ وَالحَيَاةُ النُّورْ
هُوَ الأَصْلُ الأَزَلِيُّ الأَبَدِيُّ . وَالنُّورُ حَادِثٌ زَائِلْ
فَإِذَا أَزْهَرَ شَارِقٌ فِي دُجُنَّةٍ فَهُوَ يُكَافِحُهَا وَيُنَافِيهَا
إِلى أَنْ يَنْقَضِيَ سَبَبُهُ فَيَتَضَاءَلَ ثُمَّ يَتَلَاشَى فِيهَا

* * *

أَمَائِتُ وَرَاءَ المَيتْ . أَتَبْكِي مَيْتاً وَأَنْتَ مَائِتْ ؟
هَلِ القَطَرَاتُ الهَابِطَةُ فِي العُمْقِ دَمْعَةٌ تَجْرِي إِثْرَ دَمْعَه ؟
لَئِنْ مَاتَ اليَازِجِيُّ ، فَقَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ النَّبِيُّونْ
وَمَاتَتْ أُمَمٌ أَهَانَ الرَّدَى أَعِزَّاءَهَا وَصَغَّرَ كُبَرَاءَهَا

فَلِمَ تَبْكُونَ رَاحِلًا أَيُّهَا الرَّاحِلُونَ ؟ أَأَنْتُمْ بَعْدَهُ فِي خُلُودْ ؟

أَمْ هِيَ دُمُوعٌ يَقْرِضُهَا السَّلَفْ ، لِيَفِيَهُمْ إِيَّاهَا الخَلَفْ ؟

لَا . . وَإِنَّمَا نَبْكِي مِنَّا بَعْضَنَا الَّذِي ذَهَبَ مَعَ الذَّاهِبْ

نَبْكِي مَغَانِمَنَا مِنْ أُنْسِهِ وَعِلْمِهِ وَأَخْلَاقِهْ

نَبْكِي مَفْقُودَنَا مِنْ مَعَاهِدِهِ فِي المَكَانِ وَالزَّمَانْ

نَبْكِي مَا أَلِفْنَاهُ مِنْ مَشْهُودِهِ وَمَسْمُوعِهْ

* * *

فَيَا مَنْ يُكْبِرُ جَزَعَنَا عَلَى إِبْرَاهِيمْ ! إِنَّ المَيْتَ يُبْكَى بِمِقْدَارِهْ

وَإِنَّ النَّفْسَ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الكَلَفِ بِمَصَالِحِهَا

لَا تَأْسَفُ عَلَى الشَّمْسِ لِلتَّوَارِيَةِ بِالحِجَابْ

أَسَفَهَا عَلَى أَيِّ نَجْمٍ يَتَوَارَى ، وَلَوْ كَانَ فِي فَلَكِهِ شَمْسًا

* * *

أَكَانَ اليَازِجِيُّ مِنْ أَرْوَاحِنَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ مِنَ العُيُونْ ؟

فَيَكُونُ حِدَادُنَا عَلَيْهِ حِدَادَ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارْ ؟

نَعَمْ ! كَانَ بِعِلْمِهِ كَالشَّمْسِ إِنَارَةً وَإِشْرَاقًا

وَلَكِنَّهُ كَانَ كَالرَّوْضَةِ بِأَفَانِينِ آدَابِهِ وَمَعَارِفِهْ

سِوَى أَنَّهُ كَانَ كَالزَّهْرَةِ بِوَدَاعَتِهِ ، وَعَرْفِهِ ، وَنَفْعٍ مَا يَعْصِرُ قَلَمُهْ

وَلَمْ تَكُنْ أَشِعَّتُهُ جَارِحَةً لِلعُيُونِ بِقِحَتِهَا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَلْسَمًا لِلعُيُونْ

وَلَمْ تَكُنْ ثِمَارُهُ وَأَشْجَارُهُ تَنْسِيقَ تِجَارَةٍ وَلَا زِينَةَ مُفَاخَرَهْ
وَلَمْ يَكُنْ عَرْفُهُ دَعْوَةً لِلْإِعْجَابِ بِهِ ، بَلْ نَسْمَةَ رُوحٍ مُتَدَارِكَهْ

* * *

شَبَحُ نَحِيلٌ ضَمَّ قَلْباً رَقِيقاً وَعَقْلاً كَبِيرَا
فَقَدْنَاهُ ، فَفَقَدْنَا لُغَةً فِي يَرَاعْ
فَقَدْنَا زَهْرَةً ذَابِلَةً تُنْذِرُ بِذُبُولِ الحَدِيقَهْ
فَقَدْنَا حَدِيقَةً مُتَجَرِّدَةً تُنْبِئُ بِزَوَالِ الرَّبِيعْ
فَقَدْنَا رَبِيعاً انْقَضَى بِهِ عَصْرٌ فِي عُمْرِ رَجُلْ
فَقَدْنَا شَمْساً أَطْلَعَتْ ذَلِكَ الرَّبِيعَ وَزَانَتْهُ بِأَنْوَارِهَا وَأَنْدَائِهَا
ثُمَّ غَرَبَتْ عَنْهُ بِلَا تَدَرُّجٍ فِي الِانْتِقَالِ وَمَالَتْ إِلَى الشِّتَاءْ

إلى العالم القانونى الأديب

اسكندر عمون بك

وقد ترك منصبه فى القضاء وانصرف إلى المحاماة

أَخَا الحَزْمِ نَبِّئْنِي أَفَارَقْتَ عَنْ حَزْمِ مَكَانَتَكَ الشَّمَّاءَ مِنْ مَنْصِبِ الحُكْمِ ؟

وَقَدْ كُنْتَ ذَاكَ العَادِلَ الفَاضِلَ الَّذِي عَفَا أَوْ جَفَا لَمْ يَقْضِ إِلَّا عَلَى الظُّلْمِ

أَجَدُّكَ بَعْدَ الفَصْلِ فِي النَّاسِ تَبْتَغِي مَقَامًا ؟ وَمَاذَا بَعْدَ مَنْزِلَةِ النَّجْمِ ؟

* * *

أَلَا إِنَّمَا العَلْيَاءُ فِي النَّفْسِ كُنْهُهَا وَمَا هِيَ فِي دَسْتٍ وَلَا فِي اشْتِهَارِ اسْمِ

فَإِنْ طَهُرَتْ نَفْسٌ فَمَا الفَخْرُ ظَاهِراً بِفَخْرٍ وَلَيْسَ الجَاهُ خَيْراً مِنَ العُدْمِ

وَنَيْلُ الأَمَانِي كُلِّهَا دُونَ هَفْوَةٍ يَسُوءُ بِهَا قَاضٍ مَسُوءاً بِلَا جُرْمِ

عَلَى أَنَّمَا الأَحْدَاثُ تَعْرِضُ لِلنُّهَى فَتُخْفِي ضِيَاءَ الحَقِّ عَنْ ثَاقِبِ الحِلْمِ

إِذَا المَرْءُ لَمْ يُمْنَحْ شَهَادَةَ مَا اخْتَفَى وَأَمْنًا مِنَ البَلْوَى وَتَمًّا مِنَ العِلْمِ

فَقَدْ يُخْطِيءُ الحَقَّ الصَّرِيحَ إِذَا قَضَى وَيَأْخُذُ بِالإِثْمِ البَرِيءَ مِنَ الإِثْمِ

* * *

بَرِحْتَ سَمَاءً لِلقَضَاءِ إِذَا صَفَتْ فَأَحْيَتْ فَقَدْ تَرْمِي بِمُرْدِيَةِ الرُّجْمِ

وَآثَرْتَ مَيْدَانَ « لِلمُحَامَاةِ » دُونَهَا مَجَالًا رَحِيباً لِلمُرُوءَةِ وَالعَزْمِ

فَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ صَانِعُ رَحْمَةٍ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ غَانِمٌ أَجْرَ ذِي غُرْمِ

وَمِنْهُمْ فِي غَفْلَةِ الْعَذْلِ وَاقِفٌ ... مِنَ الْمَوْتِ بَيْنَ الأَمْرِ وَالْخُشُبِ الْبُكْمِ
نَهَضْتَ لِدَفْعِ الْوَيْلِ عَنْهُ بِهِمَّةٍ ... هِيَ الْوَثْبُ فِي الأَرْيَاحِ وَالْوِقْرُ فِي الشُّمِّ
وَنَاضَلْتَ عَنْهُ مُسْتَجِيرًا مُلَايِنًا ... شَفِيعًا ضَلِيعًا نَافِيَ الرَّيْبِ بِالْجَزْمِ
بِزَأْرَةِ رِئْبَالٍ وَتَطْرِيبِ سَاجِعٍ ... وَعَطْفَةِ مُهْتَزٍّ وَلَهْفَةِ مُهْتَمِّ
وَرِقَّةِ مُخْتَالٍ وَشِـدَّةِ مُقْحِمٍ ... يُنَسِّمُ عَنْ رَوْضٍ وَيُغْدِقُ عَنْ يَمِّ
وَتَقْلِيبِ شِبْهِ الْبَرْقِ وَرْيًا وَرَوْنَقًا ... مِنَ الرَّأْيِ فِي أَدْجَى مِنَ السُّحُبِ الدُّهْمِ
فَلَمْ يَلْبَثِ الْمَنْـكُودُ حَتَّى تَحَوَّلَتْ ... بِهِ حَالَةٌ مِنْ حَرْبِ دَهْرٍ إِلَى سِلْمِ

***

لَوِ النَّاسُ أَرْقَى فِطْنَةً وَسَلِيقَةً ... لَمَا كَانَ مِنْ قَاضٍ وَلَا كَانَ مِنْ خَصْمِ
فَأَمَّا وَهُمْ مَا قَدْ عَهِدْتُ وَلَمْ تَزَلْ ... بِهِمْ حَاجَةُ الأَفْرَاسِ لِلسَّرْجِ وَاللُّجْمِ
فَإِنَّ وَلِيَّ الذَّوْدِ عَنْهُمْ لِجَهْلِهِمْ ... أَحَبُّ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ مُوقِعِ الْحُكْمِ

دمعنا وداع

يَا مَنْ نَأَتْ وَالرُّوحُ فِي إِثْرِهَا ... هَائِمَةٌ مِنْ نَزَوَاتِ الأَلَمْ
لَا تَمْنَعِي الأَرْوَاحَ مِنْ قُبْـلَةٍ ... لَعَلَّ رُوحِيَ بَعْضُ تِلْكَ النَّسَمْ

التمثيل

إلى أستاذ الصناعة ومنعشها من العثار

الشيخ سلامه حجازى

يَا مُرْجِعَ الْمَاضِينَ مِنْ أَرْمَاسِهِمْ ... فِي الْعَصْرِ مَا يَكْفِيهِ لِلإِمْتَاعِ

أَتُعِيدُهُمْ لِيُفِيدَ أَرْبَابُ الْحِجَى ... بِطَرَائِفٍ مِنْ رُؤْيَةٍ وَسَمَاعِ ؟

وَإِذَا أَجَدْتَ فَهَلْ مَرَامُكَ فَوْقَ أَنْ ... يَصِفُوكَ بِالإِتْقَانِ وَالإِبْدَاعِ ؟

* * *

لِمَ عَوْدُ « أُوتِلُّو » وَعُقْبَى حَالِهِ ... مَوْتُ الْغَشُومِ وَصَرْعَةُ الْخَدَّاعِ ؟

أَوْ عَوْدُ «هَمْلِتَ» وَالْقَضَاءُ رَمَى بِهِ ... فَأَصَابَ مُهْجَةَ عَمِّهِ الطَّمَّاعِ ؟

أَوْ «رُومِيُو» وَهْوَ الدَّمُ الْمَهْدُورُ فِي ... ثَأْرٍ تَخَلَّفَ عَنْ قَدِيمِ نِزَاعِ ؟

أَوْ « وِلْيَمُ » الْوَافِي بِنَذْرِ اللهِ فِي ... مُتَطَاحِنِ الأَدْيَانِ وَالأَشْيَاعِ ؟

أَوْ ذَلِكَ الْفَادِي أَبَاهُ بِحُبِّهِ ... «لُدْرِيقُ» خَيْرُ ابْنٍ وَخَيْرُ شُجَاعِ ؟

* * *

أَضْحِكْ جُمُوعَكَ تَارَةً أَوْ أَبْكِهِمْ ... أَوْ أَرْضِهِمْ بِمَحَاسِنِ الإِيقَاعِ

وَأَعِدْ إِلَيْهِمْ مَا مَضَى بِرِجَالِهِ ... وَأُصُولِهِ وَحِلاَهُ وَالأَوْضَاعِ

وَاهْوَ الْفَضِيلَةَ عَنْ هَوًى أَوْ أَغْرِهِمْ ... بِمَرَامِهَا وَتَغَالَ فِي الإِقْنَاعِ

إِنِّي أَرَى التَّمْثِيلَ بَعْثًا وَاعِظًا ... فِي فِتْنَةِ الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ

تهنئة بمولود

في ليلة أنس وصفاء بمنزل سعادة السرى الأمثل عطا حسنى بك . قيلت لساعتها إجابة لاقتراح بعض الأصدقاء

فِيكَ انْجَلَى يَا لَيْلُ طِفْلٌ صَغِيرْ
فَوْقَ السَّرِيرْ
طِفْلٌ كَجَدَّيْهِ سَرِيٌّ أَمِيرْ

لَمَّا بَدَا نَادَى بَشِيرُ الصَّفَاءْ
بُشْرَى العَلَاءْ
بُشْرَى الْهُدَى بُشْرَى النَّدَى وَالوَفَاءْ

مُحَمَّدٌ لَا بِدْعَ أَنْ يُؤْمَلَا
إِذْ أَقْبَلَا
لِلخَيْرِ وَالإِحْسَانِ بَيْنَ المَلَا

هَذَا كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ أَتَى
نِعْمَ الفَتَى
قَدْ طَابَ غَرْسًا وَزَكَا مَنْبِتَا

إِنِّي أَرَاهُ وَكَأَنَّ الْمُــنَى
أَسْــعَفَتْنَا
فِيهِ فَحَقَّقْنَ بِهِ فَأْلَنَا

أَرَاهُ مِقْدَامًا لِجُنْدِ الْوَطَنْ
ضَنَّ الزَّمَنْ
بِمِثْــلِهِ بَيْنَ رِجَالِ الْفِطَنْ

أَرَاهُ يُوحِي وَحْيَــهُ شَاعِرَا
أَوْ نَاثِرَا
كَالنَّجْمِ مِنْ عَلْيَائِهِ سَافِرَا

أَرَاهُ فِي الْفَضْلِ رَفِيعَ الْعَلَمْ
ثَبْتَ الْقَدَمْ
يَحْكِي أَبَاهُ بِمَضَاءِ الْهِمَمْ

فَلْيَحْفَظِ اللهُ الْعَــلِيُّ الْقَدِيرْ
هَــذَا الصَّغِيرْ
فَهْوَ رَجَاءُ الْمَعَالِي كَبِيرْ

الجوهر المكذوب

جرى سمر تصدى فيه أحد الشعراء لإنشاد شيء من الشعر وكانت فى المجتمع سيدة ذات قرطين جميلين . فقال الناظم يصفها ويمدح الأستاذ المنشد :

أُذْنَانِ أَمْ أُفُقَانِ يَبْدُو فِيهِمَا ... نَجْمٌ لِمُشْبِهِهِ الأَغَرِّ مُحَاذِى

لِلَّهِ جَوْهَرَتَاكِ مَا أَبْهَاهُمَا ! ... أَتُرَاهُمَا مِنْ مَنْطِقِ الأُسْتَاذِ ؟

فراب السيدة قصد الناظم من مدحه للأستاذ ومدحه لجوهرتيها بسببه ، وأرادت أن تحول عنها الأنظار بنكتة لطيفة تأخذ بها ثأرها . فقالت إن كانت هذه قيمة ما يقول الأستاذ وهذه فراستك ، فإن الجوهرتين مكذوبتان . فضحك الحاضرون وقال الناظم:

أَبَتِ النَّزَاهَةُ لِلمَلِيحَةِ أَنَّهَا ... تَرْضَى بِنَائِلِ المَدْحِ وَهْوَ مُرِيبُ

فَرَمَتْ بِمَا غَمَزَ الأَدِيبَ وَنَالَنِي ... مِنْهُ وَنَالَ الدُّرَّتَيْنِ نَصِيبُ

قَالَتْ أَتَكْذِبُكَ الفِرَاسَةُ ؟ لَيْسَ فِي ... أُذُنَيَّ إِلَّا جَوْهَرٌ مَكْذُوبُ

حكاية نشر هذا الديوان

الى صديق الحبيب ومرشدى الحكيم

رزق الله خوري

من أعيان القاهرة

نَظَمْتُ هَذِهِ الفِكَرْ ذَاتَ شُؤُونٍ وَعِبَرْ
وَلَا أَقُولُ إِنَّنِي قَدْ صُغْتُهَا صَوْغَ الدُّرَرْ
أَرْسَلْتُهَا كَمَا أَتَتْ بَيْنَ غِيَابٍ وَحَضَرْ
أَوَابِداً لَمْ يَكُ لِي مِنْهَا بِتَأْبِيدٍ وَطَرْ
وَلَمْ أَخَلْنِي إِنْ أَمُتْ يَسْتَحْيِنِي هَذَا الأَثَرْ
كَظَنِّ كُلِّ مَنْ بَدَا لَهُ خَيَالٌ فَشَعَرْ
وَظَنِّ كُلِّ مَنْ رَأَى مَوْضِعَ نَثْرٍ فَنَثَرْ
يَحْسَبُ تِيهاً أَنَّهُ غَزَا الخُلُودَ فَانْتَصَرْ

***

وَهْمٌ قَدِيمٌ ، سِيرَتِي فِيهِ عَلَى غَيْرِ السِّيَرْ
مَا أَكْلَفَ الإِنْسَانَ بِالْبَقَاءِ حَتَّى فِي خَبَرْ
وَمَا أَشَدَّ وُدَّهُ لَوْ يُسْتَدَامُ فِي حَجَرْ
كَمْ خَاطِرٍ دَوَّنَهُ كَاتِبُهُ حِينَ خَطَرْ

وَقَالَ : هَذَا مُكْسِبِي لَا شَكَّ إِعْجَابَ الْبَشَرْ
إِذْ يَعْلَمُونَ أَنَّنِي صَاحِبُ هَذَا الْمُبْتَكَرْ
حَتَّى الْبُكَاءِ وَالسُّرُو رُ حِينَ يَبْكِي أَوْ يَسُرْ
يَخُطُّهُ كَأَنَّهُ جَوْعَانُ يَسْتَجْدِي النَّظَرْ

***

لَـكِنَّنِي وَأَنْتَ تَدْ رِي أَيُّهَا الْأَخُ الْأَبَرْ
لَمْ أَعْنَ مَرَّةً هَذِي الْأَمَانِيَّ الْكُبَرْ
وَلَمْ أُبَالِ مُضْحِكًا لِيَ انْطَوَى أَوِ انْتَشَرْ
وَلَمْ أُبَالِ اسْمِيَ إِنْ لَمْ يُشْتَهَرْ أَوِ اشْتُهِرْ
أَلَا وَقَدْ عَلَّمَتْنِي بِمَشْهَدٍ وَمُخْتَبَرْ
كَيْفَ يَكُونُ أَحْكَمَ الـ ـسُّفَّارِ ، وَالْعُمْرُ سَفَرْ
« يَأْخُذُ فِي مَسِيرِهِ مَا يُجْتَنَى مِنَ الثَّمَرْ
وَيَجْتَلِي حُسْنَ السُّهَى إِنْ فَاتَهُ حُسْنُ الْقَمَرْ
وَيَصْطَفِي رِفَاقَهُ لِلِائْتِنَاسِ وَالسَّمَرْ
مُجَامِلًا أَمْثَالَهُ عَلَى الرَّخَاءِ وَالْغِيَرْ
مُجْتَنِبًا زَلَّاتِهِمْ مُغْتَفِرًا مَا يُغْتَفَرْ
مُنْتَبِذَ السُّبْلِ الَّتِي تَعْلَقُ بِالثَّوْبِ الْوَضَرْ
مُسْتَنْصِفًا وَمُنْصِفًا فِي الْوُدِّ أَوْ فِي الْمُتَّجَرْ

مُسْتَمْسِكاً بِالحَقِّ لَا يَغُرُّهُ وَهْمٌ أَغَرْ
يَجْرِي عَلَى حُكْمِ النُّهَى وَلَا يُغَالِبُ القَدَرْ
فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا لَهُ حِكْمَةُ وِرْدٍ وَصَدَرْ
إِنْ يُؤْتَ فَضْلًا بَثَّهُ فِي النَّاسِ فِعْلَ مَنْ شَكَرْ
يُشْرِكُهُمْ فِيهِ وَلَوْ إِشْرَاكَ سَمْعٍ وَبَصَرْ
وَلَمْ يَصُنْهُ عَنْهُمُ صَوْنَ بَخِيلٍ مَا ادَّخَرْ
وَلَمْ يُبَدِّدْهُ سُدًى بِمَا تَبَاهَى وَافْتَخَرْ »

***

ذَلِكَ مَا أَفَدْتَنِي وَهْوَ عُيُونٌ وَغُرَرْ
فَلْسَفَةٌ خِلْقِيَّةٌ أَلِفْتَهَا مِنَ الصِّغَرْ
عَنْ فِطْرَةٍ سَاَمى بِهَا نَقَاؤُهَا أَسْمَى الفِطَرْ
أَخَذْتُ عَنْكَ آيَهَا وَلَمْ تُفَصَّلْ فِي سُوَرْ
حَضَرْتُهَا كَقَارِىءٍ مَغْزَى النُّهَى فِي مُخْتَصَرْ
أَرَتْنِيَ الدُّنْيَا وَبِي عَنْهَا جَلَالٌ وَكِبَرْ
وَأَزْهَدَتْنِي فِي المَدِيحِ وَالأَبَاطِيلِ الأُخَرْ
يَوْمَ أَبِيتُ هَامِداً مَثْوَايَ فِي إِحْدَى الحُفَرْ
لَكِنَّ مِنْهَا دَاعِياً أَجَبْتُهُ وَقَدْ أَمَرْ
قَالَ : « دَعِ الآتِيَ لِلْغَيْبِ وَخُذْ بِمَا حَضَرْ

صِفْ لِلرِّفَاقِ مَا تَرَى مِنْ زُهْرٍ وَمِنْ زَهَرْ
أَنْشِدْهُمُ مَا يَجْلِبُ الـــصَّفَاءَ أَوْ يَنْفِي الـكَدَرْ
حَذِّرْهُمُ مَا فِي الطَّرِيـــقِ مِنْ بَلَاءٍ وَخَطَرْ
سَكِّنْ حَشَى مَرُوعِهِمْ وَلَا تُؤَازِرْ مَنْ وَزَرْ
أَرْشِـدْ بِرِفْقٍ تَارَةً وَتَارَةً بِمُزْدَجَرْ »

***

يَا مَنْ دَعَانِي ! أَنَا مَنْ إِنْ يُدْعَ لِلخَيْرِ ابْتَدَرْ
أَلنَّاسُ بِالنَّاسِ وَكُـــلٌّ وَاهِبٌ عَلَى قَـدَرْ
وَشَرُّهُمْ مَنِ اسْتَطَا عَ أَنْ يُفِيدَ فَاعْتَذَرْ
لَوْ لَمْ تَـكُنْ مُجَرِّئِي هَذَا الـكِتَابُ مَا ظَهَرْ
وَلَيْسَ إِلَّا قِصَصًا إِلَى شُجُونٍ وَذِكَرْ
وَنَفَحَـــاتٍ بَاقِيَا تٍ مِنْ شَبَابٍ قَدْ عَبَرْ
وَسَانِحَاتٍ سَنَحَتْ بَيْنَ غُرُوبٍ وَسَحَرْ
فِي مُسْتَضَاءِ الجَزْرِ أَوْ فِي مُتَفَيَّإِ الخَمَرْ
تَحْتَ مَرَائِي الشُّهْبِ أَوْ بَيْنَ مَلَاحِظِ الشَّجَرْ
خَوَاطِرٌ وَضَّاءَةٌ بِهَا مَلَامِحُ السَّهَرْ
أَلْبَسْتُهَا مِنْ أَدْمُعِي وَمِنْ دَمِي هَذِي الحِبَرْ

قَشِيبَةً غَرِيبَـةً عَصْرِيَّةً نَسْجَ مُضَرْ

***

ذَلِكَ دِيوَانِي وَمَا أُزْجِيهِ إِزْجَاءَ الغَرَرْ
فَإِنْ أَفَادَ رَاحَـةً أَوْ سَلْوَةً مِنَ الضَّجَرْ
أَوْ حِكْمَةً تُؤْخَذُ عَنْ مُتَّعِظٍ وَمُعْتَبِرْ
فَهْوَ الذِي نَشَرْتُهُ لِأَجْلِهِ بِلَا حَـذَرْ
وَبَعْدَ ذَاكَ لَا يَكُنْ لِيَ افْتِخَارٌ أَوْ خَطَرْ

اللعب بالشموس

وصف الناظم ألعوبة كانت فى يد سيدة تديرها فتنثر نجوماً وشموساً فقال :

أَرِينَا بِأُلْعُوبَةٍ فِي يَدَيْكِ عَجَائِبَ لِعْبِ الهَوَى بِالرُّؤُوسْ
تُدَارُ فَتُمْطِرُنَا أَنْجُمَاً وَتَبْهَرُنَا بِصِغَارِ الشُّمُوسْ
وَمَا هِيَ إِلَّا دُمُوعُ المُنَى وَمَا هِيَ إِلَّا شِعَاعُ النُّفُوسْ

حـــق الوطن

وحق الاخاء

هى الرثية التى أنشدها الناظم على ضريح
المغفور له مصطفى كامل باشا فى حفلة الأربعين

أَعْلَى مَكَانَتَـكَ الإِلهُ وَشَرَّفَا ... فَانْعَمْ بِطِيبِ جِوَارِهِ يَا مُصْطَفَى

أَلْيَوْمَ فُزْتَ بِأَجْرِ مَا أَسْلَفْتَهُ ... خَيْراً ، وَكُلٌّ وَاجِـــدٌ مَا أَسْلَفَا

وَجُزِيتَ مِنْ فَانِي الوُجُودِ بِخَالِدٍ ... وَمِنَ الأَسَى المَاضِي بِمُقْتَبَلِ الصَّفَا

***

أَعْظِمْ بِيَوْمِكَ فِي الزَّمَانِ وَمَنْ لَهُ ... بِكَ وَاصِفاً ذَاكَ الجَلَالَ فَيُوصَفَا ؟!

يَوْمَ المَلَائِكَةِ الكِرَامِ تَنَزَّلُوا ... حَانِينَ حَوْلَكَ فِي السَّرِيرِ وَعُكَّفَا

وَتَحَمَّلُوكَ عَلَى الأَشِعَّةِ وَارْتَقَوْا ... سِرْباً يَجُوزُ بِكَ الدَّرَارِيَّ مُوجِفَا

فَوَرَدْتَ وِرْدَكَ فِي الخُلُودِ مُنَعَّماً ... وَالأَرْضُ مَائِدَةٌ عَلَيْكَ تَأَسُّفَا

لَمْ تُلْفَ قَبْلَكَ أُمَّةٌ فِي مَشْهَدٍ ... يُذْرِي الرِّجَالُ بِهِ المَدَامِعَ ذُرَّفَا

مُتَثَاقِلِينَ مِنَ الوَقَارِ وَإِنَّمَا ... سَارُوا بِطَيْفٍ نَاحِلٍ أَوْ أَنْحَفَا

بَحْرٌ مِنَ الأَحْيَاءِ نَعْشُكَ فَوْقَهُ ... فُلْكٌ يُظَلِّلُهُ اللِّوَاءُ مُرَفْرِفَا

يَبْكُونَ فِي آثَارِهِ العَلَمَ الَّذِي ... آثَارُهُ مِنْ رِفْعَةٍ لَا تُقْتَفَى

سَحَتِ الخَوَادِرُ حَاسِرَاتٍ وَالأَسَى ... مُلْقٍ عَلَى الأَبْصَارِ سِتْراً أَغْدَفَا

وَلَئِنْ سَفَرْنَ وَلَمْ يَحُلْنَ فَإِنَّهُ خَطْبٌ أَلَانَ بِرَوْعِهِ صُمَّ الصَّفَا

فَزِعَ الشَّبَابُ إِلَى الشُّيُوخِ بِثَأْرِهِمْ مِنْ دَمْعِهِمْ إِنْ خَانَهُمْ فَتَكَفْكَفَا

وَمَنِ الفَضَاضَةِ إِنْ دَعَا دَاعِي العُلَى بَعْدَ الفَقِيدِ فَتًى بِهِمْ فَتَوَقَّفَا

جَزِعَ النَّصَارَى وَاليَهُودُ لِمُسْلِمٍ هُوَ خَيْرُ مَنْ وَالَى وَأَوْفَى مَنْ وَفَى

يَبْكُوا المُرَجَّى فِي خِلَافٍ عَارِضٍ لِيُزِيلَ ذَاكَ العَارِضَ المُتَكَشِّفَا

وَاشْتَدَّ رُزْءُ المُسْلِمِينَ وَحُزْنُهُمْ لَمَّا مَضَيْتَ وَلَسْتَ فِيهِمْ مُخْلِفَا

مَنْ بَعْدَ كَاتِبِهِمْ وَبَعْدَ خَطِيبِهِمْ يُعْلِي لَهُمْ صَوْتًا وَيَنْشُرُ مُصْحَفَا ؟

* * *

مَنْ يُبْرِئُ الإِسْلَامَ مِنْ تُهَمِ العِدَى وَيَرُدُّ نَقْدَ النَّاقِدِينَ مُزَيَّفَا ؟

يُبْدِي لِأَعْيُنِ جَاهِلِيهِ فَضْلَهُ وَيُزِيلُ مَا يَلِدُ التَّنَاكُرُ مِنْ جَفَا

وَيُثِيرُ مِنْ غَضَبِ الغِضَابِ لِمَجْدِهِ هِمَمًا تُعِيدُ لَهُ المَقَامَ الأَشْرَفَا

لَكِنَّ مِنْ أَقْلَامِ صَحْبِكَ حَوْلَهُ سُمْرًا تَهُزُّ لِكُلِّ خَطْبٍ مَعْطِفَا

وَلَعَلَّ حُرًّا لَا يَدِينُ بِهِ انْبَرَى لِيَذُودَ عَنْهُ خَصْمَهُ المُتَعَسِّفَا

قِفْ أَيُّهَا النَّاعِي عَلَيْهِ جُمُودَهُ فَلَقَدْ تَجَاوَزْتَ المَدَى مُتَفَلْسِفَا

إِنْ يَعْتَرِ الشَّمْسَ الكُسُوفُ هُنَيْهَةً أَيَكُونُ مَنْقَصَةً لَهَا أَنْ تُكْسَفَا ؟

وَهَلِ الكُسُوفُ سِوَى تَعَرُّضِ حَائِلٍ يَغْشَى أَشِعَّتَهَا إِلَى أَنْ يُكْشَفَا ؟

لَمْ تَنْزِلِ الأَدْيَانُ إِلَّا هَادِيًا لِلعَالَمِينَ وَرَادِعًا وَمُثَقِّفَا

بِشِعَارِ حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ وَمَا بِهَا إِنْ قَصَّرَ الأَقْوَامُ عَنْهُ فَأَخْلَفَا

وَبِكُلِّ أَمْرٍ مُوجِبٍ إِصْلَاحَهُمْ   إِنْ خَالَفُوهُ فَمَا اسْتَحَالَ وَلَا انْتَفَى

قَدْ كَانَ لِلإِصْلَاحِ عَهْدٌ بَاهِرٌ   نِلْنَا بِهِ هَذَا الرُّقِيَّ مُسَلَّفَا

مَلَأَ البِلَادَ إِنَارَةً وَحَضَارَةً   وَمُنَى السِّيَاحَةِ عَوْدُهُ مُسْتَأْنَفَا

فَالخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ فِيهِ مُقْبِلًا   وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ أَنْ يَتَخَلَّفَا

يَدْعُو البَقَاءُ إِلَى التَّكَافُؤِ بِالقُوَى   بَيْنَ العَنَاصِرِ أَوْ يُهِينَ وَيُضْعِفَا

وَالخَلْقُ جِسْمٌ إِنْ أَلَمَّ بِبَعْضِهِ   سَقَمٌ وَلَمْ يُتَلَافَ عَمَّ وَأَتْلَفَا

* * *

«مِصْرُ» العَزِيزَةُ قَدْ ذَكَرْتُكَ اسْمَهَا   وَأَرَى تُرَابَكَ مِنْ حَنِينٍ قَدْ هَفَا

وَكَأَنَّنِي بِالقَبْرِ أَصْبَحَ مِنْبَرًا   وَكَأَنَّنِي بِكَ مُوشِكٌ أَنْ تَهْتِفَا

«مِصْرُ» الَّتِي لَمْ تَحْظَ مِنْ نُجَبَائِهَا   بِأَعَزَّ مِنْكَ ، وَلَمْ تَعِزَّ بِأَحْصَفَا

«مِصْرُ» الَّتِي لَمْ تَبْغِ إِلَّا نَفْعَهَا   فِي الحَالَتَيْنِ مُلَايِنًا وَمُعَنِّفَا

«مِصْرُ» الَّتِي غَسَلَتْ يَدَاكَ جِرَاحَهَا   بِصَبِيبِ دَمْعِكَ جَارِيًا مُسْتَنْزَفَا

«مِصْرُ» الَّتِي كَافَحْتَ لُدَّ عُدَاتِهَا   مُتَصَدِّرًا لِرُمَاتِهَا مُسْتَهْدَفَا

«مِصْرُ» الَّتِي سُقْتَ الجُيُوشَ مَنَاقِبًا   وَمُنًى لِتَكْفِيَهَا الْمُغِيرَ الْمُجْحِفَا

«مِصْرُ» الَّتِي أَحْبَبْتَهَا الحُبَّ الَّذِي   بَلَغَ الفِدَاءَ نَزَاهَةً وَتَعَفُّفَا

حَتَّى مَضَيْتَ كَمَا ابْتَغَيْتَ مُؤَلِّفًا   مِنْ شَمْلِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لِيُؤَلَّفَا

أُمْنِيَّةٌ أَعْيَتْ خِصَالُكَ دُونَهَا   لَوْ لَمْ يُضَافِرْهَا رَدَاكَ فَيُسْعِفَا

وَهِيَ الَّتِي لَوْ قُسِّمَتْ لَنَا بِهَا شَعْبٌ يَعِزُّ بِنَفْسِهِ مُسْتَنْصِفَا

* * *

مَنْ كَانَ أَجْرَأَ مِنْكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ بِالْحَقِّ، لَا شَكِسًا وَلَا مُتَصَلِّفَا؟
مَنْ كَانَ أَقْدَرَ مِنْكَ تَصْرِيفًا لِمَا يَعْيِي الْحَكِيمَ مُدَبِّرًا وَمُصَرِّفَا؟
مَنْ كَانَ أَطْهَرَ مِنْكَ خُلْقًا جَامِعًا فِيهِ مَهِيبَ الطَّبْعِ وَالْمُسْتَظْرَفَا؟
مَنْ كَانَ أَسْمَحَ مِنْكَ مَنْأًى لِمَا تَهْوَى وَمِعْطَاءً لِغَيْرِكَ مُسْرِفَا؟
مَنْ كَانَ أَصْدَقَ مِنْكَ لَا مُتَنَصِّلًا مِمَّا تَقُولُ وَلَا تُعَاهِدُ مُخْلِفَا؟

* * *

يَا مَنْ نَعَى تِلْكَ الْفَضَائِلَ وَالْعُلَى أَغَدَتْ مَعَالِمُهُنَّ قَاعًا صَفْصَفَا؟
لَا لَا وَحَقِّكَ يَا شَهِيدَ وَفَائِهِ وَرَجَائِهِ كَذَبَ النَّعِيُّ وَأَرْجَفَا
مَا أَنْتَ بِالرَّجُلِ الَّذِي يُمْسِي وَقَدْ مَلَأَ الْوُجُودَ بِهِ وَيُصْبِحُ قَدْ عَفَا
إِنِّي أَرَاكَ وَلَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا بِكَ فِي جِهَادِكَ أَوْ أَشَدَّ وَأَشْعَفَا
ثَابِرْ عَلَى تِلْكَ الْعَزَائِمِ ذَائِدًا عَنْ «مِصْرَ» تَضْرِبُ فِي الْبِلَادِ مُطَوِّفَا
أَصْدِرْ صَحَائِفَكَ الَّتِي تُحْيِي بِهَا نِضْوَ الطَّرِيقِ وَتَدْفَعُ الْمُتَخَلِّفَا
تَجْرِي بِهَا الْأَنْهَارُ وَهْيَ دَوَافِقٌ حِمًا وَتُوشِكُ أَنْ تَطُمَّ فَتَجْرِفَا
وَتَكَادُ أَسْطُرُهَا تَهُبُّ نَوَاطِقًا وَيَكَادُ يَعْزِفُ كُلُّ حَرْفٍ مَعْزِفَا
فَإِذَا حَنَوْتَ عَلَى الْحِمَى مُتَحَبِّبًا فَهُوَ النَّسِيمُ وَقَدْ ذَكَا وَتَلَطَّفَا
وَكَأَنَّمَا الْأَلْفَاظُ مِمَّا خَفَّفَتْ نَقْشَ الْمِدَادُ رُسُومَهَا وَتَحَقَّقَا

نستلهم من أثوابها أرواحها ... وتعاف تحلية لئلا تكشفا

قم للخطابة في المجامع واملك ... تلك النفوس مروعاً ومشنفا

أعد القديم من الممالك والقرى ... ذكرى وعرفنا الحياة لنعرفا

شدد عزائمنا وقاتل ضعفنا ... حتى نبيت ولا ترى متخوفا

ما هذه الآيات ترمي لفظها ... شرراً، وتهوي الشهب فيها أحرفا؟

ما ذلك الترصيع ليس مرصعاً؟ ... ما ذلك التفويف ليس مفوفا؟

وحي بألمعية إذا ما أطلقت ... هبطت رواسب عنه، والمغزى طفا

تحيي حرارتها ويهدي نورها ... متماهل الإشراق أو متخطفا

تالله ما أنت الخطيب وإنما ... وقف القضاء من المنصة موقفا

عن نطقه تقع الظروف مواعظاً ... وكأمره أمر الزمان مصرفا

* * *

يا حبذا لو كل ذلك لم يزل ... لكنه حلم مضى مستطرفا

والآن نحن لدى ثراك نحجه ... متلهفين تشوقاً وتشوفا

نثني، وهل يوفى ثناؤك حقه؟ ... وبأي ألفاظ المحامد يكتفى؟

ماذا يعيضك من شبابك نظمنا ... فيك الرثاء منسقاً ومصففا؟

ويعيض منك وكنت جوهرة الحجى ... صوغ الكلام مرصعاً ومزخرفا؟

يا أخلص الخلصاء أبكي بعده ... كبكاء «مصر» تحرقاً وتلهفا!

هذا مثالك لاح يرعانا وقد ... كشف الجوى عنه الحجاب فأشرفا

جَادَ الهِلَالُ بِرَسْمِهِ تَاجاً لَهُ   وَكَسَتْهُ نَاسِجَةُ الطَّهَارَةِ مُطْرَفَا

* * *

يَا مَنْ رَمَاهُ عُدَاتُهُ بِتَطَرُّفٍ   حَقَّقْتَ آمَالَ الهُدَى مُتَطَرِّفَا

كَهَوَاكَ لِلأَوْطَانِ فَلْيَكُنِ الهَوَى   لَا مُفْتَرًى فِيهِ وَلَا مُتَكَلَّفَا

يَجْرِي عَلَى قَدَرِ المَطَالِبِ نَامِياً   وَيَجِلُّ فِي مَجْرَاهُ عَنْ أَنْ يَصْدِفَا

أَنْشَأْتَ مِنْ «مِصْرَ» الشَّتَاتِ بِفَضْلِهِ   «مِصْرَ» الفَتَاةَ حِمًى يَعِزُّ وَمَأْلَفَا

أَحْدَثْتَ فِيهَا أُمَّةً أَنْدَى يَداً   لِلصَّالِحَاتِ وَبِالعَظَائِمِ أَكْلَفَا

عَرَّفْتَ أَهْلِيهَا حَقِيقَةَ قَدْرِهِمْ   وَكَفَاهُمُ مِنْ قَدْرِهِمْ أَنْ يُعْرَفَا

نَفَحَاتُ رُوحِكَ خَامَرَتْ أَرْوَاحَهُمْ   فَهُمُ مَرَامُكَ سَاءَ دَهْرٌ أَوْ صَفَا

حِصْنٌ أَشَمُّ تَسَانَدَتْ أَجْزَاؤُهُ   عِلْماً، وَأَمَّنَهُ النُّهَى أَنْ يُنْسَفَا

فَارْقُدْ رُقَادَكَ إِنَّ رَبَّكَ قَدْ مَحَا   بِكَ ذَنْبَ «مِصْرَ» كَمَا رَجَوْتَ وَقَدْ عَفَا

فهرس القصائد

